

تَحْفِيزُ الْإِخْيَارِ

بِذِكْرِ أَهَمِّ مُعَارِكِ الْمُسْلِمِينَ

مَعَ

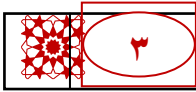
عِبَادِ الصُّلَيْبِ الْإِشْرَارِ

تَأْلِيفُ

أَبِي الْعَبَّاسِ مُنْصَوِّرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْجَحْدِيِّ



حَقُّوقُ الطَّبِيعِ مُحَفَّوْظَةٌ



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران (١٠٢).

(٢) سورة النساء (١).

(٣) سورة الأحزاب (٦٩-٧١).



أما بعد :

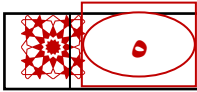
فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد :

يزعم كثير من النصارى أنّ الدين النصراني دين تسامح وسلام وتعايش ومحبة وإقناع، ولهذا كان الأكثر أتباعاً، وكان انتشاره بسيف المحبة والإقناع. وأما دين الإسلام فيزعم النصارى والملاحدة أنه دين لم يقم إلا بالسيف وهذه مغالطة تاريخية لا تخفى على من استقرأ الموقف النصراني من الأمة الإسلامية منذ عهد النبي ﷺ، وإلى يومنا هذا، مستعرضاً الحروب الصليبية التي امتدت قرنين من الزمان، ثم التنصير^(١) الجبري أو الإبادة في حقبة محاكم التفتيش، وما أعقب الحربين العالميتين من احتلال لمعظم البلاد الإسلامية واستنزاف لثرواتها، ولا زالت الحروب مستمرة على تعدد أشكالها ووسائلها ومن خلال هذه السلسلة سيتبين لكل ذي لب دموية النصارى الضلال عباد الصليب وما قاموا به من مجازر رهيبة ضد أهل الإسلام فإلى

(١) التنصير في اللغة : الدخول في النصرانية، وتنصّر الرجل: دخل في النصرانية، ونصّره تنصيراً: جعله نصرانياً .

انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٨٢٩)، ولسان العرب، ابن منظور (٦/ ٤٤٣٩ - ٤٤٤١).
واصطلاحاً هو: "مصطلح يقصد به قيام مجموعة من النصارى بنشر النصرانية بين الناس في جميع أنحاء العالم بطريقة تنظيمية حتى يعتنقها الكثيرون ويرغبون عن دينهم الأصلي".
انظر: الموسوعة العربية العالمية (٧/ ٢٤٩).



حلقات هذه السلسلة النافعة بإذن الله تعالى والتي كانت عبارة عن دروس ألقيتها على المصلين بعد كل صلاة عصر طوال شهر رمضان المبارك لعام (١٤٤٤) هـ في مسجد أبي بكر الصديق بمدينة جعار محافظة أبين وكانت تحت عنوان : (مقتطفات من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية) ثم قام بتفريغها الأخوان الكريمان :

١ - محمد بن سعيد بكير - حفظه الله .

٢ - عمر بن زيد السعدي - حفظه الله .

فأعدت النظر فيها وهذبتها بإضافة وحذف مايلزم ؛ لأن مقام الإلقاء يختلف عن مقام الكتابة - كما هو معلوم - ثم رأيت أن يكون عنوانها : ” تحفة الأخيار بذكر أهم معارك المسلمين مع عباد الصليب الأشرار ” أسأل الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين وأن يجعلها ذخراً لي أرجو نفعها يوم لا ينفع مال ولا بنون وأن يغفر لي ولوالدي ولمشاخي ولجميع المسلمين آمين .

كتبها راجي رحمة ربه / أبو العباس منصور بن عبده بن أحمد المجيدي

اليمن / أبين / جعار / مسجد أبي بكر الصديق



الحلقة الأولى



أهمية معرفة الحروب الصليبية (١)

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

سأتحدث معكم في مثل هذا الوقت من كل يوم من أيام هذا الشهر المبارك
- شهر رمضان لعام (١٤٤٤) هـ إن شاء الله عن ”مقتطفات من الحروب
الصليبية على الأمة الإسلامية“ (٢) .

ونقول إنما هي مقتطفات لأن الكلام عن الحروب الصليبية على الأمة
الإسلامية كثير وكبير ويحتاج إلى أوقات طويلة وقد أفرد في مؤلفات عدة (٣)

(١) الاسم الإنجليزي Crnsade مشتق من اللفظ الأسباني Cruzada أي عليه علامة الصليب «قصة
الحضارة» (١١/١٥) .

(٢) هكذا كان اسم هذه السلسلة ثم جعلتها بعنوان ”تحفة الأخيار بذكر أهم معارك المسلمين مع
عباد الصليب الأشرار“ .

(٣) ومنها على سبيل المثال:

١- الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (يوسف العاصي).

٢- الحروب الصليبية د/ سيد عبد الفتاح عاشور.

٣- وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي " محمد ماهر حمادة " .

٤- ماهية الحروب الصليبية قاسم عبده قاسم.



والقصد إنما هو أخذ بعض الدروس وبعض العِظات من تلك المواقف العظيمة والكبيرة والكلام عن الحروب الصليبية التي شنها النصارى عبّاد الصليب ^(١) على أمة الإسلام هو جزء من تاريخنا وهذا الأمر يستدعي أننا نقف عليه ونتعرف على تفاصيله لأن التاريخ يعيد نفسه ، وهو مدرسة من أحسن القراءة في فصولها خرج بفوائد عظيمة وبدروس كبيرة يتحقق له بإذن الله بسببها النجاح إضافة إلى الأسباب الأخرى وأعظمها تقوى الله تعالى ؛ لأنه سيعرف من خلال دراسته للتاريخ أسباب التمكين وأسباب التفوق فيسلكها وسيعرف من خلال دراسته للتاريخ أسباب الهزائم والانتكاسات فيجتنبها لهذا ينبغي للمسلمين أن يحيطوا علمًا بهذا الأمر وبهذا الجانب وهو التاريخ الذي أهمل من قبل كثير من المسلمين ولم يعرف كثير منهم شيئًا كبيرًا عنه ، ولا عما جرى لأجدادهم مع أعداء الإسلام ، وإن عرف بعض المسلمين شيئًا من ذلك فإنما يعرفون شيئًا مبتورًا قصيرًا يسيرًا وفي الغالب يكون مشوهًا .

لهذا نقول : إن التاريخ لا ينبغي أن يؤخذ أو يستفاد من جهات مشبوهة في حد ذاتها فمعرفة التاريخ معرفة صحيحة لا تكون إلا من مصادرها الموثوقة المعتبرة فلا ينبغي أن يؤخذ التاريخ من الممثلين ومن المسلسلات

(١) عُرف النصارى بهذا الاسم لعبادتهم للصليب وتقديسهم له، وكذلك بعد حروبهم التي أطلقوا عليها اسم الحروب الصليبية، ورفعوا فيها الصليب يقاتلون دونه ومن ورائه، وبكثرة الحملات الصليبية انتشر فيهم هذا الاسم: "الصليبيون".



والقصص التي لا يحرص المخرجون لها والقائمون عليها على الدقة والأمانة والنقل الصحيح بقدر ما يحرصون على التأثير على الجمهور المشاهد ولو بالكذب وهو الغالب عليهم.

وهكذا لا ينبغي لمن يريد أن يعرف التاريخ معرفةً صحيحة أن يعتمد على قراءة بعض الكتب المشبوهة لا سيما الكتب التي عُرفت بالدس الرخيص وعُرفت بالتشويه وربما كانت مما تناولته أيدي اليهود والنصارى عن قرب أو من بُعد ككتاب **”الأغاني“** للأصفهاني وكتاب **”ألف ليلة وليلة“** وهكذا كُتب المستشرقين الذين يكتبون في التاريخ الإسلامي أو يكتبون عن التاريخ العربي كـ **”موسوعة دائرة المعارف الإسلامية“** لمجموعة من المستشرقين وكتاب **”تاريخ الشعوب الإسلامية“** لأحد كبار المستشرقين الألمان **(كارل بروكلمان)** وكتاب **”الدعوة إلى الإسلام“** للمستشرق النصراني **(أرنولد)** وكتاب **”دراسات إسلامية“** للمستشرق الخبيث **(جولد تسهير)** وكثير من هؤلاء يظهرون بمظهر النزاهة والأمانة العلمية والنقد الصحيح وأنهم لا يتحيزون إلى فئة وهم كاذبون أفاكون يدسون السم في العسل، ولولا خشية الإطالة والخروج عن أصل الموضوع لذكرت بعض بوائق هؤلاء التي سطروها في كتبهم السابقة ^(١) الذكر.

(١) وقد ذكرت شيئاً من ذلك في كتابي **”إبراز الحقائق“** عند الكلام على محاربة الكفار لتاريخنا الإسلامي (ص ٤٧٦) وما بعدها فراجع إن شئت.



وقد حصل بسبب ذلك خلط كبير وبلاء عظيم وقد خصصت هذه الحلقات للتذكير بهذا الجانب العظيم من تاريخنا وهو عبارة عن "مقتطفات من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية" لثلاثة أسباب رئيسية هي :

١- الجهل الكبير الحاصل في أوساط المسلمين بالتاريخ عمومًا وبهذا الجانب على وجه الخصوص فلو سألت كثيرًا من المسلمين ممن عُرفوا بـ "المثقفين" عن الحروب الصليبية ؟ و ما الذي يعرفونه عن الهجمات الشرسة التي قادتها أوروبا بزعامة الباباوات ^(١) وبزعامة الكنيسة ضد المسلمين ؟ وما المآسي التي حصلت للمسلمين بسبب ذلك ؟

ستجد كثيرًا من هؤلاء المثقفين من المسلمين لا يعرفون شيئًا وغيرهم من عوام الناس من باب أولى فهذه مشكلة ينبغي أن يتنبه لها المسلمون .

٢- التلميع الكبير المتعمد والمدح والثناء وحسن الظن بالنصارى خصوصًا وبالكفار عمومًا الحاصل من كثير من جهلة المسلمين بهؤلاء المجرمين السفاحين السفاكين لدماء الملايين من المسلمين فيما مضى ولا تزال المآسي تتوالى على أمة الإسلام منهم إلى يومنا هذا .

فهذا الثناء وحسن الظن ناتج عن جهل من المسلمين بتاريخ اليهود والنصارى الأسود المظلم وبالمآسي التي فعلوها بالمسلمين ولوعلم المسلمون ما

(١) جمع بابا وهو: الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية وأطلق أخيرًا على الكنيسة الأرثوذكسية أيضًا المعجم الوسيط (١/ ٣٥) .



حصل لآبائهم وأجدادهم من ويلات ونكبات وآلام وتقتيل ذريع من هؤلاء المجرمين من النصارى واليهود لتعاملوا معهم بالتعامل الشرعي من البغض والكراهية ولم يحصل منهم الركون إليهم .

٣- ما حصل من قومٍ من بني جلدتنا بدلاً من أن ينتقدوا الحروب الصليبية ويتذكروا آثارها السيئة على الإسلام وأفعالها الشنيعة بالمسلمين إذا بنا نجد منهم سهوً ما تنطلق بخبث وتحدث بسوء عن الفاتحين وعن الفتوحات الإسلامية فيطعنون في الفتوحات الإسلامية ويطعنون في الصحابة الكرام ويطعنون أيضاً في من جاء بعدهم كـ (موسى بن نصير) و (طارق بن زياد) و (عقبة بن نافع) و (صلاح الدين الأيوبي) وفلان وفلان من القادة الكبار ومن الفاتحين العظماء الذين نصر الله بهم هذا الدين نصراً عظيماً، وكانوا يحملون همَّ الإسلام في الليل والنهار فإذا ببعض الجهلة وبعض البغاوات من المتأخرين ممن ثقافته محصورة على قراءة في مجلة أو محصورة على متابعة مسلسلات أو على ما يُملَى عليه في تلك الشاشات إذا به يوجّه سهامه لأولئك العظماء الكبار فيقول لماذا ذهب هؤلاء إلى شرق آسيا ؟ !

ولماذا ذهبوا إلى أعماق أوروبا ؟ ! ولماذا فعلوا ولماذا فعلوا ؟ ما الفائدة من

هذا ؟ !

بل والله أقبح من هذا ما سمعناه عن بعض أولئك المجرمين الذين عُرفوا في هذه الأيام بـ (العباهلة والأقيال) الذين أرادوا أن يعيدوا النعرة القومية



والعنصرية اليمينية إذا بهم يطعنون في أولئك الكبار من الصحابة حتى قال بعضهم : لماذا ذهب هؤلاء الصحابة إلى شرق آسيا وذهبوا إلى أوروبا ؟ لماذا لم يتجهوا إلى الحبشة لنشر الإسلام ؟

ثم يجب فيقول : إنما كان القصد من ذلك البحث عن الحسنات والنساء الجميلات !!

هكذا قال بعضهم ! فض الله فاه وقبح الله الجهل وقبح الله المجرمين وقبح الله هؤلاء الذين يطعنون في تاريخنا وفي عظماءنا وقاداتنا الذين نفخر بهم على مر العصور وعلى مر الأيام .

ولم ينتشر الإسلام إلا بجهود هؤلاء العظماء سواء في أوروبا أو في آسيا وحتى في أفريقيا بل كان أول وجهتهم بعد الشام إلى أفريقيا إلى مصر ثم إلى بلاد النوبة وما بعدها مما يدل دلالة واضحة على أن أهل الإسلام وبالأخص الصحابة العظماء ، القادة الكبار الذين كانوا يحملون همّ هذا الدين ونشره لم تكن همّتهم دنيئة كهمة هؤلاء الساقطين الذين يرمون الصحابة بما هم به أحق من باب (رمتني بدائها وانسلت) .

ولم تكن همّة الصحابة قاصرة على ما يصوره الإعلام المفبرك المشبوه الذي تحركه أيدي يهودية ونصرانية .

فيا للعجب ثم يا للعجب كيف نسدل الستار عن مآسي جرت للمسلمين من قبل اليهود والنصارى ونحسن بهم الظن ونصفهم بأنهم دعاة سلام وبأنهم



جاءوا بالمنظمات الحقوقية والإغاثية التي أحسنوا من خلالها لكثير من المنكوبين في أقطار العالم زعموا!!؟

ونتجّه إلى الأئمة الكبار من الصحابة ومَن جاء بعدهم فنطعن فيهم ونشوّه ونتكلم عليهم ونقدح فيهم إن هذا لشيء عجاب .

وقد يكون هذا الكلام في البداية غير مقبول لكن لا تدري ما الذي تنتجه الفتن وتأتي به زوابعها فرب فتنة كانت في بداية أمرها يسيرة غير مقبولة لكن مع مرور الأيام إذا بك تجد لها قبولاً وروجاً كبيراً.

فالحديث عن الحروب الصليبية من الأهمية بمكان ، والكلام عن الحروب الصليبية يستدعي

أولاً : الحديث عن تعريفها وأسبابها :

فأما تعريف الحروب الصليبية: فهي حروب عدّة وقعت بين أهل الإسلام وجيوش من نصارى أوربّا والشرق الإسلاميّ في القرن السادس والسابع الهجري الموافقة للقرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادي (٤٨٩-٦٧٢هـ / ١٠٩٦-١٢٧٣م) حيث بدأت في ربيع الثاني من سنة ٤٩١هـ . مارس من سنة ١٠٩٨م، وانتهت في شعبان من سنة ٦٩٠هـ . أغسطس من سنة ١٢٩١م. ^(١) شنّها أولئك المجرمون بدعوى تخليص بيت المقدس من المسلمين

(١) انظر: الحركة الصليبية - سعيد عبد الفتّاح عاشور - (٢ / ١١٢٦) : القاهرة مكتبة الأنجلو



أدت إلى سقوط القدس وإقامة بعض الممالك أو الإمارات النصارانية في الشام وسميت صليبية لأن أصحابها اتخذوا الصليب شعاراً لهم فيها ورمزاً لحربهم المقدسة .

وحصل للمسلمين بلاء عظيم بسبب ذلك ففظائعها لا تحصى وسيأتي إن شاء الله ذكر شيء من ذلك في مواضعه .

يقول مؤنس : (تعتبر الحروب الصليبية من أعظم الحوادث في التاريخ الإسلامي العام، وهي كذلك من أكبر حوادث التاريخ العالمي، لأن الذي فكّر في الحروب الصليبية وقام بها هو الغرب المسيحي بتوجيه أولي من البابوية، بغرض الاستيلاء على المقدسات المسيحية في فلسطين وخاصة مدينة القدس وقبر المسيح عيسى بن مريم في بيت لحم القريبة من القدس) ^(١) .

وتُسمّى الحروب الصليبية بـ «**حروب الفرنجة**» في الخطاب العربي وبـ «**الحروب الصليبية**» نسبة إلى الصليب. وهو مصطلح يُطلق على الحروب التي شنها حكام أوروبا المسيحية الإقطاعية لاحتلال فلسطين إبان العصور الوسطى. وهي حروب كانت تساندها حركة سياسية واجتماعية ضخمة قادتها النخبة الحاكمة (الكنيسة والنبلاء) ووجدت صدى عميقاً لدى الجماهير الشعبية التي انضمت إليها بأعداد ضخمة لم تضعها النخبة الحاكمة نفسها في الحسبان ^(٢) .

(١) رحلة بنيامين التپيل (ص٤١) .

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١٦/٣٢٠) . بترقيم الشاملة آليا



﴿أما أسبابها :﴾

ذكر المؤرخون عدّة أسباب للحروب الصليبية وهي في الحقيقة ترجع إلى سبب واحد وهو حقد النصارى على الإسلام والمسلمين يقول غاردنر: (إنَّ الحُرُوبَ الصَّلِيبِيَّةَ لَمْ تَكُنْ لِإِنْقَاذِ الْقُدُسِ، إِنَّهَا كَانَتْ لِتَدْمِيرِ الْإِسْلَامِ) ^(١)

فقد كانت الكنيسة النصرانية ذات سيادة على أكثر من نصف الكرة الأرضية قولها مسموع وأوامرها مطاعة وأتباعها كثر فلما جاء الإسلام تهاوت دولها وسقطت أركانها ووصل أهل الإسلام وهم يفتحون البلدان إلى مشارف باريس في فرنسا وطوقت دولة الإسلام الكنيسة النصرانية من عدة جهات فعظم الحقد من قبل النصارى وقساوستهم ولباواتهم على الإسلام والمسلمين وهكذا حقد اليهود الذين كانوا ولا زالوا يدفعون بالنصارى وهم مستفيدون من ذلك فائدتين :

﴿فائدة سياسية :﴾

وهي التخلص من خصومهم جميعاً فهم يريدون التخلص من النصارى ومن المسلمين فيضربون بعضهم ببعض وهذا ليس بغريب عنهم فقد قال الله عنهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)﴾ [المائدة: ٦٤] .

(١) "التبشير والاستعمار (ص ١١٥)، جذور البلاء " [عبد الله التل]: (ص ٢٠١) .



🌀 وفائدة اقتصادية :

وهي أن لليهود فائدة كبيرة من الحروب التي تجري بين الشعوب قديما وحديثا عن طريق القروض الربوية حيث يقرضون أعداء الإسلام من النصارى لحرب المسلمين وهذا معروف عنهم بل إنهم يشعلون الحروب بين كثير من المجتمعات في كثير من العصور لأجل هذه الفائدة الكبيرة في نظرهم قال الله ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١] ، فاليهود لهم مصالح كبيرة جدًا من تلك الحروب ويأذن الله تبارك وتعالى سأطرق إلى أهم المعارك وأهم الهجمات التي جرت من هؤلاء المجرمين النصارى بزعامة الكنيسة الكاثوليكية أو البروتستانتية أو الأرثوذكسية ^(١)

(١) الكنائس النصرانية الرئيسية ثلاث: الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية:

❖ - **الكاثوليكية وهي:** كبرى الكنائس، وتعترف بسيادة بابا روما عليها، وتسمى بالكنيسة الغربية، ويؤمن أتباعها بأن للمسيح طبيعتين ومشيتين، وبأن روح القدس انبثق من الأب والابن معاً.

❖ - **الأرثوذكسية:** لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، وتسمى بالكنيسة الشرقية، ويؤمن أتباعها بأن الروح القدس انبثق عن الأب وحده، ويختلفون في طبيعة المسيح.

❖ - **البروتستانتية:** انفصلت عن الكاثوليكية على يد عدد من المصلحين؛ أبرزهم مارتن لوثر، وزونجلي، وكلفن، وخالفها في أمور، منها: وجوب الخضوع لنصوص الكتاب المقدس وحده، والاقترار على ٦٦ سفرًا منه واعتبار ما عداها غير صحيح، ورفض عصمة البابا ورجال الدين، ورفض صكوك الغفران.

انظر: محاضرات في النصرانية (ص ١٦٢) ؛ وأطلس الأديان، سامي بن عبد الله المغلوث (ص ٢٦٧).



بزعامة الباباوات الذين قادوا حملات مسعورة على أمة الإسلام ولا سيما نحو الشام ولا سيما فلسطين وبيت المقدس وهكذا على مصر وعلى تونس وغيرها وإذا أمدّ الله بالعمر على الطاعة ووجدنا متسعاً من الوقت فيمكننا ذكر بعض القضايا الجسيمة والأحداث الأليمة التي جرت للمسلمين سواء في الأندلس أو في الهند أو غيرها من البلدان .

نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد .

وسياتي - إن شاء الله - بعد هذه المقدمة الكلام عن الأيدي اليهودية التي كانت وراء التحول النصراني الخطير ووراء المآسي التي نزلت بالمسلمين .

إن شاء الله تبارك وتعالى سأتكلم في الحلقة القادمة عن المكر اليهودي الذي جعل من النصرانية آلة ووسيلة لخدمة اليهود وخدمة الأطماع الصهيونية في الأمة الإسلامية.

نسأل الله أن يحفظنا وجميع المسلمين وأن يحفظ لنا ديننا وبلداننا إنه جواد كريم .

والحمد لله رب العالمين .



الحلقة الثانية



اختراق اليهود للنصارى

الحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فهذه هي الحلقة الثانية من ” تحفة الأخيار بذكر أهم معارك المسلمين مع **عباد الصليب الأشرار** ” وقد تكلمت في الحلقة الأولى عن أهمية دراسة التاريخ ومعرفة الأحداث العظيمة التي مرت بالأمة الإسلامية وسأتحدث في هذه الحلقة - إن شاء الله - عن قضية مهمة وهي من المقدمات الأساسية لمن أراد أن يتحدث عن الحروب الصليبية وهذا الأمر هو اختراق اليهود للنصارى ، وتحويل اليهود الديانة النصرانية إلى آلة صهيونية تخدم الأهداف اليهودية العالمية فأقول مستعيناً بالله :

إن الله عز وجل أرسل إلى بني إسرائيل رسلاً عدة وكان من أعظمهم وأشهرهم وأفضلهم نبي الله موسى - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - وقد أخبرنا الله في كتابه عن كثيرٍ من الأمور التي عانى منها نبي الله موسى مع قومه ، وكيف كان قومه يتعننون عليه ، وبعد موت نبي الله موسى - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - تابعت الرسل على بني إسرائيل كلما مات رسول خلفه رسول ، وكانوا يسوسون قومهم بالوحي إلا أن بني إسرائيل قوم غلب عليهم الشقاء فصاروا إلى الشرك بعد التوحيد ، ونسبوا إلى الله الولد وقالوا عزير ابن الله ، وقتلوا الأنبياء ، وحرفوا



التوراة فزادوا فيها وأنقصوا منها ، وافتروا على الله الأكاذيب فشاء الله تبارك وتعالى أن يقيم عليهم الحجة بعد الحجة فكان آخر من أرسل الله عز وجل إليهم نبيه عيسى بن مريم - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - أرسله الله عز وجل إلى بني اسرائيل بالهدى والنور قال الله عز وجل عنه : ﴿ **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُتْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) ۞ آل عمران (٤٨ - ٥٢) .**

﴿ **قال أهل العلم** : الأمر الذي جاء عيسى بإباحته بعد التحريم هو ما حُرِّمَ على بني اسرائيل على سبيل العقوبة كما قال تعالى : ﴿ **فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) ۞ النساء (١٦٠ - ١٦١) .**



فالله حرم على بني إسرائيل أيام موسى بعض الطيبات من المأكولات قال سبحانه وتعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)﴾ الأنعام (١٤٦) .

فأخبر سبحانه أنه حرم عليهم كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرم عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم فجاء عيسى بالبينات والحجج وجاء بوضع الأصار والأغلال التي كانت عليهم إلا أن القوم غلب عليهم الشقاء - كما سبق - فعاندوه وكذبوه واتهموا أمه قال الله سبحانه وتعالى : ﴿فَبِمَا نَفْسُهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦)﴾ النساء (١٥٦) .

ثم عزموا على قتله ولكنهم حينما أردوا ذلك لم يكن لهم دولة وإنما كان يحكم الشام تلك المدة أحد ملوك الرومان الكبار فذهبوا إليه وقالوا له هذا رجل يفسد علينا ديننا ويوشك أن يفسد عليك دينك ودنياك وذكروا له أموراً لا حقيقة لها فزعموا أن عيسى سيفسد عليه الرعية وسيأخذ عليه الحكم ونحو ذلك فوافقهم الملك على قتل نبي الله عيسى من غير ما جُرم وإنما هو الظلم والغلو في الكفر عياداً بالله فجاء الخبر إلى نبي الله عيسى من عند الله عز وجل بأن القوم يريدون قتلك فحاول الإختباء في مكان يلتقي فيه



بالخُلص من تلامذته ولكن اليهود عرفوا مكانه فداهموا المكان الذي يوجد فيه عيسى مع بعض تلامذته وأرادوا قتله فجاء الأمر الإلهي ورفع الله عيسى - عليه السلام - إلى السماء وألقى الله عز وجل شبهه على أحد تلامذته ذكر بعض المؤرخين أن هذا الذي أُلقي عليه شبه عيسى كان ممن مكر به ودل عليه وقيل : بل كان من خيرة تلامذته وأن عيسى عرض عليه أن يُلقى عليه شبهه ويكون رفيقه في الجنة فوافق على ذلك والله أعلم .

ألقى الله عز وجل على ذلك الشاب شبه عيسى فدخل اليهود فوجدوا الشبه ولم يجدوا عيسى فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه على طريقتهم في القتل في تلك المدة ذلك أنهم كانوا إذا قتلوا شخصاً صلبوه فصلبوا هذا الشبه على الخشبة وقالوا قتلنا عيسى بن مريم قال الله عز وجل مكذباً لهم : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾ النساء (١٥٧ - ١٥٨) .

رفع الله عيسى بن مريم حياً فهو يعيش إلى هذه الساعة في السماء حياة يعلم الله عز وجل كيفيتها وسينزل في آخر الزمان كما هو معلوم فيكسر



الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويحكم بشرية نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما أخبر بهذا نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ^(١) .

استمر الصالحون من تلامذة عيسى بن مريم على التعاليم التي علمهم نبيهم عيسى - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - من عبادة الله وحده ، وعدم الشرك به سبحانه وهو الدين الحق الذي جاء به جميع الأنبياء كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : « أَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ » قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ » ^(٢) .

و دين الأنبياء هو توحيد الله وهو الإسلام وإنما تختلف الشرائع لاختلاف الأمم والأزمنة.

كانت هناك مجموعة مباركة من قوم عيسى - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - على الدين الخالص الدين الحق وهم قلة وكانوا يتعرضون لحرب واضطهاد شديد من اليهود بأنواع الوسائل والأساليب وفي تلك المدة كان يوجد رجل يقال له "شأؤول" هذا الرجل كان في عصر عيسى - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - لكنه لم يلتق بعيسى ، وكان جندياً يهودياً متعصباً يحارب ويقتل الذين آمنوا برسالة المسيح فهو شديد العداء لعيسى - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - و أتباعه ، كان رجلاً خبيثاً بكل ما تعني

(١) صحيح البخاري (٤٩٩٠/٦)، ومسلم (١/١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥) (١٤٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وهذه إحدى روايات مسلم.



كلمة خبيث وفي يوم من الأيام وتقريباً في تاريخ خمسين من الميلاد - في منتصف القرن الأول للميلاد - أظهر هذا الرجل فجأة تغيراً عجباً فإذا به يزعم أنه قد تحول من اليهودية إلى النصرانية وغير اسمه من (شأوول) إلى (بولس) ^(١) و اخترع هذا الرجل قصصاً وزعم أنه ما ترك اليهودية ودخل في النصرانية إلا لأمرٍ حصل له ! فزعم أنه كان يمشي في طريق دمشق فسقط نور ساطع من السماء فأضاء المكان وإذا به يسمع صوتاً يقول له :

يا شأوول لماذا تضطهذي ؟ قال فقلت : من أنت ؟ قال أنا يسوع يعني عيسى ! لماذا تضطهذي ؟ وتضطهد أتباعي ؟ قال قلت : يا رب أتوب إليك اغفر لي ما الذي افعل ؟

قال : قم فكرز بالمسيحية - أي عض وادعو إلى المسيحية - أي النصرانية - ومن حينها وبسبب هذا الاختلاق والقصة المفتراه بدأ يُظهر أنه قد تحول من اليهودية إلى النصرانية ومن العدو اللدود للنصارى إلى معلم لهم مشفق عليهم ولكي يتمكن من تحريف النصرانية زعم أنه صار يتلقى تعليمًا مباشرًا من عيسى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - من أجل أن يُقصي التلاميذ الذين تلقوا تعليمًا صحيحًا من عيسى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فعمل على إفساد النصرانية بشكل كبير

(١) هو شأوول الطرسوسي، يهودي فريسي، صاحب ثقافة فلسفية واسعة، وتلميذ العالم اليهودي عملائيل. كان يُعذَّب أتباع المسيح إلى أن أعلن اتباعه له في طريق عودته من دمشق. تبوأ مكانة متقدمة بين الحواريين بسبب ذكائه ونشاطه الدَّعوي، وقُتل في روما سنة ٦٥م. انظر: الموسوعة الميسرة (٥٦٦/٢).



فكان يقول لهم : جاءني اليسوع فكلمني بكذا وكذا وصار يزعم أنه يتلقى تعليمًا مباشرًا من عيسى - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - وهو يكذب على عيسى وإنما أراد الطعن في النصرانية وتحويلها من الديانة الحقّة التي جاء بها عيسى من عند الله إلى آلة تخدم الفكر اليهودي و تخدم الصهيونية العالمية واليهودية المحرفة ومباشرة بدأ ينتقل من مكان إلى مكان يدعو ويحرض وينشئ أجيالاً على هذه الدعوة البائرة المخترعة فأدخل على النصرانية بدعاً وأموراً كثيرة من ذلك :

- ١- اخترع لهم اسم المسيحيين أي عابدي المسيح .
 - ٢- اخترع لهم نظام القساوسة وألغى النظام القديم نظام المشايخ .
 - ٣- اخترع لهم (الأساقفة) أي رؤساء الكهنة بدلاً من الشيوخ .
 - ٤- شجع على الرهبنة (وهي نظام يهودي) .
 - ٥- حرض على زواج المؤمنين والمؤمنات من الكافرين والكافرات .
 - ٦- اخترع رسم الصليب داخل الكنيسة .
 - ٧- اخترع عبادة الصليب .
 - ٨- ألغى الصوم والأعياد .
- فهو كما سبق أول من أطلق لفظ " **المسيحيين** " على النصارى وأراد بلفظ



مسيحي أو بالمسيحيين أي عباد المسيح فاخترع لهم دينًا جديدًا وعقيدةً جديدة وقال لهم بأن اليسوع - عيسى - رب وأنه ابن الرب ويجب عليهم أن يعتقدوا ذلك وأن يعبدوه فصَدَّق كثير منهم وصاروا بعد ذلك يعتقدون عقيدة التثليث وأن عيسى أحد الآلهة الثلاثة وأظهرت عظيم الصليب - الحشبة التي صُلب عليها عيسى في زعمهم الباطل - وهذا من التناقض إذ كيف يقولون بأنه رب وأنه صُلب ؟! فأَي رب هذا الذي لا يقدر أن يدفع عن نفسه ؟!

وكيف يقولون إنه ابن الله عز وجل والعياذ بالله فهل يُسلم الوالد ولده لليهود يقتلونه ويصلبونه؟! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيراً.

أم أنه عجز عن إنقاذ ولده والعياذ بالله من هذه الكفريات التي إنما نذكرها على سبيل المحاجة لهم ؛ ولأن حاكمي الكفر ليس بكافر وهكذا هي العقائد الباطلة تجمع بين المتناقضات وهكذا بدأ التحريف الكبير للنصرانية واستمر كذلك حتى كادت النصرانية التي جاء بها عيسى - عليه السلام - أن تنتهي تمامًا وبقيت مجموعة قليلة يتزعمها عبد الله بن آريوس ^(١) الذي ثبت على

(١) آريوس "ARIAUS": كان قسيساً بالإسكندرية عاش بين (٢٥٦-٣٣٦م) وكان لثني الأصل وكان يقول: إن الله واحد فرد غير مولود، لا يشاركه شيء في ذاته تعالى، وبأن المسيح مخلوق ومصنوع. فهو يدعو إلى التوحيد ونبوة المسيح عليه السلام، وله ثلاثة آثار تنسب إليه هي:

أ- بعض منشورات من كتابه (ثاليا).

ب- رسالتان: أحدهما إلى أوزيببوس، والأخرى إلى أسقف الأسكندرية.

ج - العقيدة التي وجهها إلى الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٣٠م.

انظر: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية (٢/٢٨٦ - ٢٨٧)، لويس غردي، مختصر علم اللاهوت (٣٥/٢)، عيسى يبشر بالإسلام (ص ١٢٨، ١٤٩)، م. عطاء الرحيم والأروسية: هم أصحاب (أريوس)



وكان في زمن قسطنطين الأول، باني القسطنطينية، وأول من تنصر من ملوك الروم وهو الذي نادى بالتوحيد، والتمييز بين الخالق والمخلوق والأب والابن- على حدّ تعبير المسيحيين- فأثار نقاشا حول الموضوع، وكان الشغل الشاغل في المجتمع المسيحيّ لعدّة قرون، وآراؤه تتلخص في أنّه ليس من شأن الإله الواحد أن يظهر على الأرض، لذلك هو ملاً السيد المسيح بالقوة والكلام الإلهي، وأنّ من صفات الله الأساسية الوجدانية والأبدية وأنّه لم يخلق أحدا من ذاته رأساً، وأن الابن ليس هو الإله، بل هو مظهر لحكمة أمر الربّ، وأنّ ألوهيته إضافية لا مطلقة.

ويقول جيمس ماكنون (James Mackinon) (في كتابه «من المسيح إلى قسطنطين» :

«كان «أريوس» يلحّ على أنّ الله وحده القديم، كان الأزليّ الأبديّ، وليس له شريك، وهو الذي خلق الابن من العدم، لذلك ليس الابن هو الأزليّ، ولم يكن الله أباً من الأبد، فقد كان حين من الدهر لم يكن فيه وجود للابن، وأنّ الابن يحمل حقيقة خاصة لا يشاركه فيها الله وهو خاضع للتطورات، وليس هو الله بالمعنى الصحيح، إلا أنّه يصلح لأن يكون كاملاً، ولكّنه على كلّ حال مخلوق كامل» .

بينما كانت كنيسة إسكندرية في أوائل القرن الرابع المسيحيّ تدين بألوهية المسيح إطلاقاً من غير تفريق بين الخالق والمخلوق والأب والابن.

وقد أقصاه رئيس الكنيسة المصريّة البطريق ألكساندر (Alexander) (في سنة ٣٢١ م من كنيسة الإسكندرية، وغادر «أريوس» المدينة، ولكن لم ينته النزاع بخروجه، وحاول الإمبراطور قسطنطين حسم هذا الخلاف ولكّنه أخفق . وفي سنة ٣٢٥ م عقد مجمعا في نيقية اجتمع فيه ٢٠٢٨ أسقفاً، وكان الإمبراطور يميل إلى ألوهية المسيح فحكم ضدّ «أريوس» رغم أن أغلبية الحاضرين كانت تؤيد «أريوس» ، ولم يوافقه إلا ٣١٨ أسقفاً، فنفاه إلى إيليريا (Illyria) (وأحرقت كتاباته، وكان من وجدت عنده يعاقب.

ولكنّ هذه المحاولات لم تقلّل من أهميّة «أريوس» وإقبال الناس عليه، وكان آخر أمره أنّ «قسطنطين» لان في موقفه ورفع الحظر على عقيدته، وبعد موت منافسه الأكبر ألكساندر ونفي خليفته (Athanasius) عاد «أريوس» إلى الإسكندرية، وكاد «قسطنطين» يوليّه رئاسة الكنيسة المصريّة، ويدين بعقيدته، ولكن باغتته المنية قبل ذلك دائرة معارف الديانات والأخلاق: مقال (Arianism).

وقد تبع أريوس كثيرون، وعندما طُرد من الإسكندرية خَرَح قاصداً فلسطين وسوريا، فتحزّب له أساقفةٌ كثيرون في تلك الجهات، ولا سيّما أسقف "قيصرية" وغيره من أساقفة بيروت وصور واللاذقية وغيرها.

وقد عُقدت عدة مجامع كنسية لمناقشة تعاليمه، منها "مجمع الإسكندرية" عام ٣١٩، و"مجمع نيقية" عام ٣٢٥ بأمر الإمبراطور "قسطنطين"، و"مجمع القسطنطينية" عام ٣٣٦، وعلى الرغم من أن الغلبة في النهاية



الدين الذي جاء به عيسى ولم يبق معه إلا القلة القليلة وكان بولس قد انتشرت دعوته بشكل فظيع جدًا وتأثر بدعوته مئات الملايين من الناس .



استقرت لآراء مخالفه الذي جعلوا من المسيح إلهاً وقالوا بالتثليث، فإن تعاليمه قد انتشرت بعد موته أكثر مما انتشرت في حياته، واعتنق الملك "قسطنس" خليفة "قسطنطين" آراء أريوس، وقد أمر "قسطنس" بعقد "مجمع" في مديولان "ميلان" حضره أكثر من ثلاثمئة أسقف، وتبين أن أكثرية الآراء فيه كانت للآريوسيين، وقد بقيت التعاليم الآريوسية ممتدة في أسبانيا والولايات الجرمانية أكثر من ثلاثة قرون.

ولكن عندما وقع الانشقاق بين الآريوسيين وانقسموا إلى فرق عديدة ضعفت قوتهم، وتمكن منهم خصومهم، وفي أيام "ثيودوسيوس الثاني" صدر الأمر باستئصال الآريوسيين وإبادتهم، وكان ذلك في عام ٤٢٨ م، ويقال: إن "سرفتس" أحيا تعاليم الآريوسية في القرن السادس عشر، فذاعت هذه ب التعاليم، وسببت إزعاجاً للكنيسة التي سارعت بالقضاء على معتنقيها (راجع "دائرة المعارف للبستاني").

والأمر الجدير بالذكر هو أن الرأي الذي كان يقول به آريوس هو الرأي الذي يعتبره القرآن الكريم العقيدة المسيحية الصحيحة التي ترفض التثليث وترفض ألوهية المسيح، ومن هنا جاء هذا الاتهام الموجه إلى محمد ﷺ بأنه آريوس جديد؛ لأنه أكد بنص القرآن بشرية المسيح ورفض ما عدا ذلك.



قسطنطين ودوره في انحراف النصرانية :

وفي بداية القرن الرابع الميلادي تنصر الأمبراطور الروماني حاكم القسطنطينية ومؤسسها "قسطنطين" ^(١) .

(١) هو قسطنطين الكبير، ابن قسطنطين خلور، ووالدته هيلانة وكنا ميالين للنصرانية. بقي وثنيا حتى سنة ٣٠٨ ثم بدأ يفكر في جعل النصرانية دينا للدولة وخاصة بعد رؤيا الصليب العجيب- في زعمه- سنة ٣١٢ قبل المعركة مع مكسنتي. وقد أصدر منشورًا بحرية التحول للديانة النصرانية سنة ٣١٣ م. ولقبت هيلانة بالفندقية لأنها كانت تعمل في فندق بجران . انظر تاريخ الكنيسة المسيحية، الكسندروس مطران حمص ص ٢٢٠ وما بعدها.

وفي «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (٢/ ٥٠٠): «الإمبراطور قسطنطين الكبير: ابن غير شرعي لضابط روماني اسمه: (قنسطنطيوس) من خادمة إحدى الحانات اسمها: (هيلانة) ، ولم ينل قسطنطين حظًا وافرًا من العلم، إذ انحرف في الجندية مبكرًا، وبعد وفاة والده - الذي تقاسم الإمبراطورية الرومانية مع جليروس بعد اعتزال الإمبراطور دقلديانوس، نادى به الجند إمبراطور سنة ٣٠٦ م إلا أن القائد مكسينوس نازعه عرش الإمبراطورية، وبعد معارك طاحنة استطاع قسطنطين القضاء على منافسه في معركة جسر ملفيان سنة ٣١٢ م، بفضل دعم النصارى له بسبب تسامحه الديني الذي أظهره نحوهم بعد ما رأى كثرة عددهم في إمبراطوريته= وليضمن تأييدهم فقد ادّعى أنه رأى - قبل معركة - في حلمه صليبيًا من نور في السماء وصوتًا يقول له: بأنه سينتصر بهذا الشعار، وبعد المعركة أصدر مرسومًا سنة ٣١٣ م وفيه



وكان ذلك عام (٣٢٤) للميلاد فلما دخل هذا الحاكم في النصرانية وجد النصراري في خلاف شديد منهم من يؤيد "عبدالله بن أريوس" ومنهم من يؤيد "بولس" ومن معه واجتمعوا وتحاكموا إلى المَلِكِ قُسطنطين فعقد المَجْمَعُ الأوَّلُ مجمع "نيقة" الشهير ^(١)

وجعل قُسطنطين يسمع إلى هؤلاء ويسمع إلى هؤلاء فوجدهم متفرقين ومتشعبين إلى فرق وجماعات حضر هذا المجمع وهو الأول بمدينة نيقية ^(٢)

إلا أنه لم يعتمد ويعلن اعتناقه النصرانية رسمياً إلا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٠م. اعتبار النصرانية ديانة مرخصة، ثم في ٣٢٤م ادعى قُسطنطين اعتناقه النصرانية بدلاً عن الوثنية الرومانية

قصة الحضارة (٣٨٢/١١ - ٤٠٣)، حياة قُسطنطين - يوسابيوس القيصري، الموسوعة الميسرة ص ١٣٧٩، المسيحية نشأتها ص ١٧٢، ١٧٣، شارل جنير، يا أهل الكتاب ص ٢٠٦-٢١١، الدكتور رؤوف شليي).
(١) تم عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م بدعوة من الأمبراطور قُسطنطين، وكان يضم ٢٠٤٨ أسقفًا، أبرز أعضائه أريوس الكاهن الأسكندري الذي تبني رفض تساوي عناصر الغالوث النصراني، وقال بأن جوهر الإبن غير مساو لجوهر الأب وأنه مخلوق
(٢) نيقية: بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر القاف، وياء خفيفة، من أعمال اصطنبول على البر الشرقي، وهي المدينة التي اجتمع بها آباء الملة المسيحية. «معجم البلدان» (٥/ ٣٣٣).

قال صاحب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» (٢/ ٨٠٥): «ومدينة نيقية مدينة أزلية قديمة لا يعرف بانيتها وهي على بحيرة عذبة الماء طويلة عريضة يكون طولها اثني عشر ميلا في عرض سبعة أميال وفي البحيرة ثلاثة أجبل ومن المدينة إلى البحيرة باب صغير فإذا دهمهم خوف أو فاجأهم أمر أخرجوا الذراري من الحصن إلى الرواق ثم ساروا في الزوارق إلى تلك الجبال معتمسين بها وهي مدينة جليلة كبيرة».

وقال صاحب «أخبار سلاجقة الروم مختصر سلجوقنامه» (المقدمة/ ٥): «واندفع السلاجقة في اجتياحهم-



ألفان وثمانية وأربعون أسقفا فتم اختيار ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً متفقين ; فوضعوا شرائع النصرانية وكان رئيس هذا المجمع بطرق الاسكندرية .
وحضر الاجتماع البطارقة الثلاثة الآخرون: بطرك انطاكية - بطرك مدينة رومية - بطرك القسطنطينية .

❖ **قال الشهرستاني :** واتفقوا - على قولهم: " نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شئ، وصانع ما يُرى وما لا يرى وبالأبن الواحد يسوع المسيح، ابنُ الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شئ من أجلنا، ومن أجل معشر الناس، وَمِنْ أَجْلِ خَلَاصِنَا، نَزَلَ مِنْ

عند ذاك- لمنطقة آسيا الصغرى حتى بلغوا «نيقية» على ساحل بحر «مرمرة» فاتخذوها عاصمة لدولتهم التي أسست في سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٨ م) كجناح من أجنحة الإمبراطورية السلجوقية العظمى التي كانت تتمركز في إيران. وقد أطلق على هذا الجناح اسم «سلاجقة الروم». ثم ما لبثوا- بعد بضعة أعوام- أن نقلوا عاصمتهم إلى «قونية» تحت الضَّغط المتواصل للحملات الصليبية .

وفي «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (٢/ ٥٠٠):

نيقية: مدينة قديمة بآسيا الصغرى اسمها اليوم: (أزنيق) ، أسست في القرن (٤ ق. م) وكانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية (١٢٠٤-١٢٠٦ م) .

«الموسوعة الميسرة ص ١٨٦٧، المنجد في الأعلام» (ص ٧٢١) .



السَّمَاءِ وَتَجَسَّدَ من روح القدس وصار إنسانًا، وحبل به، وولد من مريم البتول، وقتل وصلب أيام فيلاطوس ودفن، ثم قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيئ تارة أخرى بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه، وبعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية وبقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين " (١) .

❖ **قال ابن كثير :** (فَصَارَ الْمَلِكُ إِلَى قَوْلٍ أَكْثَرَ فِرْقَةٍ انْفَقَتْ عَلَى قَوْلٍ مِنْ تِلْكَ المقالات ، فسموا الملكية وَدَحَضَ مَنْ عَدَاهُمْ وَأَبْعَدَهُمْ وَتَفَرَّدَتِ الْفِرْقَةُ الثَّابِعَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ آرْيُوسَ الَّذِي ثَبَّتَ عَلَى أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ فَسَكَنُوا الْبَرَارِي وَالْبَوَادِي وَبَنَوْا الصَّوَامِعَ وَالِدِّيَّاتِ وَالْقَلَايَاتِ وَقَبِعُوا بِالْعَيْشِ الزَّهِيدِ وَلَمْ يُخَالِطُوا أَوْلَئِكَ الْمَلِلَ وَالنَّحْلَ وَبَنَتِ الملكية الْكَنَائِسَ الْهَائِلَةَ عَمَدُوا إِلَى مَا كَانَ مِنْ بِنَاءِ الْيُونَانِ فَحَوْلُوا مُحَارِبِيهَا إِلَى الشَّرْقِ وَقَدْ كَانَتْ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى الْجُدْيِ) (٢) .

❖ **وقال صاحب «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (١/ ١٩١) :** (انعقاد مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م وتقريره لألوهية المسيح والتثليث، ثم انخياز الإمبراطور قسطنطين - الذي كان وثنيًا - إلى ذلك الرأي وتأييده بجاه السلطان وقوة السنان. وكان لنشره تلك العقيدة أكبر الأثر في انتشارها واعتبارها الدين

(١) الملل والنحل ص (١٠١) .

(٢) «البداية والنهاية ت شيري» (٢/ ١٢٠) .



الرسمي للإمبراطورية الرومانية.

بذلك يتبين لنا الترابط الوثيق بين النصرانية المنحرفة والديانات الوثنية والفلسفية السابقة عليها كما حكم القرآن الكريم عليهم من قبل، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. [سورة التوبة، الآية: ٣٠].

وهكذا أدخل الملك قسطنطين على النصرانية كثيرًا من طقوس الوثنية الرومانية فزاد الطين بلة واندمجت الوثنية بالنصرانية حتى أصبحت هي الغالبة وظهر منصب البطريرك الأكبر (البابا) ^(١) مقابلًا لمنصب الكاهن الأعظم الوثني وسرعان ما تحول الدين النصراني كله لدعم سلطان البابا حتى صرح البابا في يوليو ١٣ عام ١٨٩٤ م بأنه يمثل على هذه الأرض مكانة الله العلي القدير " وبمعنى آخر صار البابا نائبًا عن الله في الأرض وهكذا توسعت عقيدة التأليه ، بولس جعلها لعيسى مع الله والطقوس الوثنية جعلتها للبابا وقد جاء في المجلة الكاثوليكية العالمية عدد يوليو ١٨٩٥ م : (يؤمن الكاثوليك أن البابا ليس ممثلًا للمسيح فحسب وإنما هو يسوع المسيح نفسه مختبئ تحت ستار البشرية وأمره نافذ في السماء قبل الأرض)!! ويُطلق عليه الكاثوليك لقب :

(١) البابا : لقب كنسي، يطلق على الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية الجامعة (الرومانية الغربية)، ويتم انتخابه عن طريق مجلس الكرادلة، ويكون من أصل إيطالي غالبًا، ويكون انتخابه مدى الحياة، وله أن يستقيل؛ لكن لا يمكن أن يقال، ويعطى حق العصمة في الأمور الدينية. انظر: الموسوعة العربية (٤ / ٥١٣).

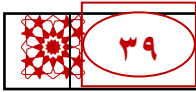


(البابا ، الرب ، الإله) ويسجدون له !! وامتد أسلوب التنازل للوثنية والاستخفاف بأوامر الله فألغيت الوصية الرابعة الخاصة بتقديس يوم السبت واستبدل بيوم الشمس " Sunday " الأحد الذي يقدسه الوثنيون وصبغوا ذلك بصبغة دينية مخادعة حيث جعل الأحد (يوم قيامة المسيح من قبره وانبعاث نوره) يوم الصلوات الأسبوعية الرسمية وفرض البابا صيام يوم السبت الذي يسبق أحد القيامة ! ليزيد من تحقير هذا اليوم المقدس فيصبح يوم حزن وكآبة وكراهية لليهود وجاءت السلطة السياسية لتدعم خداع الكنيسة ^(١) فأصدر قسطنطين مرسومًا يجعل الأحد يومًا للاحتفالات الجماهيرية في الإمبراطورية كلها وذلك بدعوى توحيد الأمة وجمع كل عناصرها من نصارى ووثنيين على تقديس يوم واحد وزعموا بأن الأحد سببًا مسيحيًا رغم أنه لا يوجد في كتبهم المقدسة أي إشارة لتقديس المسيح أو تلاميذه ليوم الأحد .

وأما دعوة "عبد الله بن أريوس" الدعوة الخالصة التي كانت على التوحيد الخالص الذي جاء به عيسى بن مريم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقد انقرضت أو كادت لهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وإن الله نظر إلى الناس فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب » ^(٢) .

(١) الكنيسة: مكان عبادة النَّصارى. والكنائس تشترك في تصميم واحد على هيئة الصليب غالباً، وأشهرها: كنيسة بطرس في الفاتيكان، وكنيسة أيا صوفيا في إسطنبول التي صارت جامعاً ثم متحفاً، وكنيسة المهدي في بيت لحم، وكنيسة القيامة في القدس. وتسمى بعض الكنائس في المدن الكبرى "كاتدرائية"، وأشهرها الكاتدرائية المرقسية في مصر. انظر: الموسوعة العربية (٤/ ٥١٣).

(٢) رواه مسلم برقم (٦٣-٢٨٦٥) عن عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .



ومابقي إلى يومنا هذا أحد منهم على توحيد ما بقي إلا دعاة التثليث الذين يزعمون أن عيسى ابن الله والذين يعبدون الصليب والذين يعتقدون العقائد الباطلة وأصحاب صكوك الغفران والحرمان والتعميد وغير ذلك مما تملي عليهم العقائد اليهودية الدخيلة على النصرانية .





مارتن لوثر ودوره في انحراف النصرانية

ومرت الأيام حتى عام (١٥٢٣) م أي بداية القرن السادس عشر الميلادي والنصرانية على هذه الحالة فظهر رجل أُطلق عليه بعد ذلك في الديانة النصرانية زعيم الإصلاح الديني أو قائد الإصلاح الديني هذا الرجل اسمه " **مارتن لوثر** " (Martin Luther) ^(١) راهب نصراني ألماني زنى براهبة أثناء زيارته لأحد أديرة ^(٢) النساء ثم تزوجها ثم جاء إلى البابا الذي هو القائم على الكنيسة الكاثوليكية في " روما " وطلب منه الغفران فلم يغفر له البابا بل أصدر أمراً بجرمانه من دخول الجنة !! فاختلف معه ورفضه "مارتن" وقال إن الديانة النصرانية تحتاج إلى إصلاح وتصحيح وتبعه خلق كثير فأسس مذهباً نصرانياً جديداً هو " **البروتستانت** " وهذه المدرسة النصرانية الجديدة " **البروتستانت** " ليست أقل ضرراً ولا أقل خطراً من المدرسة النصرانية العالمية

(١) ولد سنة (١٤٨٢) من أبوين فقيرين، ولكن أباه أجهد نفسه، وأراد أن يصل به إلى أقصى درجات الثقافة، ومكّن له ليكون قانونياً، فأرسله إلى الجامعة، ولكنه عجز عن إتمام دراسته القانونية، وعكف على دراسة اللاهوت.

وفي سنة (١٥٢٩) حاول الأباطور أن ينفذ ضده قرار الحرمان الصادر سنة (١٥٢١) ولكن أنصار لوثر احتجوا على ذلك، ومن ذلك الحين سموا " البروتستانت " أي المحتجين .

انظر: «محاضرات في النصرانية» (ص ١٨٠).

(٢) الأديرة جمع دير، وهو مكان يوجد به كنيسة، ويعيش به مجموعة من الرهبان والزاهبات حياة الرهبانية، حيث الانقطاع عن الزواج، وعدم تناول الطعام إلا قَدْر الضرورة. يرأس الدير أحد الرهبان، ويخصص لكل راهب حجرة تسمى القلاية. انظر: قاموس المصطلحات الكنسية على الموقع: st-



الكاثوليكية ولكن هذا يأتي ضمن الاختراق اليهودي لأن هذا الرجل أيضًا جاء بفكرة أكبر مما جاء به الأول "شاول" فأدخل تعديلات على الديانة النصرانية كثيرة وألف كتابًا عنوانه: **"المسيح ولد يهوديًا"** وبدأ يقرر بأن جميع الكتب تنزل على اليهود بلسان اليهود و النصارى إنما هم ضيوف غرباء على الأمة اليهودية ويجب على النصارى أن يعرفوا قدر أنفسهم و قدر هذه الأمة المقدسة وهكذا تحول اليهود من أمة غضب وأمة ملعونة في نظر النصارى السابقين إلى أمة مقدسة بسبب هذا الدس .

«فقام "مارتن لوثر وكافح" "تعاليم الشيطان" كما سماها..وهي تعاليم البابوية والكنيسة الكاثوليكية، فحارب "صكوك الغفران" ونظر إليها كوسائل للرق والعبودية، وألقى الأضواء على عقيدة "التثليث" كما حارب سلطة "البابا"، وجعل السلطة الوحيدة في المسيحية هي الكتاب المقدس ^(١) وكلمة الله "النص"

(١) الكتاب المقدس عند النصارى يشمل التوراة؛ وتسمى العهد القديم، والإنجيل؛ ويسمى العهد الجديد. والعهد القديم هو أسفار التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار الكتب (ويؤمن البروتستانت بـ ٣٩ سفرًا منها، في حين أنها عند الكاثوليك ٤٦ سفرًا، وعند الأرثوذكس والإنجيليين ٥٣ سفرًا). والعهد الجديد هو الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) ورسائل بولس (١٤ رسالة) والرسائل الكاثوليكية (٧ رسائل) وسفر أعمال الرسل وسفر رؤيا يوحنا.

انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (ص ١٢٧، ١٣٠، ٣٦٢).

والباحث إذا ذكر في أي موضع من البحث؛ مصطلح الكتاب المقدس، فالمقصود به ما عرف به هنا، وقد



وطالب بالحرية في بحث الكتاب، ولكن ليست أية حرية على العموم.. ومع ذلك جعل الكتاب المقدس نفسه هو مصدر الحقيقة فيما يتصل بالإيمان، ثم جعل "الإيمان" في الاعتبار والقيمة مقدماً على أي شيء آخر عداه، من العقل أو الطبيعة. هذه هي قصة "مارتن لوثر" الذي صارت شخصيته تُدرس وتُمثل وإن مما يؤسف له أننا قرأنا عن دولة عربية مسلمة تتبرع بمبلغ ضخم لإنشاء تمثال تذكاري في واشنطن لهذا الراهب القسيس الكافر "مارتن لوثر" ولكن هكذا تصبح الأحوال في زمن غربة الدين وأهله.

وجاء بعد لوثر "كالفن" (Calvin) وأقر لوثر على أن: الإنجيل وحده هو المصدر "للحقيقة المسيحية" دون تفسيراته وشرحه، وأوضح رأيه في عقيدة التثليث وفقاً لأصول المسيحية الصحيحة.

وبحركة "لوثر" و"كالفن" الإصلاحية، تعرضت المسيحية للجدل الفكري وأصبحت موضوعاً للنقاش العقلي والمذاهب الفلسفية، والمسيحية التي تعرضت لذلك هي المسيحية التي تناوها لوثر بإصلاحه أي: الكاثوليكية البابوية^(١).

والعجيب أن دعوة "مارتن لوثر" وجدت رواجاً كبيراً وقبلتها دول بكاملها كـ "بريطانيا وأمريكا" فهما على المذهب البرتستانتي، وأما فرنسا وإيطاليا وغيرها فإنهما على المذهب الكاثوليكي وهي مركز القيادة للنصارى.

لا يذكره الباحث مقيداً بكونه الكتاب المقدس عند النصارى؛ اختصاراً واعتماداً على تقييده بما ذكر هنا.

«التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية» (ص ٧٠ بترقيم الشاملة آليا).

(١) «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» (ص ٢٥٠).



ودعاة السلام في عصرنا يعلنونها حرباً صليبية على أمة الإسلام!!

وهذا التقسيم أثر على السياسة العصرية بشكل كبير وعلى سبيل المثال :
لما نأتي إلى " **وعد بالفور** " لليهود بفلسطين يتبين أن القضية مبيتة من قديم
وأنها عبارة عن خطط مدروسة وأن بريطانيا لم تقف مع اليهود هكذا بدون
دوافع دينية أو لمجرد دوافع سياسية أو لمجرد الانتصار المفاجئ ؛ بل لأن
النصرانية بالذات النصرانية البرتستانتية هي في الحقيقة ربيبة اليهودية وأيضًا
لا تعجب من وقوف أمريكا - دمرها الله - إلى جانب اليهود في فلسطين ولا
تظن أن الوقوف إنما كان إلى جانب من غلب أو أن ذلك إنما كان ويكون
لأجل مصالح سياسية أو اقتصادية بل هو اتجاه عقدي ديني وقد صرح بذلك
بعض الرؤساء الأمريكيين فهذا " **بوش الابن** " لما وقع تفجير البنتاجون
الأمريكي في أحداث ١١ سبتمبر تصرف بتلقائية تحركها الذهنية الغربية، أو
كما عبر بعضهم (الاشعورسياسي) أو ما يسمى بـ (فلتات اللسان) ليلخص
في كلمة واحدة الموروث المتراكم والهائل من العداء والخوف الموجه للعرب
والمسلمين عندما قال: " **سنشنها حرباً صليبية** " وأن هذه الحرب ستمتد لعشر
سنوات وستطال ستين دولة والمقصود بها الدول العربية والإسلامية وإن
تراجع، ليؤكد أن الكلمة التي تفوّه بها لا تعني الحملات الصليبية القديمة
الموجهة ضد الأرض العربية ؛ بل بمعنى (الحملة) كما تستخدم الكلمة في
السياق الغربي! ^(١)

(١) «مجلة البيان» (٢٣٣/٢٤) .



فقلوه : (سنشنها حرباً صليبية) يعني سنعيد التاريخ من جديد ونعلنها حرباً صليبية على أهل الإسلام .

وقد أخرج نفسه وأخرج قادة الغرب بفلته لسانه هذه التي ماكانوا يريدونها بهذه الصراحة وقد صدق من قال " فلتات اللسان تأتي بالإنسان " .

ولما ناقشه السياسيون والصحفيون حول هذا الكلام وكان من جملة الأسئلة : كيف تقول : (ستشنها حرباً صليبية) وأمريكا تتزعم الدعوة إلى السلام العالمي ؟ أين السلام العالمي من الحرب الصليبية ؟ وأين ... ؟ وأين ... ؟ .

حينها قال : " هذه فلتة لسان " ! **ونحن نقول :** فلتة اللسان هذه ماجات من فراغ وإنما جاءت من عقيدة عند القوم وإن حاولوا أن لا يظهروها وهم سيظهرونها في الوقت المناسب متى أرادوا ، حينما يرون الفرصة سانحة لهم .

والحقيقة أن فكرة الحروب الصليبية التي أثارها الرئيس بوش ليست جديدة؛ فهناك تقرير قدم في عهد الرئيس ريجان في سنة ١٩٨٤م وسُمي: **« الدخول في مرحلة الحروب الصليبية الثالثة »** هذا التقرير كان يتكلم عن التعامل مع المنطقة العربية والإسلامية؛ ولهذا لم تكن زلّة لسان من بوش ولم تكن مسألة طفوية. بل يقال إن أول تقرير قرأه بوش بعد ولايته للحكم هو هذا التقرير واستدعى الكثيرين ليناقشهم فيه .

وفي مقال منشور في جريدة الأسبوع المصرية في ٢٤ / ٢ / ٢٠٠٣م ما نصه: "التقرير الذي نشرته مجلة دير شبيغل الأولى في ألمانيا وإحدى أهم المجلات الأسبوعية



الأوروبية والعالمية، كتبه كل من (هانز هو بنج) و (جيرهارد شبرول) ولأهميته، تم وضعه ليكون عنوان الغلاف في عددها الصادر يوم الاثنين ١٧ فبراير ٢٠٠٣م ويحمل عنواناً (في مهمة إلهية حرب جورج بوش الصليبية)، بدأها الكاتبان بالتأكيد على أن الرئيس بوش لا يريد باجتياحه بغداد إلا أن يقوم بتنفيذ (تكليف إلهي) يقوم على أفكار مسيحية يمينية متطرفة، وعلى ما يبدو فمن النادر أن تجتمع المصالح القومية المتطرفة، والأصولية الدينية الأمريكية بهذه القوة، كما هي اليوم إلى الحد الذي أصبح فيه المسيحيون المتحمسون يطالبون علناً بشن (حرب صليبية) ضد الإسلام". وتضيف المجلة: " أنه كلما اقتربت حرب العراق، ازداد الرئيس في الحديث عن معتقداته وقيمه.

لذا فإن تقواه الدينية لها تأثير كبير على تعامله مع هذه القضية، ورغم أنه يعرف أن أمريكا في أزمة وطنية إلا أن الرئيس يقدم نفسه كواعظ، بل ويتحدث عن أسس سياسته بطريقة أقرب إلى نبرة القساوسة".

فبوش يقول: "إنني مقتنع بأن الله وضعني في مناصبي في هذه اللحظة التاريخية، أرجو أن أكون قبل الجميع قوياً بما يكفي لتحمل هذه المهمة المقدسة". ويضيف قائلاً: " لقد نادانا الله للدفاع عن بلدنا ولنقود العالم إلى السلام".

وتعلق مجلة (دير شبيغل) على ذلك بقولها: "إن البيت الأبيض لا يمثل فقط قلب وعقل القوة العظمى اليوم بل هو أيضاً مكان تجمع الأتقياء والمتدينين".



وتنهي **(دير شبينغل)** تقريرها بعبارة قالها **(بوش)** للبحرية الأمريكية في فلوريدا يوم الخميس ١٣ / ٢ / ٢٠٠٣م بقوله: **"ترغب أمريكا في أن تكون بلدًا فوق الجميع"**، مستندة في ذلك إلى مفاهيم إنجيلية قد سبق لعدد من الرؤساء الأمريكيين الحديث عنها وهي أن: **"البشرية بكاملها يجب أن تنظر لأمريكا كيو توبيا واقعية لمدينة القدس السماوية كمدينة إلهية على الأرض"**.

مثل هذه الادعاءات المفرطة غير المعقولة هي التي تهيمن على السياسة الخارجية الأمريكية ^(١).

وصدق الله القائل: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

فالذي في صدورهم من الغيظ والعداوة والبغضاء للإسلام والمسلمين أكبر وأعظم مما يظهر على ألسنتهم.

- وَالْفِرَنْسِيُّونَ أَيْضًا صَلِيبِيُّونَ: فالجنرال غورو ^(٢).

عندما تغلب على جيش مَيْسَلُونُ خارج دمشق توجه فوراً إلى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي، بعد أن جاءه راكباً سيارة مكشوفة، وترجل إلى القبر وركله بقدمه وقال له قولته المشهورة: «هَذَا قَدْ عُدْنَا يَا صَلاَحَ الدِّينِ» ^(٣).

(١) «الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم» (٢/ ٢٩٤).

(٢) الجنرال هنري جوزيف أوجين غورو (بالفرنسية: Henri Joseph Eugène Gouraud) (و ١٧ نوفمبر ١٨٦٧ - ت. ١٦ سبتمبر ١٩٤٦) قائد عسكري فرنسي قاد الجيش الفرنسي في نهاية الحرب العالمية الأولى في الحرب التركية الفرنسية (١٩١٩ - ١٩٢٣).

(٣) «قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله» (ص ٢٧) عن "القومية والغزو الفكري" (ص ٨٤).



وفي اليوم التالي عمل الشئ نفسه في حمص، حيث ذهب إلى قبر (خالد بن الوليد) - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - وقال: (نحن هنا يا خالد).^(١)

ويؤكد صليبية الفرنسيين ما قاله مسيو بينو^(٢) عندما زار بعض البرلمانيين الفرنسيين وزير خارجية فرنسا وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش أجابهم: «إِنَّهَا مَعْرَكَةٌ بَيْنَ الْهَلَالِ وَالصَّلِيبِ»^(٣)

- وهكذا بريطانيا صليبية أيضًا:

فحينما دخل اليهود فلسطين في الحرب العالمية الأولى قال الضابط البريطاني "المارشال أللني" الذي استولى على بيت المقدس يوم ١٨ / ١٢ / ١٩١٧ م ممثل الحلفاء: إنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، ورومانيا، وأميركا، قال عند هيكل سليمان: **(اليوم انتهت الحروب الصليبية)** نشرت حينها الصحف البريطانية صور أللني وتحتها عبارته هذه المشهورة. فهذا القائد يعبر عن الروح الأوروبية، الصليبية التي ظلت متوهجة في أعماقهم طوال تلك الحقب، ونشرت الصحف أيضًا خَبَرًا آخَرَ يُبَيِّنُ أن هذا الموقف ليس موقف اللّئي وحده بل موقف

(١) انظر: الدكتور توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية: ص ٧٠٧. وانظر كذلك: نجيب الكيلاني، الإسلامية والقوى المضادة: ص ١٤٢، طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ هـ

(٢) هو كريستيان بينو Christian Pineau ولد في ١٤ / ١٠ / ١٩٠٤ في شومون - (Chaumont Haute-Marne) وتوفي في ٥ / ٤ / ١٩٩٥ في باريس، وهو سياسي وأحد المقاومين الفرنسيين، خريج كلية الحقوق، وحاصل على الشهادة في العلوم السياسية، تولى منصب وزارة الخارجية الفرنسية من شهر فيفري (فبراير) ١٩٥٦ إلى ماي (مايو) ١٩٥٨ .

(٣) «قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله» (ص ٢٧) عن "مأساة مراكش"، روم رولاند: (ص ٣١٠).



السياسة الإنكليزية كلها، حيث قالت الصحف:

- «هَنَّا لُوِيْدُ جُوْرْجُ وَزِيْرُ الْحَارِجِيَّةِ الْبَرِيْطَانِي الْجِنْرَالُ اللَّيْ فِي الْبَرْلَمَانِ الْبَرِيْطَانِي، لِإِحْرَازِهِ النَّصْرَ فِي آخِرِ حَمَلَةٍ مِّنَ الْحُرُوبِ الصَّلِيْبِيَّةِ، الَّتِي سَمَّاها لُوِيْدُ جُوْرْجُ الْحَرْبَ الصَّلِيْبِيَّةَ الثَّامِنَةَ» ^(١) .

فهي إذن حرب صليبية من قديم وإلى يومنا هذا .

❖ وقال " باترسون سمث " في كتابه " حياة المسيح الشعبية : (باءت الحروب الصليبية بالفشل لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك حينما بعثت إنكلترا بحملتها الصليبية الثامنة ففازت هذه المرة إن حملة " أللبي " على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة) ^(٢) .

❖ وقال " بيترسن سميث " في كتابه عن سيرة المسيح: « إن هذا الإستيلاء على بيت المقدس كان حرباً صليبية ثامنة أدركت المسيحية فيها غايتها » ^(٣) .

❖ وقول اللبي : " الآن انتهت الحروب الصليبية " معناه "لقد قضينا على الأمة الإسلامية التي كانت تعلن الجهاد وتواجه وتقاتل لقد صارت ميتة ما عاد بقي شيء اسمه حروب صليبية بيننا وبين المسلمين لأن المسلمين كلهم صاروا لعبة في أيدينا لقد حققنا الهدف الذي لأجله قامت الحروب الصليبية من قديم .

(١) «قادة الغرب يقولون دمرُوا الإسلام أبيدوا أهله» (ص ٢٦).

(٢) « عودة الحجاب » (١/ ٩٥) نقلاً عن مجلة الطليعة القاهرية - مقال وليم سليمان عدد ديسمبر ١٩٦٦ - ص (٨٤).

(٣) حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ص ٣٥٧).



هكذا قال وهكذا ظن والله غالب على أمره فهو القائل سبحانه وتعالى :
﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] .

- وقال الجنرال " كاترو " في دمشق سنة ١٩٤١: (نحن أحفاد الصليبيين ^(١) ،
فمن لم يعجبه حكمنا فليرحل) ! وينطق باسمها زميل له في الجزائر سنة ١٩٤٥
بنفس الألفاظ والمعاني ^(٢) .

- وفي عام ١٩٩٢م، في بداية حرب البوسنة صرح وزير الإعلام الصربي
قائلاً: (نحن طلائع الحروب الصليبية الجديدة) ^(٣) .

(١) (الصليبيون) ترجمة لكلمة (كروسيترز Crusaders المشتقة من كلمة كروس cross) ، ومعناها صليب. وهي عبارة تُستخدم في الخطاب السياسي والتاريخي في الغرب للإشارة إلى الصليبيين الذين شنوا عدة حملات على العالم العربي والإسلامي في القرن الثاني عشر، وقد تَبَيَّنَ كثير من العرب المحدثين هذا المصطلح. وتُسمَّى (حروب الصليبيين) في الخطاب الغربي (الحروب الصليبية) نسبة إلى الصليب. وهو مصطلح يُطَلَّق على الحروب التي شنها حكام أوروبا المسيحية الإقطاعية لاحتلال فلسطين إبان العصور الوسطى. وهي حروب كانت تساندها حركة سياسية واجتماعية ضخمة قادتها النخبة الحاكمة (الكنيسة والنبلاء) ووجدت صدى عميقاً لدى الجماهير الشعبية التي انضمت إليها بأعداد ضخمة لم تضعها النخبة الحاكمة نفسها في الحسبان » .

انظر : « الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم » (٣/ ٢٣٤) .

(٢) « مجلة الرسالة » (٩٧٢/ ٢ بترقيم الشاملة آليا) .

(٣) « مجلة البيان » (١١٨/ ٧٤ بترقيم الشاملة آليا) .



❁ وقال " جورج بيدو " الذي تولى وزارة الخارجية الفرنسية سنة ١٩٦٣م: " إنه لن يترك الهلال يتغلب على الصليب " ^(١)

- وفي نوفمبر سنة ١٩٩٥ م تحدّث الكُتّابُ الغريُّون بفخرٍ عن ذِكرى مرور ٩٠٠ سنة على انطلاقِ أولِ حَمَلَةٍ صليبية، مما يدل على أن تلكَ الحِقْبَةَ ما زالت حَيَّةً في عقولِ الغربيين " ^(٢)

❁ وقال " راندولف تشرشل " : (لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود) ^(٣) .

وإنما أكثرت من النقل في هذه المسألة ليتبين زيف السلام العالمي الذي انخدع به كثير من المسلمين وظنوه حقاً وصدقاً .

انتهينا الآن من مقدمة أساسية مهمة وهي كيف تحولت النصرانية إلى عصا في يد اليهود وكيف صارت النصرانية آلة تخدم المطامع الصهيونية وعرفنا من خلال هذا السرد المختصر هذه الاختراقات وكما فعلوا مع النصارى عن

(١) التبشير والاستعمار (ص ١٧٨) نقلا عن مصادر غربية .

(٢) «وا محمداه إن شانتك هو الأبتَر» (٣٠٨ / ٤) نقلاً عن " المنصفون للإسلام في الغرب " (ص ٢٥ - ٢٦) .

(٣) قادة الغرب يقولون " عن (حرب الأيام الستة) لRANDOLPH T. T. (١٣٩) من الترجمة العربية .



طريق "بولس" و "مارتن لوتر" فعلوا مع المسلمين عن طريق "عبد الله بن سبأ اليهودي" و "ميمون القداح" وهكذا هي خطط اليهود دائماً ومع ذلك فدين الإسلام بمحمد الله محفوظ وليس كالنصرانية فالنصرانية التي جاء بها عيسى انتهت مابقي لها وجود على وجه الأرض ولذلك لما ينزل عيسى بن مريم - عليه السلام - إلى الدنيا أيام المسيح الدجال فإنه لن يحكم إلا بشريعة محمد ﷺ فيقتل الخنزير ويكسر الصليب الذي الآن يقاتل النصارى تحته ويعتقدون فيه الإعتقادات الباطلة سيكسره عيسى بن مريم و أملنا بالله عز وجل أن يحصل انتصار كبير وكثير لأمة الإسلام على هؤلاء المجرمين الكافرين في معارك ومواجهات قبل نزول عيسى بن مريم .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ علينا ديننا وبلداننا و من أرادنا وأراد ديننا وبلادنا بسوء نسأل الله أن يكرهه وأن يقطع دابره إنه على كل شيء قدير .

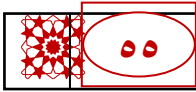
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الحلقة الثالثة

معركة – ملازكرد^(١)

(١) ملازكرد أو منازكرد أو منازجرد: بعد الألف زاي ثم جيم مكسورة، وراء ساكنة، ودال. وأهله يقولون: منازكرد، بالكاف. بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم يُعدّ في أرمينية، وأهله من الأرمن. (معجم البلدان ٥/٢٠٢).



مقدمة

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد:

تكلّمنا في الحلقة الماضية عن اختراق اليهود للنصارى عن طريق شخصيات كبيرة منها المدعو "بولس" ومنها الشخصية النصرانية الخبيثة "مارتن لوثر" الذي سبق ذكره والآن سنتحدث عن معركة عظيمة عرفت في التاريخ بمعركة "ملازكرد"

فقد ذكر المؤرخون أن من جملة أسباب الحروب الصليبية معركتان عظيمتان وقعتا بين المسلمين وبين النصارى إحداهما في المشرق والأخرى في المغرب فأما التي وقعت في المشرق فهي معركة "ملازكرد" التي وقعت في محافظة "موش" قريب من بحيرة وأن التركية بشرقي تركيا بقيادة القائد المسلم السلطان "ألب أرسلان" أشهر سلاطين السلاجقة واسمه محمد بن داود بن ميكائيل السلجوقي هذا الرجل التركي كانت له مواقف عظيمة في نصرته الإسلام والمسلمين وكان قائداً صالحاً ورعاً مجاهداً أفنى عمره في قتال النصارى وفي نصرته هذا الدين - عليه رحمة الله - و"ألب أرسلان" هذا لقب ومعناه باللغة التركية "الأسد الشجاع" وإلا فاسمه محمد وكنيته "أبو شجاع" هذا الرجل



خاض معارك كثيرة مع النصارى أشهرها "ملازكرد" هذه المعركة التي سميت باسم ذلك المكان الذي وقعت فيه.

- متى كانت ؟

كانت يوم الجمعة ٢٧ ذي القعدة عام ٤٦٣ هـ / أغسطس ١٠٧١ م .
وقيل كانت في يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِحُمُسٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ لعام ٤٦٣ هـ .

- مَنْ قائد المسلمين فيها ؟

قائد المسلمين في هذه المعركة هو السلطان السلجوقي " آلب أرسلان " واسمه محمد بن داود بن ميكائيل السلجوقي أشهر سلاطين الدولة السلجوقية . تولى حكم الدولة السلجوقية بعد وفاة عمه طغرل سنة ٤٥٥ هـ ، واستطاع هزيمة البيزنطيين في موقعة ملازكرد بآسيا الصغرى سنة ٤٦٣ هـ توفي سنة ٤٦٥ هـ ، وتولى عرش الدولة السلجوقية بعده ولده ملكشاه وبلغت تلك الدولة في عهده أقصى اتساعها . من أحفاد سلجوق وكان سلجوق رئيساً لقبيلة من قبائل الأتراك الغزّ .

- مَنْ قائد النصارى في هذه المعركة ؟

قائد النصارى الصليبيين في هذه المعركة هو إمبراطور الروم " أَرْمَانُوسُ " دايمينس الرابع



تفاصيل المعركة :

خرج مَلِكُ الرُّومِ أَرْمَانُوسُ - الرابع - يريد محاربة المسلمين والقضاء عليهم في جَحَافِلٍ عَظِيمَةٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنَ الرُّومِ وَالْكُرْجِ وَالْفَرَنْجِ وَعُدَدٍ عَظِيمَةٍ وَتَجْمُلٍ هَائِلٍ، وَمَعَهُ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنَ الْبَطَارِقَةِ مَعَ كُلِّ بِطَرِيقٍ مَا بَيْنَ أَلْفَيْ فَارِسٍ إِلَى خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ، وَمَعَهُ مِنَ الْفَرَنْجِ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَمِنَ الْعُرَّ الَّذِينَ يَكُونُونَ وَرَاءَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خَمْسَةٌ عَشَرَ أَلْفًا، وَمَعَهُ مِائَةُ أَلْفٍ نَقَابٍ وَحَقَّارٍ، وَأَلْفُ رَوَزَجَارِيٍّ، وَمَعَهُ أَرْبَعُمِائَةِ عَجَلَةٍ تَحْمِلُ التَّعَالَ وَالْمَسَامِيرَ، وَأَلْفًا عَجَلَةً تَحْمِلُ السَّلَاحَ وَالسُّرُوجَ وَالْعَرَادَاتِ وَالْمَجَانِيْقَ، مِنْهَا مَنْجَنِيْقٌ يُمِدُّهُ أَلْفٌ وَمِائَتَا رَجُلٍ ^(١)

خرج هذا الصليبي الحاقدا بهذه الأعداد الهائلة التي بلغت كما ذكر بعضهم نحواً من ثلاث مئة ألف مقاتل وعزم على استئصال الإسلام واقتلاعه من جذوره وعزم على تصفية ما وراء النهر وأنه سيصل إلى العراق ويقضي على المسلمين في بغداد ويتحرك إلى الشام وينتزع فلسطين وبيت المقدس من يد المسلمين وقد قام بتقسيم الأراضي على بطارقه قبل أن يبدأ المعركة وقبل أن يصل إلى أطراف الدولة الإسلامية من باب الإغراء وشحن الهمم فبدأ بتوزيع

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث (١٢/ ١٢٣).



الأراضي الواسعة لبطارقه البطريق الفلاني له الأرض الفلانية والبطريق الفلاني له الأرض الفلانية ، فَأَقْطَعَ بِطَارِقَتَهُ الْبِلَادَ حَتَّى بَغْدَادَ ، وَاسْتَوْصَى نَائِبَهَا بِالْخُلَيْفَةِ خَيْرًا ، فَقَالَ لَهُ : ارْفُقْ بِذَلِكَ الشَّيْخَ فَإِنَّهُ صَاحِبُنَا ، ثُمَّ إِذَا اسْتَوْثَقْتَ مَمَالِكُ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ لَهُمْ مَالُوا عَلَى الشَّامِ وَأَهْلِهِ مَيْلَةً وَاحِدَةً ، فَاسْتَعَاذُوهُ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، وَالْقَدَرُ يَقُولُ : « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ » [الحجر: ٧٢] فَالْتَقَاهُ السُّلْطَانُ أَلْبُ أَرْسَلَانَ فِي جَيْشِهِ وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا ، بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الزَّهْوَةُ ، فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِحَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ)). (١) .

وصل خبر تحرك هذا المجرم الأثيم إلى القائد المسلم العظيم " ألب أرسلان " وكان عائدًا من حلب بجيش قد أرهقته المعارك وأنهكته الحروب وكان عدد جيشه في نحو خمسة عشر ألف مقاتل (٢) وقيل في نحو عشرين ألف فارس فلما وصله الخبر حار في أمره ولم يدر كيف يصنع إلا أنه قرر المواجهة مستمدًا العون من الله سبحانه وتعالى ووقف معه الفقيه العالم أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري - رحمه الله - وقال له : (أيها السلطان إنك إنما تقاتل عن دين قد وعد الله بنصره وإظهاره على خصومه وإني لأرجو الله أن يكون قد كتب اسمك ضمن الفاتحين) .

(١) «البداية والنهاية ت شيري» (١٢ / ١٢٣) .

(٢) في الكامل (١٠ / ٦٥) ، (العبر ٥ / ٤) .



فقوي عزمه على أن يواجه تلك القوة الهائلة التي لا مقارنة بينها وبين جيشه من حيث العدد ولا من حيث العدة فبدأ استعداد الجيش في ذلك المكان "ملازكرد" وبدأ يرسل طلائعه وإذا بأول طليعة من طلائع الجيش النصراني تتقدم فتصل إلى "أرمينيا" فلما وصلت إلى أرمينيا وكانت أعداد كبيرة وكان معظمها من الروس فواجهها أهل الإسلام ونصرهم الله عز وجل وجاءوا بقائد الطليعة إلى ألب أرسلان فجدع أنفه وفعل به بعض الأفعال التي أراد من خلالها إرهاب القائد النصراني ثم أرسل إلى القائد النصراني "أَرَمَانُوسُ" يطلب منه الصلح لأنه يرى أن جيشه ليس مهينًا للمواجهة وأنه يحتاج إلى مدة حتى يستعد وحتى يأتيه المدد من أطراف الدولة ومن أماكن كثيرة من بلدان المسلمين فالإعداد يحتاج إلى وقت طويل فعرض عليه الصلح لكن هذا النصراني المتغترس رفض ذلك وقال: (لا هدنة إلا في الري) أي في عقر ديار المسلمين فانزعج السلطان ألب أرسلان لذلك ^(١) واستشاط غضبًا ورأى أنه لا مناص من المواجهة وليكن ما يكن فأشار عليه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري عليه رحمة الله أنه لا يواجه العدو إلا بعد زوال يوم الجمعة وذلك حينما يكون خطباء المسلمين على أعواد منابرهم يدعون للمجاهدين والدعاء مظنة الإجابة فاستحسن الرأي ثم إنه رحمه الله تعالى صف جيشه القليل العدد ماذا يصنع هذا العدد بجانب ثلاث مائة ألف

(١) الكامل لابن الأثير (١٠ / ٦٥) ومختصر أخبار البشر (٢ / ١٨٧) وتاريخ ابن الوردي (١ / ٥٦٣).



مقاتل وقد استعدوا بأتم الاستعداد وعندهم المنجنقات وعندهم العربات والعجلات التي يستخدمونها في تلك المدة ؟

فما كان من السلطان ألب أرسلان إلا أن تحنط ثم بعد أن صلى بأصحابه نادى فيهم قائلاً : (إن الإسلام في خطر وإنكم في خطر وإني قد عزمت على مواجهة العدو ولبست كفني فمن أراد أن يقاتل معي فليقاتل ومن شاء أن ينصرف فلينصرف إلى حيث يريد) .

ثم ترجل عن فرسه ونزل فسجد لله عزوجل وَمَرَّعَ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ ثم دعا الله دعاءً شديداً وتضرع بين يديه وَاسْتَنْصَرَهُ ثم صعد على فرسه ^(١) .

وانطلق نحو الجيش الكافر وكانوا قد صفوا صفوفهم فوصلت صفوفهم إلى عشرين صفًا لا تُرى أطرافها ولا يُرى أولها من آخرها لطولها فجعل يخرق الصفوف ويقاتل قتالاً شديداً قتال الموقن بوعده الله : إن هي إلا إحدى الحسينين إما النصر وإما الشهادة وانطلق جنوده وراءه كالأسود وما هو إلا وقت يسير وإذا برب العالمين - تبارك وتعالى - ينزل نصره للمؤمنين وبطشه بالكافرين فامتلاءت ساحات المعركة بجثث الصليبيين بحول من الله وقوة.

(١) ذكر بعض المؤلفين المعاصرين أن ألب أرسلان لما صعد على فرسه قال : (أنا أحتسب عند الله نفسي إن سُعدت بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر أصبح وأمسي ومن حواصل النسور الغبر رمسي وإن نُصرت فما أسعدني وأنا أمسي ويومي خير من أمسي) ولم أجد هذا في شيء من كتب التاريخ المعتبرة بعد طول بحث .

انتهت المعركة وإذا بقائد الروم النصراني المغرور "أرمانوس" يسقط أسيرًا في أيدي المسلمين ، ، أسره غلام رومي، فلما أوقف بين يدي الملك ألْب أرسلان ذليلاً حقيراً ضربه بيده ثلاث مقارِعَ وقال: لَوْ كُنْتُ أَنَا الْأَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَا كُنْتُ تَفْعَلُ ؟ قَالَ: كُلُّ قَبِيحٍ، قَالَ: فَمَا ظَنُّكَ بِي؟ فقال: إما أَنْ تَقْتُلَ وتشهرني في بلادك، وإما أَنْ تعفو وتأخذ الفداء وتعيدني.

قال: مَا عَزَمْتُ عَلَى غَيْرِ الْعَفْوِ وَالْفِدَاءِ. فَافْتَدَى نَفْسَهُ مِنْهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. فقام بين يدي الملك وسقاه شُرْبَةً مِنْ مَاءٍ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وقبل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً وإكراماً، وأطلق لَهُ الْمَلِكُ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ لِيَتَجَهَّزَ بِهَا، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه فرسخاً، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إِلَى بِلَادِهِ، وَمَعَهُمْ رَايَةٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) تعامل معه بعفو وصفح وذلك لا يتنافى مع البغض والكُره لأعداء الإسلام ولكنها أفعال العظماء ساعة الانتصارات العظيمة فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بِلَادِهِ وَجَدَ الرُّومَ قَدْ مَلَكَوا عَلَيْهِمْ غَيْرُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى السُّلْطَانِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، وَبَعَثَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ مَا يُقَارِبُ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن ^(١)

(١) هم شعب يعتنق أغلبه النصرانية، وينتمي إلى الكنيسة الأرمنية التابعة للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية. يبلغ تعدادهم ستة ملايين؛ يعيش نصفهم في أرمينيا، وهي دولة تقع في إقليم جبال القوقاز، واستقلت عن الاتحاد السوفيتي (سابقاً) سنة ١٩٩١م. انظر: الموسوعة العربية العالمية (١/ ٥٤٦ - ٥٤٨).



فأخذه وكحله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك ^(١) .

فكان لهذه الوقعة أثرها الكبير في نفوس نصارى أوروبا على وجه الخصوص وفي نفوس نصارى العالم إلى يومنا هذا على وجه العموم .

هذه هي المعركة الأولى من المعركتين العظيمتين اللتين كان لهما أثر كبير في نفوس النصارى وكانتا من جملة الأسباب لقيام النصارى بحروب صليبية عظيمة على الإسلام والمسلمين ويأتي في حلقتنا القادمة ذكر المعركة الثانية بإذن الله تبارك وتعالى .



(١) «البداية والنهاية ت شيري» (١٤٣ / ١٤٣) .

الحلقة الرابعة



الأندلس وسبب معركة "الزلاقة"

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد:

ذكرنا فيما مضى أن للحروب الصليبية على الأمة الإسلامية أسباباً وأن من جملة تلك الأسباب معركتان عظيمتان حصلتا بين المسلمين وبين النصارى الصليبيين .

🌀 **الأولى:** كانت في المشرق تكلما عنها في الحلقة الماضية وهي معركة "ملازكرد" التي وقعت بين المسلمين بقيادة أشهر سلاطين السلاجقة "آلب أرسلان" وبين النصارى الصليبيين بقيادة "أرمانوس" والتي كانت في ذي القعدة لعام ثلاث وستين وأربعمائة للهجرة النبوية الموافق شهر أغسطس ألف وواحد وسبعين للميلاد وعرفنا كيف انتهت تلك المعركة العظيمة بانتصار ساحق لأهل الإسلام على قلة عددهم .

🌀 **والمعركة الثانية:** هي المعركة التي وقعت في المغرب ولا أعني بالمغرب دولة المغرب ولكن في غرب الكرة الأرضية وتحديداً في أرض الأندلس تلك الأرض الواسعة التي تقع جنوب غرب أوروبا ويفصل بينها وبين شمال أفريقيا مضيق طارق ويفصل بينها وبين فرنسا جبال ألبرت أو "البرتات" هذه



الأرض الواسعة التي تكلمنا عن شيء من تاريخها ضمن غزوات ومعارك
رمضانية في العام الماضي ^(١) .

وذكرنا أنه تم افتتاحها عام اثنين وتسعين من الهجرة النبوية في خلافة
الوليد بن عبد الملك ابن مروان وكان قد جعل على أفريقيا "موسى بن نصير" و
"موسى بن نصير" جعل على طنجة ^(٢) وما حولها من بلاد المغرب أحد عماله
وهو "طارق بن زياد" وذكرنا أنه تم افتتاح تلك البلدة الشاسعة في أول معركة
من المعارك الشهيرة وهي معركة "وادي البرباط" التي كانت بقيادة هذا الرجل
طارق بن زياد من جهة المسلمين وكان يقود النصارى حاكم نصراني ماجن
يُقال له "لذريق" أو "ردريك" وبعدها استمرت الأندلس في توسع وازدهار
ورقي وصارت معقل من معاقل الإسلام العظيمة نتذكر حينما نتحدث عنها
الحضارة الإسلامية العريقة التي ظهرت على تلك الأرض نتذكر "قرطبة" و
إشبيلية و"غرناطة" وغيرها من المدن العظيمة .

في تلك البقاع الواسعة مكث المسلمون ثمانية قرون ومرت الأندلس
بفترات ومراحل من هذه المراحل مراحل قوة متعددة كان أعداء الإسلام من

(١) تم بحمد الله طبع كتاب غزوات ومعارك رمضانية بعنوان "تحفة الإخوان بذكر أهم معارك وغزوات
رمضان" .

(٢) هي مدينة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء من البر الأعظم أو بلاد بربر، بينها وبين "سبتة"
مسيرة يوم وهي آخر حدود إفريقيا من جهة المغرب، وقد وصلها الفتح الإسلامي في العهد
الأموي بفتوحات عقبة بن نافع، وطارق بن زياد وموسى بن نصير.

انظر: مراصد الاطلاع (٢/ ٨٩٤) .



النصارى الصليبيين يسوقون فيها الجزية إلى أمراء المسلمين في الأندلس ولاسيما في زمن الأمير عبدالرحمن الناصر الأموي الذي أعاد للدولة الإسلامية في الأندلس قوتها وشبابها وكان قد حصل لها ضعف كبير فجاء هذا الأمير المبارك وأعاد نهضة عظيمة للمسلمين في الأندلس حتى ذكر المؤرخون أن مدينة قرطبة التي كانت منطلقاً لدولته وعاصمةً له أنها أول مدينة في تاريخ العالم وليس في تاريخ المسلمين فحسب ولكن في تاريخ العالم أول مدينة تُشعل فيها الإضاءات الليلية من الغروب إلى طلوع الشمس كان هذا في زمن عبدالرحمن الناصر الأموي ، وانتعش العلم في زمنه انتعاشاً عظيماً ، وانتشرت وسائل العلم ، وُفُتِحَ المجال للتعليم المجاني بل فُرضت مرتبات للذين يعلمون الناس ولطلبة العلم وُفُتِحَت مستشفيات مجانية و حصل عدل عظيم حتى هرع إلى قرطبة كثير من اليهود وكثير من النصارى بحثاً عن الأمن والعدل الذي يسود تلك البلدة في ظل الدولة الإسلامية ولاسيما في عهد القائد عبدالرحمن الناصر - رحمه الله تعالى - وتقاطر العلماء المسلمون من أرجاء البلدان الإسلامية إليها، فأصبحت قرطبة ثاني أكبر مدينة في العالم من حيث عدد السكان (بعد بغداد حاضرة العباسيين)، وبُني في قرطبة ثلاثة آلاف مسجد، وازدهر العلم، وتطورت فنون البناء، وصُممت الحقائق بأشكال هندسية عجيبة، ولأول مرة في تاريخ الإنسانية أصبحت قرطبة حاضرة المنصور أول مدينة في العالم تنار كل شوارعها ليلاً، فكانت قرطبة الإسلامية



كالجوهرة المضيئة في ظلمات أوروبا الغارقة في الجهل والظلام، فأرسل الأوروبيون البعثات العلمية لبلاد المسلمين، ولأول مرة في أوروبا ظهرت المستشفيات والمكتبات العامة في أرجاء الدولة الإسلامية، وبنى الخليفة عبد الرحمن مدينة "الزهراء" والتي اعتُبرت أجمل مدينة في العالم، فلقد بناها المسلمون بطريقة عجيبة، وهي مدينة فوق مدينة، سطح الثلث الأعلى على الحد الأوسط، وسطح الثلث الأوسط على الثلث الأسفل، وكل ثلث منها له سور، فكان الحد الأعلى منها قصورًا يعجز الواصفون عن وصفها، والحد الأوسط بساتين وروضات، والحد الأسفل فيه الديار والجامع، وبنيت بمدينة قرطبة القنطرة العجيبة التي فاقت قناطر الدنيا حسنًا وإتقانًا، فكثرت الأموال واتسع نطاق الخدمات، والعلاج المجاني، وانتشر التعليم المجاني، بل إن طالبي العلم كان يُخصص لهم راتب شهري، ولأول مرة في تاريخ الانسانية أدخل المسلمون نظام الرعاية للمسنين، فبنيت دورٌ للعجزة، ووُظف فيها من يقوم بخدمتهم، وبنيت دورٌ لرعاية الحيوانات، وأقيمت المصانع العسكرية، والموانئ البحرية، وازدهرت الصناعات الحديثة في أرجاء الخلافة في عهد الناصر، وامتلك المسلمون أقوى جيش عرفته أوروبا في القرون الوسطى، فجاءت وفود ملوك أوروبا من كل حذب وصب بالهدايا الثمينة وبأموال الجزية إلى الخليفة الناصر في قرطبة وكانت تأتيه الجزية والهدايا من ملوك بريطانيا ومن ملوك



فرنسا يدفعونها ويتلطفون مع هذا القائد المسلم ويكتب له قائد فرنسا الرسائل فيختمها بقوله: **(من خادمكم المطيع...)**.

ومن جملة الرسائل التي ستبقى إلى الأبد شاهدة بما كان عليه المسلمون من الحضارة العظيمة والقوة الكبيرة وكيف كان حال أوروبا النصرانية حينها الرسالة الآتية:

« من جورج الثاني... ملك إنجلترا وفرنسا... إلى الخليفة المسلم ملك المسلمين في مملكة الأندلس والسويد والنرويج... »

🌀 **صاحب العظمة والمقام الجليل:** وبعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان.. ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة **(دوبانت)** على رأس بعثة من بنات أشراف الإنجليز تتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتنا موضع عناية عظمتكم.. وحماية الحاشية الكريمة ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب من خادمكم المطيع جورج ملك إنجلترا» ^(١).

(١) الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم/ عبد المجيد حامد صبح. ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدد (٤٢).



أُولَئِكَ آبَائِي؛ فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ

إنها مرحلة من مراحل العز والتمكين التي عاشها المسلمون وعصر من العصور الذهبية لايسع العاقل وهو يقرأ تلك السطور إلا أن تُرسل عيناه دمعها أسيى وحزناً على أهل الإسلام كيف كانوا ؟ وكيف صاروا ؟ والله الأمر من قبل ومن بعد .

مَالِي وَلِلنَّجْمِ يِرْعَانِي وَأَرْعَاهُ؛	أَمْسَى كَلَانَا يِعَافُ الْغَمَضَ جَفْنَاهُ
لِي فِيكَ يَا لَيْلُ آهَاتُ أُرَدِّدُهَا	أَوَاهُ لَوْ أَجْدَتِ الْمُحْزُونَ أَوَاهُ
لَا تَحْسَبَنِّي مُحِبًّا يَشْتَكِي وَصَبًّا	أَهْوَنُ بِمَا فِي سَبِيلِ الْحُبِّ أَلْقَاهُ
إِنِّي تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى مُؤَرِّقَةٌ	مَجْدًا تَلِيدًا بِأَيْدِينَا أَضْعَنَاهُ
أَتَى اتَّجَهْتَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي بَلَدٍ	تَجَدُّهُ كَالطَّيْرِ مَقْصُوصًا جَنَاحَاهُ
وَبِحِ الْعَرُوبَةِ كَانَ الْكُونُ مَسْرَحَهَا	فَأَصْبَحَتْ تَتَوَارَى فِي زَوَايَاهُ
كَمْ صَرَفْتَنَا يَدُ كُنَا نَصَرَفُهَا	وَبَاتَ يَمْلِكُنَا شَعْبٌ مَلَكْنَاهُ
كَمْ بِالْعِرَاقِ وَكَمْ بِالْهِنْدِ ذُو شَجَنِ	شَكَا فَرَدَّدَتْ الْأَهْرَامُ شَكْوَاهُ
بَنِي الْعُمُومَةِ إِنَّ الْقُرْحَ مَسَّكُمْو	وَمَسَّنَا نَحْنُ فِي الْآلَامِ أَشْبَاهُ
يَا أَهْلَ يَثْرَبَ أَدْمَتُ مَقْلَتِي يَدُ	بَدْرِیَّةٌ تَسْأَلُ الْمَصْرِيَّ جَدْوَاهُ



الدِّينُ والضَّادُّ من مغناكم انبعثا
لسنا نمدُّ لكم أيماننا صِلَةً
هل كان دينُ ابنِ عَدْنانٍ سوى فَلَقِي
سَلِ الحضارةَ ماضيها وحاضرَها
هي الحنيفةُ عينُ الله تكلُّوها
هل تطلبون من المختار معجزةً
مَنْ وَحَدَّ العُرْبَ حتى كان واطرهم
وكيف كانوا يداً في الحرب واحدةً
وكيف ساس رعاةُ الابل مملكةً
وكيف كان لهم علمٌ وفلسفةٌ
سَنُّوا المساواةَ لا عُرْبٌ وَلَا عَجَمٌ
وقررت مبدأ الشورى حكومتهم
وَرَحَّبَ الناس بالإسلام حين رأوا
يا من رأى عُمراً تكسوه بردتهُ
يهتزُّ كسرى على كرسيه فرقاً
فطَبَّقا الشرق أقصاهُ وأدناه
لكنما هو دَيْنٌ ما قضيناه
شقَّ الوجودَ وليلُ الجهل يغشاه؟
هل كان يتَّصل العهدان لولاه؟
فكلَّما حاولوا تشويبهما شاهوا
يكفيه شعبٌ من الأجادثِ أحياء
إذا رأى ولدَ الموتور أخاهُ
من خاضها باع دنياءه بأخراه
ما ساسها قيصرٌ من قبلُ أو شاهُ
وكيف كانت لهم سُفنٌ وأمواه
ما لا مرئى شرفٌ إلا بتقواه
فليس للفرد فيها ما تمناه
أنَّ السلامَ وأنَّ العدلَ مغزاه
والزيت أدمُّ له والكوخ مأواه
من بأسه وملوكُ الروم تخشاه



شعارُنا المجدُّ يهوانا ونهواه
فالشرقُ والضادُ والإسلامُ معناه
ونحنُ كان لنا ماضٍ نسيناه
ضياؤه فأصابتنا شظاياها
بالأمس كانوا هنا ما بالهم تاهوا؟
فسائل الصَّرحِ أين المجدُّ والجاء
عمن بناه لعل الصخرَ ينعاه
علَّ امرأً من بني العباسِ تلقاه
منهنَّ قامت خطيباً فاغراً فاه
كأنني راهبٌ يغشى - مُصلاه
يوماً وأخطأ دمع العين مجراه
فحين جاوز بغداداً تحدَّاه
شمس عليه ولا برقٌ تخطَّاه
ونستمَّدُ القوى من وحي ذكره
فخراً ويُطْرِقُ إن ساءلته ما هو

سلِّ المعالي عنا إننا عربُّ
هي العروبةُ لفظٌ إن نطقته به
استرشد الغربُ بالماضي فأرشدَه
إنَّا مَشِينَا وراء الغربِ نقبسُ من
بالله سلِّ خلفَ بحر الروم عن
فان تراءتْ لك الحمراءُ عن كَثْبٍ
وانزلْ دمشقَ وسائل صخرَ
وطُفْ ببغدادَ وابحثْ في مقابرها
هذي معالم خُرُسٍ كلِّ واحدةٍ
إني لأشعر إذ أغشى - معالمهم
الله يعلم ما قلبتْ سيرتهم
أين الرشيد وقد طاف الغمامُ به
مُلْكُ كملك بني التاميز ما غربت
ماضٍ نعيش على أنقاضه أُمَّا
لا دَرَّ دَرٌّ امرئٍ يُطري أوائله



ما بال شمل بني قحطان منصداً؟
 عهد الخلافة في البُسفور قد
 عرّش عتيداً على الأتراك نعرضه
 ألم يروا كيف فدّاه معاوية
 غَال ابن بنت رسول الله ثم عدا
 لما ابتغى يدها السفاح أمهرها
 ما للخلافة ذنبٌ عند شائئها
 الحكمُ يسلس باسم الدين جامعُه
 يا ربّ مولى الأعناق خاضعةُ
 إني لأعتبرُ الإسلامَ جامعةً
 أرواحنا تتلاقى فيه خافقةُ
 دستورُه الوحي والمختارُ عاهلُه
 لا هَمَّ قد أصبحت أهواؤنا شيعاً
 راعٍ يُعيدُ إلى الإسلام سيرته
 ربّاه أدرك بني قحطان ربّاه
 آثاره طيب الرحمن مثواه
 ما بالنا نجد الأتراك تأباه
 وكيف راح عليّ من ضحاياه
 على ابن بنت أبي بكر فأرداه
 نهراً من الدم فوق الأرض أجراه
 قد يظلمُ السيف من خائنه كَفّاه
 ومن يرّمهُ بحدّ السيف أعياه
 وراهبُ الدّيرِ باسم الدّين مولاه
 للشرق لا محض دين سنّه اللهُ
 كالنحل إذ يتلاقى في خلاياه
 والمسلمون وإن شتّوا رعاياه
 فامنن علينا براع أنت ترضاه
 يرعى بنيهِ وعينُ الله ترعاه (١)

(١) وقفة على طلل للأستاذ محمود غنيم «مجلة الرسالة» (٩٣/ ٥٩ بترقيم الشاملة آليا).



هذا العز والتمكين الذي حصل للمسلمين في الأندلس حصل للمسلمين أمثاله في كثير من أقطار العالم ولاسيما في الجزيرة العربية و مصر و الشام ولكن الأمور كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] .

فالأمر لا تدوم على حال فقد دب الضعف في أوساط المسلمين في الأندلس وتشظت الدولة إلى اثني وعشرين دولة وإمارات صغيرة كان المسافر يمشي فيمر في يوم واحد على ثلاث إمارات وثلاث دول وكل دولة فيها أمير للمؤمنين هذا المعتضد بالله وهذا المستعلي بالله وهذا المعتصم بالله وهذا المعتمد على الله حتى قال شاعر الأندلس أبوبكر بن عمار :

مما يزهديني في أرض أندلس ألقاب معتمد كذا ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كألهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد

لما حصل التشضي والإقبال على الدنيا والطمع والتحاسد والتناحر بين الأمراء والتقاتل صار بعضهم يتزلف لبعض قادة الصليب ويستعين ببعض النصارى على بعض إخوانه في جزء من أجزاء الدولة التي صارت تسمى دولة أخرى ، وهكذا فطمع النصارى طمعاً عظيماً في بلاد الأندلس ودعوا إلى الحرب الصليبية تحت مسمى " استرداد الأندلس Reconquista " فقالوا نحن لا بد أن نسترد أرضنا من هؤلاء المسلمين الغاصبين الذين جاؤا من المغرب و من



الجزيرة العربية يتملكون في أرضنا لابد أن نسترد أرضنا والدافع الحقيقي والرئيسي إنما هو الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين واستغلوا الضعف ، والتناحر الحاصل في أوساط المسلمين فبدأوا يسيطرون على بعض البلدان في الأندلس وصاروا يحاصرون بعض القلاع ، ويحاصرون بعض الدويلات ويحرقون بعض المزارع ويفعلون الأفاعيل وكان من أخبثهم الرجل الصليبي المجرم الأثيم (**الفونسو السادس**) ملك قشتالة أحد ملوك النصارى المجرمين بدأ يستعرض قواته على المسلمين وعلى الأمراء هناك وسيطر على أراضى واسعة وبدأ يرأسل قائد دولة المرابطين في المغرب "**يوسف بن تاشفين**" ويتهدده بأسلوب صليبي حاقد ورأسل كثيرًا من أمراء الأندلس فسقطوا في يد هذا المجرم الأثيم وكتبوا له ما يريد من الهدنة والصلح ودفعوا له الجزية واستسلم له كثير منهم حصل ضعف عجيب وشديد في أوساط المسلمين هناك بعد القوة والنهوض انقلبت الأمور بعد أن كان أولئك النصارى يدفعون الجزية للمسلمين صار أهل الإسلام يدفعون الجزية للنصارى الحاقدين و كاد أمير إشبيلية المعتمد بن عباد أن يستسلم كبقية الأمراء وقال للرسل قولوا لملككم الفونسو السادس يبعث بلجنة أو وفد يستلم الجزية من عندنا فأرسل الفونسو السادس لجنة مكونة من ثلاث مائة رجل !

فهل هذا العدد لجنة ؟ أو وفد ؟ ! أم جيش ؟ وكان على هذا العدد رجل يهودي خبيث مهمته فحص الذهب خشية أن يعطيهم ذهبًا مزيفًا فأرسلوا



خبيرًا يفحص الذهب ويعرف المزيف من غير المزيف !! استهتار واستخفاف !
يجعل الإنسان الحر لا يختار إلا المقاومة والجهاد والقتال إن كان به شيء من
إيمان ونخوة فلما وصل هؤلاء الصليبيون ^(١) المجرمون إلى المعتمد بن عباد
تكلم معه اليهودي بكل وقاحة وقال له لا بد نفحص الذهب الذي سترسل
به وإلا حول الجزية من ذهب إلى سفن حربية فوجد ابن عباد من هؤلاء سفهاً
وطيشاً وغروراً فكان هذا من جملة أسباب فشل الصلح .

ومما سبب فساد الصلح المنعقد بين المعتمد وبين الطاغية المذكور أن ابن
عباد اشتغل عن أداء الضريبة في الوقت الذي جرت عاداته يؤدّيها فيه بغزو ابن
صمادح صاحب المريّة ونفاد ما في يديه بسبب ذلك، فتأخّر لأجل ذلك أداء
الإتاوة عن وقتها، فاستشاط الطاغية غضباً وتشطط فطلب بعض الحصون
زيادةً على الضريبة المتفق عليها سابقاً، وأمعن في التجنيّ، فطلب دخول امرأته
القمطيبة إلى جامع قرطبة لتلد فيه من حمل كان بها حيث أشار عليه بذلك
القسيّسون والأساقفة، لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه معظّمة
عندهم عمل عليها المسلمون المسجد الأعظم، فسأل أن تنزل امرأته المذكورة
بالمدينة الزهراء، غربي مدينة قرطبة، تنزل بها فتختلف منها إلى الجامع المذكور

(١) الصليبيون ترجمة لكلمة (كروسيترز Crusaders) المشتقة من كلمة (كروس cross) ، ومعناها (صليب) . وهي عبارة تُستخدم في الخطاب السياسي والتاريخي في الغرب للإشارة إلى الفرنجة الذين شنوا عدة حملات على العالم العربي والإسلامي في القرن الثاني عشر، وقد تبنّى كثير من العرب المحدثين هذا المصطلح .



حتى تكون تلك الولادة بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة ذلك الموضع الموصوف من الجامع، وزعم أنّ الأطباء أشاروا عليه بالولادة في الزهراء كما أشار عليه القسّيسون بالجامع- جامع قرطبة الذي كان أكبر جامع في العالم في تلك المدة - فطلب هذا الصليبي الكافر فتح جامع قرطبة لتقوم زوجته بوضع حملها بجوار المنبر استهتار فظيع سببه الضعف الذي حصل في أوساط المسلمين.

وسفر بذلك بينهما اليهودي السابق الذكر وكان وزيراً لابن فردلند، فتكلم بين يدي المعتمد ببعض ما جاء به من عند صاحبه فأياًسه ابن عبّاد من جميع ذلك، فأغلظ له اليهودي في القول وشافهه بما لم يحتمله، فأخذ ابن عبّاد محبرة كانت بين يديه، فأنزلها على رأس اليهودي فألقى دماغه في حلقه وأمر به فصلب منكوساً بقرطبة، وقتل الثلاث مائة الرجل وبعض الروايات تقول : قتل اليهودي وسجن الباقي واستفتى ابن عبّاد الفقهاء لما سكت عنه الغضب عن حكم ما فعله باليهودي، فبدره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدّي الرسول حدود الرسالة إلى ما يستوجب به القتل إذ ليس له أن يفعل ما فعل، وقال للفقهاء حين خرجوا: إنما بدرت بالفتوى خوفاً أن يكسل الرجل عمّا عزم عليه من منابذة العدو، عسى الله أن يجعل في عزمته للمسلمين فرجا.



ثم قرر ابن عباد المواجهة حتى الموت فعُقد اجتماع في قرطبة حضره الزعماء والفقهاء وكثير من الناس، وعلى رأسهم المعتمد بن عباد، اتّخذ فيه قرار الموافقة على استدعاء المرابطين للنصرة، ثم دعا المعتمد غيره من ملوك الطوائف إلى هذا الأمر، واجتمعوا بالفعل لاتّخاذ ترتيبات عبور وفد إلى العدو ودعوة الأمير يوسف، وكتبت رسالة بهذا الشأن وقّعها أمراء الأندلس، وأُرسلت من الأندلس مع سفارة خاصّة وتحت إشراف ابن عباد، وحملت السفارة التحف الثمينة والوعود المغرية للاستغاثة مع الرّسالة ^(١).

وقد ضمّ الوفد: عبيد الله بن أدهم قاضي قرطبة، وكان أعقل أهل زمانه، ووزير المعتمد أبا بكر بن زيدون، وقاضي المتوكل على الله عمر بن الأفطس أمير بطليوس، وقاضي عبد الله ابن حبوس بن ماكسن الصنهاجي صاحب غرناطة ^(٢).

والتقى الوفد بأمير المسلمين في سبتة، فلبّى التّداء وقال: "أنا أوّل منتدب لنصرة هذا الدين، ولا يتولى هذا الأمر أحد إلا بنفسه" ^(٣).

فحصل الاستنجد بقائد دولة المرابطين في المغرب القائد البطل المسلم الكريم الذي عرف بالخير والتدين وتقريب العلماء منه وإجلال العلم وأهله "أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي" عليه رحمة الله وقد

(١) (الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس) (ص ١٨٣).

(٢) الروض المعطار ص (٨٦).

(٣) المعجب للمراكشي ص (١٣٠-١٣٢).



عرف هذا الرجل واشتهر خبره بأنه رجل عاش عمره كله في الجهاد وفي شن الغارات على النصارى وفي المواجهات للكفار .

ودولة المرابطين من أول ما أُسست أُسست على هذا أسسها الشيخ **"عبدالله بن ياسين"** رحمه الله تعالى وخلفه بعد أن مات "أبوبكر بن عمر بن عم يوسف بن تاشفين" ولكن أبوبكر بن عمر هذا كان يخرج كثيرًا إلى الصحراء فولّى على دولة المرابطين بدلًا عنه يوسف بن تاشفين ثم غاب مدة من الزمن ثم رجع فاستقبله القائد المسلم يوسف بن تاشفين استقبالا كريما كبيرا وأعطاه الهدايا وأخبره أن الأمور على أحسن ما يكون من الترتيب فقررت عين أبي بكر بن عمر ثم قال له : ما جئت مستلما للدولة وإنما جئت مسلما لك إياها فأنت ابن عمي وأخي وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك وأنا عائد إلى الصحراء) فسلم له مقاليد دولة المرابطين ثم رجع إلى الصحراء فأخذ هذا القائد يوسف بن تاشفين زمام الأمور بأحسن ما يكون ثم جاءته رسالة الفونسو السادس و كلها استهتار وكلها تحدي ، وما هي إلا أيام وتأتيه رسالة أخرى من المعتمد بن عباد يستنجده ويطلب منه النصرة ويقول له : (أنت سيد حمير وأنت عليك الأمل بعد الله عز وجل وقد حصل للمسلمين في الأندلس ما حصل فنطلب منك النجدة) . إلى غير ذلك .



ارتفعت بعض الأصوات تعارض الرّأي العامّ في الاستنجاد بالمرابطين تزعمها عبد الله ابن سكوت والي مالقة، الذي حدّر أمراء الأندلس من المغاربة خوفاً من استئثارهم بالأندلس أرض الخيرات ^(١) .

وقد اشتهر ابن سكوت بمواقفه المشبوهة، ولعلّه هو المدبّر للحركة المضادة لدخول المرابطين، التي اتخذت اتّجهاً خطيراً فيما بعد، وجعلت أمير المسلمين يتشكّك في نوايا أمراء الأندلس ^(٢) .

وحذّر أبو الحسن عبيد الله (ولي عهد المعتمد) والده مغبة الاستنجاد بالمرابطين، وقال له: "يا أبت تُدخِل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا، ويبدّد شملنا" ^(٣) .

ولكن المعتمد المدرك أبعاد القضية أجابه: "أي بني والله لا يسمع عني أبداً أني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارى، فتقوم عليّ اللعنة في منابر الإسلام مثل ما قامت على غيري". وقال قولته التي سارت مثلاً: **"رعي الجمال خير من رعي الخنازير"** أي لأن يكون مأكولاً لابن تاشفين أسيراً يرعى جماله في الصحراء، خير من أن يكون مأكولاً لابن فردند أسيراً له يرعى خنازيره في قشتاله ^(٤) .

وهذا من التوفيق الذي حصل مؤخراً لهذا الأمير الأندلسي المعتمد بن عباد

(١) (الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس) (ص ١٨٣).

(٢) نفح الطيب (ج٢ ص ٣٥٥).

(٣) ابن الخطيب- أعمال الأعلام ص (٢٤٥).

(٤) نفح الطيب (ج٢ ص ٣٥٩) البيان المغرب (ج٢ ص ١١) وفيات الأعيان ج٧ ص (١١٥).



الشورى: لما وصلت الرسالة إلى قائد دولة المرابطين الأمير المبارك يوسف بن تاشفين جمع أصحاب مجلس شوره من الفقهاء والأعيان والقادة، واستشارهم في نجدة الأندلس، فأشار عليه كاتبه عبد الرحمن بن أسبط من أهل المريّة، وأوضح له أن معظم أراضي الجزيرة في يد التّصارى، والجزيرة ذاتها وعرة البسائط، تعترضها جبال صعبة المسالك، وهي شبيهة بسجن، يندر على الداخلين إليه الخروج منه.. وقال: "إذا انتصر عليك الأعداء، فقد يقطع عليك طريق العودة بأيسر أمر". وأضاف: "فنصيحتي أن تُخَطِّرَ أمير اشبيلية بأنك لا تستطيع العبور قبل إخلاء حصن الجزيرة، وبذلك تملك موقعاً أميناً، تشغله حامية مخلصّة، وتبقى في كلّ وقت على اتّصال دائم بإفريقية" ^(١) .

فأرسل يوسف بن تاشفين إلى المعتمد بن عباد يشترط عليه تسليم ثغر الجزيرة لضمان سلامة طريقه في الدّهاب وحماية ظهره في الإياب، فوافق المعتمد بن عباد مباشرة على هذا الطلب وأُخليت المدينة الخضراء للقائد البطل المسلم الكريم الذي نصر الله به الدين وأعلا به كلمة المسلمين يوسف بن تاشفين عليه رحمة الله تترى إلى يوم الدين هذه هي المقدمة للمعركة الكبرى معركة الزلاقة التي تعجز الألسن عن وصف أحداثها التي قادها البطل يوسف بن تاشفين والتي سأحدث عنها وأذكر تفاصيلها في الحلقة القادمة إن شاء الله تبارك وتعالى.

(١) الحلل الموشية ص (٥٠).

الحلقة الخامسة

معركة الزلاقة (١)

(١) « الزَّلَاقَةُ : بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وقاف، أصله من قولهم مكان زلق أي دحض، وزلقت رجله تزلق زلقاً، والزَّلَاقَةُ: الموضع الذي لا يمكن الثبوت عليه من شدة زلقه، والتشديد للتكثير، والزَّلَاقَةُ: أرض بالأندلس بقرب قرطبة كانت عندها وقعة في أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مع الأذفنش ملك الأفرنج مشهورة » « معجم البلدان » (٣ / ١٤٦).



بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد:

حديثي معكم اليوم عن معركة الزلاقة فأقول مستعينًا بالله.

- متى كانت هذه المعركة ؟

اختلف المؤرخون في تاريخ وقوعها على أقوال :

﴿القول الأول﴾: أنها كانت يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة (٤٧٩) هـ الموافق ٢١ أكتوبر لعام ١٠٨٦م . قاله الذهبي في (تاريخ الإسلام - ت تدمري) (٣٢ / ٣٠) في ترجمة (٢٧٢) - أحمد بن محمد بن مفرج . أبو العباس الأنصاري القُرطبي وابن الأبار في «التكملة لكتاب الصلة» (١ / ٢٩) . ومحمود مقديش في (نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار) (١ / ٤٣٨) . ورجح هذا القول ابن خلكان فقال : (والصحيح أن هذه الواقعة كانت في منتصف رجب من السنة المذكورة أي سنة تسع وسبعين وأربعمائة) ^(١) .

﴿القول الثاني﴾: أنها كانت يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رَمَضانَ سنة تسع وتسعين [وأربعمائة] . قاله ابن الأثير . والذهبي في (تاريخ الإسلام

(١) وفيات الأعيان (٢٩ / ٥) ، ومثله في: الحلة السيرة (٥٥ / ٢ و ١٠١) .



- ت تدمري) (٢٦٠ / ٣٢) وفي (العبر في خبر من غير - ت زغلول) (٣٤٠ / ٢) قال : (فأتوا الزلاقة، من عمل بطليوس، فالتقى الجمعان، ف وقعت الهزيمة على الملاعين، وكانت ملحمة عظيمة، في أول جمعة من رمضان) . ومن ذهب إلى هذا عبد الحي العكبري الحنبلي في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) (٥ / ٣٤٤).

و بنحوه قال عبد الواحد المراكشي في (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) (ص ١٠٠) : إلا أنه قال : كانت في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رمضان الكائن في سنة ٤٨٠) .

أما ابن كثير - رحمه الله تعالى - فقد ذكرها في البداية والنهاية ضمن أحداث سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وهذا وهم منه لأن المعركة التي وقعت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة إنما هي معركة الأرك وهي بعد معركة الزلاقة بمائة وثنتي عشرة سنة .

وبهذا يتبين عدم اتفاق أهل التاريخ على تحديد يوم المعركة وشهرها وإن كان هناك شبه اتفاق على أنها كانت سنة تسع وسبعين وأربعمائة وتبين أيضاً أن لبعضهم أكثر من قول في تحديد وقتها كالإمام الذهبي عليه رحمة الله تعالى .

والراجح والله تعالى أعلم أنها كانت في منتصف رجب لعام تسع وسبعين وأربعمائة .



فقد قال محقق كتاب (الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس) (١/ ٦٧): (وكان لابن حزم ابنٌ هو الفضل بن علي أبو رافع، قد روى عن أبيه وغيره، وكتب بخطه كثيراً، قال ابن بشكوال: "وكان عنده أدب ونباهة ويقظة وذكاء". وقد توفي في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ مع صاحب إشبيلية) ^(١) .

- مَنْ قَائِدُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا ؟

قائد المسلمين فيها هو : أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي اللمتوني البربري، أمير المسلمين، ويعرف أيضاً بـ " أمير دولة المرابطين " عليه رحمة الله صاحب المغرب ، وهو الذي بنى مراكش وصيرها دار ملكه، وكان ذلك سنة (٤٦٥) هـ ، ثم عبر إلى الأندلس لينجد الإسلام، فطحن العدو في معركة الزلاقة، كان حليماً ديناً خيراً، يحب أهل العلم والدين. مات في أول سنة خمسمائة، وله بضع وثمانون سنة ^(٢) .

﴿ قال عنه الذهبي في (سير أعلام النبلاء - ط الرسالة) (١٩ / ٢٥٤) :

(أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ، السُّلْطَانُ، أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ تَاشْفِينِ اللَّمْتُونِيِّ، الْبَرْبَرِيِّ، الْمُكْتَنَّمُ، وَيُعْرَفُ أَيْضاً بِأَمِيرِ الْمَرَابِطِينَ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَرَّاكُشَ، وَصَيَّرَهَا دَارَ مُلْكِهِ.

(١) انظر: وفيات الأعيان (ج ٣ / ص ٣٢٧).

(٢) الكامل (١٠ / ٤١٧) ، وفيات الأعيان (٧ / ١١٢) ، السير (١٩ / ٢٥٢) .



وَأَوَّلُ ظُهُورِ هَؤُلَاءِ الْمُلْتَمِثِينَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عُمَرَ اللَّمْتُونِي، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْبِلَادِ مِنْ تِلِمَسَانَ إِلَى طَرَفِ الدُّنْيَا الْغَرِبِيِّ، وَاسْتَنَابَ ابْنُ تَاشَفِينٍ، فَظَلَعَ بَطْلًا شُجَاعًا شَهْمًا عَادِلًا مَهِيْبًا، فَاخْتَطَّ مَرَاكُشَ فِي سَنَةِ اشْتَرَى أَرْضَهَا بِمَالِهِ الَّذِي خَرَجَ بِهِ مِنْ صَحْرَاءِ السُّودَانِ، وَلَهُ جَبَلُ الشَّلَجِ، وَكَثُرَتْ جِيُوشُهُ، وَخَافَتْهُ الْمُلُوكُ، وَكَانَ بَرَبْرِيًّا قُحَّا، وَثَارَتْ الْفِرْنَجُ بِالْأَنْدَلُسِ، فَعَبَّرَ ابْنُ تَاشَفِينٍ يُنْجِدُ الْإِسْلَامَ، فَطَحَنَ الْعَدُوَّ ، ثُمَّ أَعْجَبَتْهُ الْأَنْدَلُسُ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا، وَأَخَذَ ابْنُ عَبَّادٍ وَسَجَنَهُ، وَأَسَاءَ الْعِشْرَةَ.

وَقِيلَ: كَانَ ابْنُ تَاشَفِينٍ كَثِيرَ الْعَفْوِ، مُقَرَّبًا لِلْعُلَمَاءِ، وَكَانَ أَسْمَرَ نَحِيفًا، خَفِيفَ اللَّحْيَةِ، دَقِيقَ الصَّوْتِ، سَائِسًا، حَازِمًا، يَخْطُبُ لِحَلِيقَةِ الْعِرَاقِ، وَفِيهِ جُلُجُ الْبَرْبَرِ، تَمَلَّكَ بِضْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ وَجَيْشُهُ مُلَازِمُونَ لِلثَّامِ الضَّيِّقِ، وَفِيهِمْ شَجَاعَةٌ وَعُتُوٌّ وَعَسْفٌ، جَاءَتْهُ الْخَلْعُ مِنَ الْمُسْتَظْهِرِ وَوَلِيَّ بَعْدَهُ وَلَدُهُ عَلِيٌّ. مَاتَ: فِي أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسِ مِائَةٍ، وَلَهُ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَتَمَلَّكَ مَدَائِنَ كِبَارًا بِالْأَنْدَلُسِ، وَبِالْعُدُوَّةِ ، وَلَوْ سَارَ، لَتَمَلَّكَ مِصْرَ وَالشَّامَ).

- مَنْ قَائِدُ النَّصَارَى فِيهَا ؟

قائد النصارى في معركة الزلاقة هو : الطاغية عظيم الجلالة الفونسو السادس " أذفونش بن فردلند " وقد ذكرت في الحلقة الماضية مقدمة مختصرة لمعركة الزلاقة التي وقعت في أرض الأندلس تلك الأرض الواسعة التي سيطر



عليها الإسبان والبرتغاليون فصارت تعرف في هذه الأيام بأرض إسبانيا والبرتغال ، هذه البلدة التي كان لأهل الإسلام فيها بصمات عظيمة في الخير وقد جهل كثيرٌ من المسلمين اليوم ذلك التاريخ الناصع ، المشرق فصاروا لا يعرفون إلا فريق برشلونة وريال مدريد الكروي الذي يحصل بسببه اللعب على عقول المغفلين .

وها نحن نقف اليوم معكم على صفحة من صفحات تاريخ الأندلس من خلال حديثنا عن معركة الزلاقة هذه المعركة العظيمة التي نعترف ابتداءً أننا لن نستطيع أن نوفيها حقها من الشرح والتوضيح .

❖ البداية :

وصلت الرسالة من المعتمد بن عباد التي يستنجد فيها بأمر دولة المرابطين يوسف بن تاشفين عليه رحمة الله ولحقتها رسالة أخرى من أمراء الأندلس من ثلاثة عشر أمير كلهم يستنجد بهذا البطل بطل المغرب بل بطل الإسلام فاستشار كاتبه عبدالرحمن الأندلسي فأشار عليه بالذهاب بشرط أن يتخلى المعتمد بن عباد عن المدينة الخضراء حتى يتخذها يوسف بن تاشفين مؤخرة لجيشه وقاعدة لانطلاقه فاستحسن هذا الأمير المبارك هذه المشورة وأرسل إلى المعتمد بالموافقة لكن على هذا الشرط وتأخر المعتمد وكاد أن يصلح " **الفونسو السادس** " ويدفع له الجزية إلا أن التعنت الصليبي جعل المعتمد بن عباد يقتل الوفد ثم يعاود الكثرة بمراسلة الأمير يوسف بن تاشفين وأخبره بأنه



قد وافق أن يتخلى عن المدينة الخضراء ليتخذها الأمير يوسف بن تاشفين منطلقاً لجيشه بعد هذا بدأ هذا الأمير بالإعداد والاستعداد فاستنفر قواته للجهاد، فاجتمع له نحو من سبعة آلاف فارس، في عدد كثير من الرّجل ^(١) .

وأقبل من بقي من جنده في مدينة مراكش حتى تكامل العدد، وكان قد أعدّ أسطولاً يتألف من مائة سفينة وعدداً من المراكب ليعبر فيها ^(٢) .

وبلغ الأذفونش (الفونسو السادس) استعدادات ابن تاشفين واعتزاه المجاز للأندلس، فأراد أن يجسّ التّبض، فكتب إليه يستحثّه على سرعة القدوم، وأغار على البلاد في تظاهرة عسكرية جرّارة حتى وصل ساحل البحر عند الجزيرة، وكتب من هناك كتاباً، كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له في القول، ويصف ما معه من القوة والعُدَد والعُدَد وبالغ في ذلك. فلما وصل الكتاب وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه، وكان كاتباً مفلقاً، فكتب وأجاد، فلما قرأه على أمير المسلمين. قال: "هذا كتاب طويل، احضر كتاب الأذفونش واكتب في ظهره: "الذي سيكون ستره"، والسلام على من اتبع الهدى ^(٣) .

(١) المعجب ص (١٩١).

(٢) نفح الطيب (٤ ص ٣٥٤).

(٣) « الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس » (ص ١٨٤).



فلما وقف الأذفونش على الكتاب، ارتاع له وعلم أنه بلي برجل لا طاقة له به ثم انطلق القائد العظيم أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بجيشه من مدينة " سبتة " (١) .

(١) سميت بهذا الاسم لأنها جزيرة منقطعة والبحر يطيف بها من جميع جهاتها إلا من ناحية المغرب فإن البحر يكاد يلتقي بعضه ببعض هناك ولا يبقى بينهما إلا أقل من رمية سهم وهي بلدة مشهورة من بلاد المغرب تقابل بلاد الأندلس تقع على ضفة البحر، ولا زالت تُسمى بهذا الاسم إلى اليوم. تدخل قليلاً في البحر، وهو بحر الزقاق؛ وتشرف على جبل طارق، ومنها عبر طارق بن زياد ثم يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، ضبطها الحازمي بكسر أولها، مرساها أجود مرسى على البحر، وهي مدينة حصينة؛ لأنها ضاربة في البحر كدخول كف على زند، قد أحاط البحر بها شرقاً وجوفاً وقبلة؛ وليس لها إلى البر غير طريق واحد من ناحية الغرب، لو شاء أهلها أن يقطعوه لقطعوه. ولها بابان أحدهما محدث، ولها من جهة البحر أبواب كثيرة. وفي آخر المدينة بشرقها جبل كبير في شعراء كثيفة يسمى جبل المينا، وقد كان محمد بن أبي عامر أمر أن يبنى بهذا الجبل مدينة وينقل إليها أهل سبتة، فبنى سورها ومات ولم يتم ما أراد؛ والسور باق إلى وقتنا هذا كأنه بُنى بالأمس؛ وهو يظهر من بر الأندلس لبياضه . وهي الآن محتلة من قبل إسبانيا تبلغ مساحتها ١٩ كيلو متراً مربعاً، وتمثل أهمية استراتيجية؛ لأنها أقرب ميناء أفريقي لأوروبا، والمسلمون فيها أغلبية؛ إذ يمثلون ٧٠٪ من مجمل عدد السكان الذي يصل لحوالي ٧٠ ألف نسمة، وتمثل أهم موقع للقواعد العسكرية الإسبانية على البحر المتوسط، ويعسكر فيها حوالي ١٥ ألف جندي أسباني .

انظر: معجم البلدان (٣/ ١٨٢) . معجم ما استعجم: (١٨٢) .



عبور المجاهدين:

عبرت الجيوش الإسلامية المجاز (مضيق جبل طارق) بقصد الجهاد سنة ٤٧٩ هـ، من سبتة إلى الجزيرة الخضراء تبعاً: فكان أولها قوة من الفرسان بقيادة داود بن عائشة، وآخرها موكب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، يوم الخميس منتصف ربيع الأول عام ٤٧٩ هـ/ ٣٠ حزيران ١٠٨٦ م. ^(١)

ويذكر بعض المؤرخين أنه خلال العبور هبّ ريح عاصف أثارت أمواجاً عالية، فرفع الأمير يوسف يديه إلى السماء يدعو الله عز وجل فقال :

"اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ فِي جَوَازِنَا هَذَا خَيْرًا وَصَلَاحًا لِلْمُسْلِمِينَ فَسَهِّلْ عَلَيْنَا جَوَازَ هَذَا الْبَحْرِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَصَعِّبْهُ حَتَّى لَا أَجُوزَهُ". واستجاب الله دعاءه، فسَهِّلْ لَهُ الْمَرْكَبَ، وَقَرِّبِ الْمَطْلَبَ" ^(٢) .

وما كاد يطأ بقدميه أرض الأندلس حتى سجد لله شكراً. وفي تلك المدينة الخضراء تلقاه أمير إشبيلية المعتمد بن عباد في وجوه من دولته، مع مائة من الفرسان جاء لاستقباله والسلام عليه ثم مد ليقبل يده فأبى يوسف بن تاشفين وعانقه ولسان حاله ليس أحد منا تابع والآخر متبوع وإنما كلنا سواء في معسكر الذب عن هذا الدين وهكذا هم عظماء هذه الأمة . وقدم إليه الهدايا والتحف، وتسلم الأمير يوسف قلعة الجزيرة الخضراء باحتفال حضره القضاة

(١) المؤنس ص (١٠٨)، دول الطوائف عنان ص (٢١٩).

(٢) دول الطوائف ص (٣١٩ - ٤٤٧).



والفرسان والمعتمد، كما تسلّم عدّة قلاع وحصون أخرى، قام بإصلاحها، وأعاد تحصينها، أتمّ تحصين، ونظمها حسب رأيه وإستراتيجيته الخاصة، ورتب لها حامية مختارة من جنده لتسهر عليها، وشحنها بمقادير عظيمة من الأقوات، والذخائر، والمؤن، لكي تغدو ملاذًا أمينًا، يلتجئ إليه، إذا منيت الحملة بالفشل (١) .

وفشا خبر عبوره الأندلس فقبول بالترحيب وانتعاش الآمال من قبل جميع المسلمين في الأندلس، وتحركت في نفوسهم روح الجهاد فتوافد إليه المتطوعة من كل مكان، كما جاءته الوفود مرحبة .

تحرك الجيش :

وبعد أن رتب جيشه في المدينة الخضراء وأعد له حامية مناسبة للانطلاق و للرجوع إن احتاج للانسحاب إليها بعد فراغه من ذلك تحرك بالجيش الإسلامي من الجزيرة الخضراء باتجاه الشمال الشرقي إلى اشبيلية، ولما وصلها نزل بظاهرها، وتجمع عنده في إشبيلية مجموعة من أمراء الأندلس ، وطلب إليه المعتمد أن يدخل حاضرة ملكه ليستريح فيها أيامًا من وعثاء السفر، ومشقة الطريق، قبل أن يلتقي بعدوه. فأبى يوسف الدّخول وقال "إنّما جئت ناويًا جهاد العدو، فحيثما كان العدو توجّهت، هلّم إلى ما جئنا له من الجهاد)".

(١) دول الطوائف ص (٣٢٠).



وأقام بظاهر أشبيلية ثمانية أيام، نظم فيها أموره، فتمّ التخلّص من كلّ ما لا حاجة إليه في ساحة المعركة، وتمّت دراسة الجوّ، والأوضاع والنفوس، وجاءت جيوش الأندلس وأمراء المسلمين وبداء يتكون للمسلمين جيش لا بأس به ذكر بعض المؤرخين أنه بلغ ثمانية وأربعون ألفاً نصفهم من المغرب وهم جيش المرابطين وذكر بعض المؤرخين أن الجيش الإسلامي إنما هو على النصف من ذلك أي في نحو العشرين ألف يزدون قليلاً .

فانضمّ المعتمد بقواته، وبعض قوات بعثها ابن صمادح صاحب المريّة الذي اعتذر عن عدم استطاعته الشّخص بنفسه بسبب العدوّ الملاصق له بمحصن ليط، من عمل لورقه، واعتذر بكبر السن مع الضعف. وساهم عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة وأخوه تميم صاحب مالقة، وابن ذي النون، وانضمّ المتوكل بن الأفطس وكان أشدهم حماساً، وقصدته المتطوّعة من سائر بلاد الأندلس ^(١) .

وقام يوسف بتنظيم الجيش للتحرّك من ظاهر أشبيلية، فجعل القوات الأندلسية لوحدها في المقدمة بقيادة المعتمد بن عباد، لمعرفتها التّامة بأرض الأندلس، في حين جعل الجيوش المرابطيّة في المؤخّرة، ثمّ أمر بالتحرّك إلى بطليوس ^(٢)، فتلقّاهم المتوكلّ عمر بن محمد الأفطس بما يجب من الضّيافات

(١) «الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس» (ص ١٨٦) ، المعجب للمراكشي ص (١٣٢).

(٢) بطليوس: اسمها القديم بتاليوم Batallium: وهي مدينة على الحدود البرتغالية تبعد عن مجريط (مدريد) نحو ٤٠٠ كلم. كانت عاصمة لبني الأفطس أيام ملوك الطوائف، وبالقرب منها كانت موقعة الزلاقة. ينسب إليها علماء وأدباء معروفون. وكانت تعتبر من كورة قصر ابن أبي وانس. (البينة/ ٢٣) «تاريخ ابن خلدون» (٦/ ٣١٤) .



والأقوات وبذل المجهود. فأقام الجيش هناك ثلاثة أيام للراحة في طرطوشة بالقرب من بطليوس .^(١)

وأما الفونسو السادس زعيم النصارى الصليبي الحاقد فإنه كان في تلك الأيام مشغول بمحاصرة إحدى مدن المسلمين وهي "سرقسطة"^(٢)

وأمرها ابن هود ، فقاومت ببسالة. وعندما تأكدت لديه أنباء عبور المجاهدين، رفع الحصار وراسل قادة النصارى وزعم أنهم إن لم ينصروه أن النصرانية سيقضى عليها في تلك البلدان قضاء لا رجعة لها بعده فحشد القوات النصرانية من جيليقية، وليون، وبسكونية، واشتوريش، وقشتالة^(٣) .

-
- (١) « الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس » (ص ١٨٦) ، «فتح الطيب ج٤ ص ٣٦٤» .
- (٢) «سرقسطة Zaragoza بلدة مشهورة تقع في شمالي غربي إسبانيا في منطقة (أراغون) على نهر (الأبرو) وتعرف بالبيضاء لأن أسوارها من الرخام الأبيض. بني مسجدها ووضع محرابه القائد العربي حنش بن عبد الله الصنعاني وفيها توفي سنة ١٠٠هـ. من مباني العرب المشهورة فيها قصر الجعفرية شرقي المدينة على ضفة نهر (الأبرو) ويغلب على الظن أن بانيه هو المقتدر بالله بن هود ملك سرقسطة (٤٣٨- ٤٧٤ هـ) وكان يكنى بأبي جعفر فقليل لقصره الجعفرية وكانت بسبب مركزها تعد من قواعد المملكة الإسلامية الكبرى وكان العرب قد استولوا عليها سنة ٩٤ هـ (٧١٢ م) بقيادة موسى بن نصير. وقد سقطت بيد ملك أراغون الفونسو الأول في رمضان سنة ٥١٢ هـ بعد حصار دام تسعة أشهر في عهد آخر ملوكها سيف الدولة المستنصر بن عبد الملك بن أحمد التجيبي وتحول مسجدها إلى كنيسة بعد هدمه وفيها قبر فرناندو حفيد الملك فرديناند الكاثوليكي. وهي أشهر معالم المدينة في الوقت الحالي وتسمى كنيسة "سيو Seo" ينسب إليها كثيرا من العلماء الأعلام منهم: ثابت بن حزم بن عبد الرحمن الصوفي وابنه القاسم بن ثابت من علماء الفقه والحديث واللغة وأبو عبد الله بن يحيى الهاشمي «تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير» (٢/ ٥٠ بترقيم الشاملة آليا).
- (٣) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص (٨٠) .



وكتب ملك اراغون شانجه بن ردمير صاحب بنبلونة وكان مشغولاً بمحاصرة طرطوشة، فانضمَّ إليه بقواته، وكتب الكونت برنجار ريموند الذي كان يتأهب لغزو بلنسية فانضم إليه بقواته. وطلب النجدات من أمراء ما وراء البرت فلحق به سيل من الفرسان والمتطوعين الفرنجة والألمان والإنكليز والإيطاليين، فأصبح جيشه كبيراً متفوقاً في العدة والعدد والإمكانات، حتى ذكر بعض المؤرخين أنه بلغ ثلاثمائة ألف مقاتل وأقل مصدر من مصادر التاريخ التي وقفت عليها تذكر أن جيش الفونسو السادس بلغ مائة وثلاثون ألف راجلٍ وفارس جاء هذا في بعض المصادر التاريخية واتخذت المعركة شكل الحروب الصليبية، فقد رفع القسيسون والزهبان والأساقفة صلبانهم، ونشروا أناجيلهم ^(١) أمام القوات التصراية، وباركها البابوات وحثوا عليها، ووجهوها، بل تباع رهبانهم على الموت وسار الفونسو بجيشه اللّجب مزهوّاً بتفوقه في العدد والعدة، وبلغ به الزهو وبجيشه أن قال: "بهؤلاء أقاتل الجنّ والإنس، وملائكة السماء" ^(٢) .

❁ **وبلغ به الأمر أن قال:** "بهذا الجيش ألقى إله محمد" **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ^(٣) .

وتحرك هذا المجرم الأثيم والكافر اللعين بجيشه نحو منطقة بطليومس.

(١) نفح الطيب (ج٢ ص ٣٦٣) الروض المعطار ص (٨٧) .

(٢) نفح الطيب (ج٢ ص ٣٦٣) .

(٣) الكامل في التاريخ (ج ٨ ص ١٤٢) .



❁ الوصول إلى أرض المعركة :

علم أمير المسلمين بتقدّم الجيوش الصليبية، فأمر الجيش الإسلامي بالتحرك، إلى مكان مناسب، اختاره مع القادة ليكون موقع المعركة الفاصلة، وهذا المكان موضع سهليّ من عمل بطليوس وأحوازا على مسافة ١٢ كم شمالها الشرقي، في العدو الشمالية للوادي الينع، وبينه وبين نهر تاجه، تتخلله الأحرش، ويقع على حدود البرتغال الحاليّة ، ويسميه المسلمون (الزلاقة) ، ويسميه الأوروبيون (ساكر الياس).

وفي هذا المكان وضع أمير المسلمين ترتيباً جديداً للجيش الإسلامي استعداداً للمعركة الفاصلة، فجعل الفرسان المرابطين وعددهم عشرة آلاف في طليعة الجيش، بقيادة أبي سليمان داود بن عائشة أشهر قادته الكبار، وذلك ليتلقوا الصدمة الصليبية الأولى.

وجعل قوات الأندلس تليهم، وكانت تؤلف وحدها جيشاً خاصاً، منفصلاً عن جيوش المرابطين، يقودها المعتمد بن عباد أمير أشبيلية أشهر ملوك الطوائف.

كما جعل جيشه في المؤخرة، وعلى مسافة كبيرة من جيش الأندلس، وراء أكمة ليوهم العدو أنّ الجيش الذي يواجهه هو الأوّل والثاني فقط.



وهكذا تحكّم المسلمون في اختيار موقع المعركة، ووضعوا خططهم على أساس ذلك، ونظّم يوسف الاتّصالات السّريعة بينه كقائد أعلى للجيش وقواد الجيشين بحيث تأتي الأخبار سريعة. وجعل ابن تاشفين المعتمد بن عباد في قلب مقدّمة جيش الأندلس، والمتوكل بن الأفطس في الميمنة، وأهل مشرق الأندلس في الميسرة، وباقي الأندلسيين في السّاقة.

وجعل من جيشه المرابطي كمائن لتفاجيء العدو بعد اصطدامه بفرسان المرابطين وجيش الأندلس، ولمنع الأندلسيين من التّراجع أو الفرار، وضرب معسكره وراء ربوته العالية منفصلاً عن مكان القوات الأندلسيّة ^(١).

ووصلت الأخبار بأن قائد النصارى الفونسو السادس سيكون وصوله إلى مشارف " **بَطْلِيُوس** " أو " **بطليومس** " يوم الأربعاء العاشر من شهر رجب لعام تسع وسبعين وأربعمئة من الهجرة النبوية الموافق الحادي والعشرين من أكتوبر لعام ألف وستة وثمانين للميلاد وبالفعل وصل ذلك الكافر اللعين بجيش يملأ الأرض ولا يسمع أهل الإسلام إلا ضجيجاً وأصواتاً تُصم لها الآذان لكثرة جيش الكفار (ولما أصبح على مسافة ١٨ ميلاً من القوات الإسلامية نزل هناك. عندئذ أمر أمير المسلمين المعتمد بن عباد أن يتقدم إلى سفح جبل أمام الأذفونش بحيث يترأّون، فظن الأذفونش أنّ عساكر المسلمين ليس إلا الذي يراه ، فنجحت خطة أمير المسلمين الأوّلية.

(١) (الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس) (ص ١٨٩)، (دول الطوائف ص ٣٢١).



وقام الفونسو بترتيب جيشه، فقسمه إلى قسمين: الأول بقيادة الكونت جارسيان والكونت رودريك، وخُصّص لمهاجمة المعتمد بن عباد. والثاني: جناح الفونسو بقيادة سانشو (شانجة) رامير يز ملك أراغون والكونت ريموند، وقاد الفونسو القلب. وهكذا كانت احتياطات وخطط الفونسو لا تقلّ في أهمّيتها عن خطط أمير المسلمين، وانتظم الجيشان وتصافّا لا يفصل أحدهما عن الآخر إلا فرع صغير من الوادي الينع هو وادي يبرا (١) .

❁ المراسلات:

كانت المراسلات وتبادل الكتب بين أمير المسلمين وملك التّصاري قد بدأت قبل دخوله الأندلس، وجميع المراسلات تحمل صيغة التّحدّي، وقبل بدء المعركة أرسل أمير المسلمين كتاباً لألفونسو امتثالاً لأحكام السنة المطهرة، يعرض عليه فيه الدّخول في الإسلام أو الجزية، أو المناجزة، ومما جاء فيه: "بلغنا يا أذفونش أنك دعوت إلى الاجتماع بنا، وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر بها البحر إلينا، فقد عبرنا إليك، وقد جمع الله تعالى في هذه السّاحة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك": ❁ **﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾** [سورة غافر - ١٥٠] (٢) .

(١) (الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس) (ص ١٩١).

(٢) (الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس) (ص ١٩١)، (نفع الطيب (ج ٢ ص ٣٦٢) ابن خلدون (ج ٦ ص ١١٥).



وإني أعرض عليك إحدى ثلاث إما الجزية وإما الدخول في الإسلام وإما الحرب فلما وصلت هذه الرسالة إلى الفونسو السادس استشاط غضباً ثم رمى بالرسالة إلى الأرض وقال: **(أخبر من أرسلك أن بيننا وبينه ساحة الحرب)** وأراد أن يخدع المسلمين فأرسل إليهم (يوم الخميس ١١ رجب) يقول: "الجمعة لكم، والسبت لليهود، وهم وزراؤنا، وكتابنا، وأكثر خدم العسكر منهم، فلا غنى بنا عنهم، والأحد لنا، فإذا كان ما نريده من الزحف"، أي حدّد أن تكون المعركة يوم الاثنين وهو ينوي بذلك الغدر، فجاءت العيون إلى يوسف وابن عبّاد وأكّدوا استعداد معسكر التّصارى. وقالوا: "استرقنا السمع فسمعنا الأذفونش يقول لأصحابه: ابن عبّاد مسعر هذه الحروب، وهؤلاء الصّحراويون وإن كانوا أهل حفاظ، وذوي بصائر في الحروب، فهم غير عارفين بهذه البلاد، وإنّما قادهم ابن عبّاد، فاقصدوه، واهجموا عليه، واصبروا، فإن انكشف لكم هان عليكم غيره"، فاستحثّ ابن عبّاد يوسف لنصرته، وبات المسلمون ليلتهم على أهبة احتراس وبقوا شاكّي السلاح بجميع محلاتهم، خائفين من كيد العدو ^(١).

وبالفعل كان هذا هو الذي أراده هذا النصراني الصليبي الحاقد ففي السحر من يوم الجمعة ١٢ رجب عام ٤٧٩ هـ، هاجم الفونسو القوات الإسلامية بجميع

(١) (الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس) (ص ١٩٢)، «الكامل في التاريخ (ج ٨ ص ١٤٤)، نفح الطيب (ج ٤ ص ٣٦٥) الروض (ص ٩٢).



قوّته الرّهيبه، هجوماً عاماً، ظناً منه أن الذي أمامه هي جميع القوات الإسلاميّة، فتصدّى له الفرسان العشرة آلاف من المرابطين بقيادة أبي سليمان داود ابن عائشة، وعلى الرغم من عدم قدرتهم على الصمود أمام سيل الفرسان النصارى، فقد استطاعوا تحطيم حدة وعنف هجمة النصارى، وتكسير موجتهم، بعد أن خسروا كثيراً من الشهداء، وتمّ التراجع إلى معسكر قوات الأندلس. واستمرّت صدمة النصارى رغم تكسّر حدّتها شديدة، فتراجعت القوات الأندلسية، ودارت عليهم الدائرة، وثبت ابن عبّاد وأبلى برغم ذلك بلاء حسناً، ثم أرسل كاتبه ابن القصيرة إلى يوسف يستحثه وهكذا اصطدم جيش النصارى الكبير العظيم الذي لا يكاد يُرى آخره بجيش المعتمد بن عباد واقتتلوا قتالاً شديداً وحمي الوطيس واشتدت المواجهات وصار الأمر صعب جداً وجيش النصارى لا يزال لكثرته يغلب ويكتسح الجيش المسلم وثبت ابن عباد ثباتاً عجبياً حتى قُتل تحت ثلاثة أفراس كلما قُتل فرس جيء إليه بأخرى فيركب عليها فقاتل قتالاً لم يقاتل مثله قبله حتى ضرب ضربة شديدة في رأسه و جرحت يمينه و طعن في أحد جنبيه وانهزم بعض المسلمين وانجفلت بعض الجهات وبعض القوات التي هي على مقربة من المعتمد بن عباد حتى وصلت إلى أسوار بطن يونس وإذا بجيوش النصارى تلاحقهم ويصاب قائد النصارى بنشوة وفرحة وبدأ يشم رائحة النصر ولا يدري ما الذي قد خبيء له وفي هذه اللحظات وبينما هم في غمرة من الفرحات لم



يفجأهم إلا ظهور جيش جديد لأهل الإسلام ينطلقون كالسهم بقيادة ذلك القائد البطل خرجوا من وراء التل العالي لا يقف لهم شيء وقسم يوسف الجيش المتبقي إلى قسمين قسم أمره أن يتجه إلى جهة المعتمد بن عباد يناصره ويؤازره ويفك عنه الحصار الشديد الذي قد صار يعاني منه وأما هو فاستدار استدارة عجيبة من وراء الجيش الصليبي حتى وصل الى مؤخرة جيش الصليب وأحرق الخيام وقتل الحراس وأخذ النساء السبايا ثم أمر أمير المسلمين بضرب الطبول، وزعقت البوقات، فاهتزّت الأرض، وتجاوبت الجبال والآفاق ^(١) ودوّت صيحات : "الله أكبر" وأشعل النار في المعسكر القشتالي، واضطربت قلوب النصارى وصرخ الصارخ وانذهل القوم والتفت جيش النصارى إلى ورائه فرأى دخانًا عظيمًا وسمع صراخًا وفرارًا فسأل القائد النصراني الفونسو ما الخبر؟

قالوا : لقد داهم المسلمون مؤخرة الجيش وأخذوا محلته وأخذوا حريم السلطان فطار لبه ، وجن جنونه وعاد بمن معه إلى مؤخرة جيشه يصول ويقاتل المسلمين من الخلف وهجم عليه المعتمد بن عباد مع من معه من جهتهم ، فوقع الجيش الصليبي بين مطرقة المرابطين وسندان ابن عباد وعظم الكرب واشتد الخطب وصعب الأمر جدًّا واشتد القتال والصدام واقتتل

(١) انظر: نفع الطيب (ج٢ ص ٣٦٦ - ٣٦٨) عن ابن خلكان (ج٦ ص ١١٦) وهو ينقل عن كتاب " تذكير العاقل وتنبيه الغافل " للبياسي



المسلمون مع الكفار قتالاً طار لأجله الغبار وأظلم النهار وصار الناس لا يسمعون إلا صهيل الخيول وطنين السيوف وغارت الأقدام في الدماء وزلقت الخيول والفرسان من كثرت الدماء التي كادت تصل إلى الساق أو إلى الركب فسمي الموقع موقع الزلاقة زلقت الفرسان وزلقت الرجال بسبب كثرة الدماء وعظم الأمر جداً على المسلمين والكفار وكلهم يقاتل حمية لدينه فكان يوسف بن تاشفين يمر على المسلمين وهو يهدر على خيله هدير الأسد ويقول لهم : يا عباد الله اثبتوا اثبتوا فمن قُتل فله الجنة ومن سلم فله الغنيمة والأجر العظيم وقاتل قتالاً شديداً حتى كادت شمس يوم الجمعة أن تغرب ورأى يوسف بن تاشفين أنه لو أقبل الليل وجاء الظلام وتوقفت المعركة أن هذا ليس لصالح المسلمين وأنه لا بد من الحسم سريعاً قبل حلول الظلام وكانت له قوة خاصة وهم حراسه وهم قرابة أربعة آلاف من السودان وكانوا بمثابة قوات المهمة الخاصة أو ما يسمى في زمننا بقوة التدخل السريع فأمرهم بالنزول من خيولهم ثم باقتحام جيش النصارى وضرب بطون خيولهم وصدورها فدخلوا المعترك بدرق اللمط، وسيوف الهند، ومزاريق الران، فطعنوا الخيل فانجفلت عن يركب عليها ^(١) ثم استمروا في التقدم والتوغل وسط جيش النصارى حتى وصل أحدهم إلى الفونسو السادس فضربه بسهم في فخذه فأثبت السهم في فخذه وخاف عليه حراسه وكانوا قرابة خمسمائة من الحرس الخاص فأحدقوا

(١) نفح الطيب (ج٢ ص ٣٦٨) ابن خلكان (ج٦ ص ١١٦).



به ثم جعلوا يصرفونه عن المعركة وهو يأبى إلا أن يقاتل حتى الموت فلم يزالوا به قليلاً قليلاً حتى خرجوا به من ساحة المعركة إلى تل مرتفع واستمر المسلمون يقتلون ويسفكون ولا يقف في وجوههم أحد حتى امتلات تلك البقاع بالجثث وصارت أكواما فقتل من النصارى أكثر الجيش بل كله إلا نحو خمسمائة وكثير منهم أصابته جروح عميقة فلم يصل الفونسو السادس إلى مكانٍ آمن وما بقي معه إلا مائة فارس ^(١) وبقيتهم ما بين قتيل وجريح واستشهد عدد كبير من المسلمين يصلون إلى ثلاثة آلاف بينهم عدد من العلماء الفضلاء وأعيان الناس ومن العلماء: ابن رميلة وقد ترجم له ابن بشكوال في الصلة ^(٢) فوصفه بأنه: "كان كثير الصدقة وفعل المعروف، واستشهد بالزلاقة مُقبلاً غير مدبر عام ٤٧٩ هـ". واستشهد العالم أبو مروان عبد الملك المصمودي قاضي مراكش ^(٣) والفقيه أبو رافع الفضل ولد الحافظ العالم الأندلسي الفقيه الأديب أبي محمد بن حزم ^(٤) وانتهت المعركة مع حلول الظلام وعم الفرح في أوساط المسلمين وأرسل المعتمد بن عباد رسالة إلى ولده يبشره بالنصر العظيم وبقي المسلمون في أرض المعركة إلى صبيحة يوم السبت وُجِع من جماجم النصارى كوماً كبيراً كالهرم وقيل كالمئذنة فصعد المؤذن عليها - أي على جماجم أولئك الكفرة - ورفع صوته بالأذان - الله

(١) نفح الطيب (ج٤ ص ٣٦٩) الروض المعطار (ص ٩٣).

(٢) (٦٨) رقم (١٤٤) وانظر نفح الطيب (ج٤ ص ٣٦٩) الروض المعطار (ص ٩٣).

(٣) الروض المعطار (ص ٩٤-٩٥).

(٤) وفيات الأعيان (ج٣ ص ٣٢٩) وقد حدّث عن والده: سير أعلام النبلاء (ج١٨ ص ١٨٦).



أكبر إلى قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وأكمل أذانه والمسلمون في عز وفرح وسرور واستبشار عظيم ليس له نظير وهكذا بقي المسلمون في جنبات المعركة أربعة أيام يجمعون الغنائم وقد اجتمعت لهم غنائم عظيمة وكثيرة جداً تفوق الحصر من الخيول والإبل والأغنام والخيام والنساء والسيوف والدروع غنموا شيئاً كبيراً وكثيراً أما القائد المسلم يوسف بن تاشفين عليه رحمة الله فإنه لما أخبر بأمر الغنائم عَفَّ عنها وآثر بها ملوك الأندلس ، وقال :إنما جئنا لنقاتل في سبيل الله لا طلباً للغنيمة وإنما طلباً للأجر والشواب من الله ^(١) .

"ولما رَجَعَ ابنُ عبادٍ إلى إشبيلية جلس للنَّاسِ وهنئ بالفتح وقرأتُ القُرَّاءُ وَقَامَتِ على رأسه الشُّعراءُ فأنشدوه قَالَ عبدُ الجليل بن وهبون حضرت ذلك اليَوْمِ وأعددت قصيدة أنشدها بين يَدَيْهِ فَقَرَأَ قارىءٌ ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾ فَقُلْتُ بُعْدًا لِي وَلشعري وَاللهُ مَا أَبْقَتْ لِي هَذِهِ الْآيَةُ معنَى أحضرهُ وأقوم بِهِ " ^(٢) .

" وقد بايع يوسف ابن تاشفين بعد انتهاء الواقعة من شهدها معه من ملوك الأندلس وأمرائها، وكانوا ثلاثة عشر ملكًا، فسلموا عليه بأمير المسلمين، وكان

(١) نفح الطيب (ج٢ ص ٣٦٩) الروض المعطار (ص ٩٣) .

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٢/ ٥٠) .



يدعى بالأمر، وأرسل إلى الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله ببغداد، فأتته الخلع، والأعلام، ولقبه بأمر المسلمين، وناصر الدين" (١) .

وضرب السكّة من يومئذ وجدّدها، ونقش دينارها: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) ، وتحت ذلك: (أمر المسلمين يوسف بن تاشفين) . وعلى الوجه الآخر: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران - ٨٥] ، وتحت ذلك: (الأمر عبد الله أمير المؤمنين العباسي) . وفي الدائرة: تاريخ ضرب الدينار وموضع سكّه (٢) .

ثم مكث يوسف بن تاشفين أياماً وبعد أن اطمئن على المسلمين في الأندلس قفل راجعاً إلى بلاده المغرب فرحمة الله عليه تترى من قائد عظيم كانت لمعركته هذه - الزلاقة - الأثر الكبير لتثبيت المسلمين حيث بقيت دولة المسلمين في الأندلس بعد معركة الزلاقة أربعة قرون بعد أن كادت تسقط في تلك المدة و﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤) **بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) ﴿[الروم: ٤-٥] .**

(١) الكامل في التاريخ (ج٨ ص ١٤٣) .

(٢) (الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس) (ص١٩٦)، المؤنس (ص ١٠٩) وفيات الأعيان (ج٧ ص ١١٥) أعمال الأعلام (ج٣ ص ٢٥١) .

للمزيد انظر:

"الروض المعطار": (٢٨٧ - ٢٩٢) ، و"نفح الطيب": (٤ / ٣٥٤ - ٣٧١) ، والكامل لابن الأثير: (١٠ / ١٥١ - ١٥٥) ، ووفيات العيان: (٧ / ١١٥) ، وما بعدها ، الحلل الموشية: (٣٣ - ٤٦) . المعجب للمراكشي: (١٩٥ - ٢٠٠) . دول الطوائف لعنان: (٣٢٠ - ٣٣٢) .



كانت هذه هي معركة الزلاقة التي لا يعرف عنها كثير من المسلمين شيئاً والتي كانت كبداية ومقدمة لحروب صليبية عظمى خاضها المسلمون في رد عدوان النصارى الصليبيين يأتي إن شاء الله تبارك وتعالى إن أمد الله بالعمر على الطاعة ذكرشيء من تلك المعارك وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



الحلقة السادسة



مقدمة مهمة عن الحملة الصليبية الأولى :

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

حينما نتحدث عن الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية لابد أن نتكلم عن أهم هذه الحروب وهي الحملات الصليبية التي هي أهم جزء من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية وليست كل الحروب بل هناك حروب صليبية أخرى على الأمة الإسلامية كانت قبل الحملات الصليبية السبع أو الثمان ونقول: السبع أو الثمان ؛ لأن أكثر المؤرخين يذكرون سبع حملات صليبية وزاد بعضهم الحملة الثامنة التي وقعت على تونس وسواء كانت الحملات الصليبية سبع أو كانت ثمان فهي جزء وحلقة من سلسلة طويلة من الحروب الصليبية التي قام بها النصارى على أمة الإسلام وقد استمرت هذه الحملات مائتي سنة تقريباً من ٤٨٩هـ إلى ٦٩٠هـ.

وأطلق الغربيون على هذه الحروب في تواريخهم أسماء عدة منها: (الحج إلى الديار المقدسة) ، (الحرب في خدمة المسيح) ، (أعمال المسيحيين وراء البحار) ، (الحرب من أجل تحرير القبر المقدس) ^(١) .

وأما المؤرخون المسلمون كابن الجوزي وابن الأثير وابن كثير وغيرهم فكانوا

(١) مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، د ممدوح حسين، (١٠- ١١) ، وماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم (٢٣٩) .



يسمونها: (حروب الفرنجة) أو الإفرنج ^(١)، وكثير من المتأخرين أطلق عليها لفظ **(الحروب الصليبية)** .

ولا شك ان أشهر وأعظم الحروب الصليبية هي الحملات الصليبية السبع أو الثمان ، وبعض هذه الحملات أخطر وأعظم من بعض فالحملة الصليبية الأولى هي أخطر الحملات الصليبية السبع التي استمرت قرنين من الزمن عانى فيها أهل الإسلام معانات عظيمة شديدة وجرت وقائع كبيرة ومعارك طاحنة بين المسلمين و النصارى وكان من أخطر وأكبر الحملات الحملة الأولى التي كانت عام اثنين وتسعين وأربعمائة للهجرة النبوية وهذه الحملة كانت مخصصة لانتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين لما لبيت المقدس من شأن عظيم وتاريخ كبير وأيام عظيمة في تاريخ المسلمين والنصارى بل واليهود فقد كان بيت المقدس منذ زمن طويل تحت سيطرة النصارى والذين عرفوا بالروم والأمبراطورية الرومية واستمرت السيطرة حتى في عهد النبي **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وفي عهد أبي بكر إلى خلافة عمر **رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ** في العام الخامس عشر حينما أمر جيش الفاتحين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ^(٢) بالتحرك إلى الشام فتحرك

(١) الفرنجة والإفرنجة تحولت من كلمة (الفرانك) (Franks) وهم من السلالة الجرمانية تغلبوا على فرنسا فنسبت إليهم وتسمت بهم، ثم إن العرب تلفظوا بها (الفرنج) أو (الإفرنج) وغلبت هذه اللفظة على كل الأوروبيين ويقال إن اشتقاق اسم فرنسا من الفرانك .
انظر : غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، لشكيب أرسلان، ٥١ والحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ١٨٦.

(٢) هو أبو عبيدة، عامر بن عبد الله بن الجراح. أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرين، وأمين هذه الأمة، وصاحب المناقب الجمّة. رضىه أبو بكر يوم السقيفة مع عمر بن الخطاب ليختار



المسلمون إلى الشام وكان همهم الأكبر تحرير المسجد الأقصى وبيت المقدس من دنس النصارى ودعوتهم الشركية القائمة على التثليث وعلى زعمهم الباطل بأن عيسى ابن الله وتحقق للمسلمين خيرٌ عظيم وحاصروا بيت المقدس واستمر الحصار أربعة أشهر وبدأت المفاوضات في بيت المقدس بين زعماء النصارى و المسلمين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ووافقوا على تسليم بيت المقدس ولكن بشرط أن يأتي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة النبوية لاستلام المفاتيح فأرسل أبو عبيدة ابن الجراح إلى أمير المؤمنين عمر يخبره بذلك فاستشار أمير المؤمنين عمر بعض الصحابة ك (عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** فأشار عليه علي بالخروج لعل الله عز وجل يجعل فيه خيراً فخرج حتى وصل إلى فلسطين ووصل إلى بيت المقدس وقام النصارى بتسليم مفاتيح بيت المقدس إلى أمير المؤمنين عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وكانوا يزعمون أن في كتبهم السابقة علامات للرجل الذي سيستلم مفاتيح بيت المقدس وأن هذه العلامات متوفرة في أمير المؤمنين عمر فسلموا له المفاتيح وكتب لهم عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** شروطاً ووقع الصلح وكان مما اشترط النصارى على عمر ألا يأذن لليهود بالسكنى في بيت المقدس يوماً من الدهر وكان الصراع محتدم بين النصارى و اليهود فوافق عمر على هذا وكان مما كُتب في شروط

المسلمون أحدهما للخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان من جمعة القرآن، ومن الموصوفين بحسن الخلق والحلم والتواضع. ولي الشام زمن عمر فكان آية في العدل والزهد. مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٣ - ٥ / ١).



الصلح أن لهم الأمان ما وفوا بالشروط وأن عليهم الجزية وأنه لا يُتعرض لهم ولا لشيء من كنائسهم وكان صلحاً فيه من الرحمة و من دلائل عظمة هذا الدين شيء كبير واستمرت بيت المقدس في حكم المسلمين في ظل هذه الملة السمحة خمسة قرون إلى بداية الحملات الصليبية التي نحن بصدد الحديث عنها.





بداية الحملة الصليبية الأولى :

كان يوجد في أوروبا راهب من رهبان النصارى يقال له " **بطرس الناسك** " **Peter the Hermit** كان معتزلاً عن الناس في بعض مغارات أوروبا يتعبد على الطريقة النصرانية المحرّفة ثم بدى له أن يحج في تلك المدة والنصارى لا يحجون إلا إلى بيت المقدس كما هو معلوم فتحرك عام ستة وثمانين وأربعمائة للهجرة النبوية حاجاً إلى بيت المقدس فوصل إلى بيت المقدس وغاضته سيطرة المسلمين على الشام عموماً وعلى بيت المقدس على وجه الخصوص وكانت بيت المقدس وكثير من أجزاء الشام في تلك الأيام تحت حكم الدولة السلجوقية السنية فلما رأى هذا الأمر أصابه غيظٌ شديد وجلس مع بطريق كنائس بيت المقدس " **سمعان** " فجعلوا يبكيان وينتحبان ويتذكران مجد الكنيسة والنصارى الأتيل الذي كان قبل ظهور الإسلام ثم قطع على نفسه عهداً أنه سيجند أوروبا بجميعها لاسترداد بيت المقدس من الغاصبين الكافرين يعني أهل الإسلام ثم تحرك إلى " **إربان الثاني Urban** " وكان على الكنيسة الكاثوليكية الأوروبية تلك المدة وهو رجل نصراني خبيث متحمّس لما هم عليه من الحق على الإسلام والمسلمين فجلس معه " **بُطرُسُ الفاسق** " وليس " الناسك " وقصّ عليه الخبر وشكى إليه حال النصارى في الشام وأنهم في ذل



وهوان وأن أهل الإسلام يستذلونهم ويفعلون بهم ويفعلون وكل هذا الكلام كذب و دعاوى باطلة يُراد من ورائها إشعال الفتنة وإلا فقد كان النصارى يعيشون عيشة كريمة تحت ظل الدولة الإسلامية فوجد بطرس الناسك قبولاً لدعوته وحمسه البابا إربان الثاني وهيئه للتنقل في أوروبا والتحرك في مدنها لإشعال فتيلة الجهاد ضد الغاصبين المسلمين وبالفعل تحرك هذا الكافر اللئيم بطرس الناسك وزار كثيراً من البلدان والمدن وهو يهيج على المسلمين فكان أول من نادى بالحرب الصليبية ثم قرر زعيم الكنيسة الكاثوليكية أوربان الثاني أن يتحرك بنفسه وأن يعقد مجمعا ضخما في فرنسا فتحرك وأعلن عن مجمع عالمي لنصارى العالم وعلى وجه الخصوص لنصارى أوروبا وكان ذلك بجنوبي فرنسا- في " **كليرمون فيران** " Clermont – Ferrand في شوال ٤٨٨ هـ / سنة ١٠٩٥ م فحضره جمع غفير من نصارى أوروبا حتى امتلأت المدن المجاورة لمكان المجمع وامتلأت المزارع والشوارع بالنصارى الذين حضروا وكان الحاضرون متعددي الأشكال والطبقات فمنهم الأمراء ومنهم القساوسة والرهبان ومنهم الجنود ومنهم النصارى العاديين ومنهم الرجال ومنهم النساء فوقع مجمع ومؤتمر كبير جداً وفي الجلسة العاشرة من هذا المؤتمر و المجمع الكنسي قام بطرس الناسك فألقى خطبته الدينية الحماسية فألهب مشاعر النصارى المستمعين وكذب على المسلمين وزعم بأن النصارى في اضطهاد وأن النصارى في الشام وفي الجزيرة العربية يتعرضون لأقسى أنواع الظلم وأن



الأماكن المقدسة نجّسها هذا الصنف الغريب النجس الكافر - المسلم في نظره - ثم جلس وقام "أوربان الثاني" فألقى أيضًا خطبةً دينيةً سياسية وحمّس الناس وحثهم على الجهاد وعلى تحرير المقدسات من أيدي الغاصبين فكان مما قال : " يا شعبَ الفرنجة! شعبَ الله المحبوب المختار، لقد جاءت من تُخوم فلسطين" ومن مدينة القسطنطينية أنباءٌ مُحزنةٌ تُعلنُ أن جنسًا لعينًا -أبعد ما يكونُ عن الله- قد طعَى وبَغَى في تلك البلاد - بلادِ المسيحيين -، وخَرَبها بما نَشَره فيها من أعمال السلب والحرائق، ولقد ساقوا بعضَ الأسرى إلى بلادهم وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عَذَّبوهم أَشْنَعَ تعذيب، وهم يَهْدِمون المذابح والكنائس بعد أن يُدَنِّسوها بِرِجْسهم؛ ولقد قَطَّعوا أوصالَ مملكةِ اليونان، فانترعوا منها أقاليمَ بَلَغَ من سَعَتِها أن المسافرَ فيها لا يستطيعُ اجتيازَها في شهرينِ كاملينَ عَلى من تقعُ تَبِعَةُ الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع، إذا لم تَقَعْ عليكم أنتم؟! أنتم يا مَنْ حباكم "الله" -أكثر من أيِّ قومٍ آخرين- بالمجدِ في القتالِ وبالبسالةِ العظيمة، وبالقدرة على إذلال رؤوس مَنْ يقفون في وجوهكم؟!.

ألا فليكنْ من أعمالِ أسلافكم ما يُقَوِّي قلوبكم -أعجاب شارلمان وعظمته، وأعجاب غيره في ملوككم وعظمتكم-، فليُثِرْ هَمَّتكم ضريحُ المسيح المقدس ربَّنَا ومُنقذنا، الضريحُ الذي تملكه الآن أُممٌ نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لُوَّتْ ودُنِّسَتْ لا تدعوا شيئًا يقعدُ بكم عن



أَمْلَاكُمْ أَوْ مِنْ شُؤْنِ أُسْرِكُمْ، ذَلِكَ بِأَنْ هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي تَسْكُنُونَهَا الْآنَ -
وَالَّتِي تُحِيطُ كُلُّهَا عَنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا الْبَحَارُ وَقُلُلُ الْجِبَالِ - ضِيقَةٌ لَا تَتَّسِعُ
لِسكَّانِهَا الْكَثِيرِينَ، تَكَادُ تَعْجُزُ عَنْ أَنْ تَجُودَ بِمَا يَكْفِيكُمْ مِنَ الطَّعَامِ، وَمِنْ
هَذَا يَذْبَحُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَلْتَهُمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَتَتَحَارِبُونَ وَيَهْلِكُ
الْكَثِيرُونَ مِنْكُمْ فِي الْحُرُوبِ الْدَاخِلِيَةِ.

طَهَّرُوا قُلُوبَكُمْ إِذَنْ مِنْ أَدْرَانِ الْحَقْدِ، وَأَقْضُوا عَلَى مَا بَيْنَكُمْ مِنْ نِزَاعٍ،
وَاتَّخِذُوا طَرِيقَكُمْ إِلَى الضَّرِيجِ الْمُقَدَّسِ، وَانْتَزِعُوا هَذِهِ الْأَرْضَ مِنْ ذَلِكَ الْجَنَسِ
الْخَبِيثِ، وَتَمَلَّكُوهَا أَنْتُمْ، إِنَّ "أُورُشَلِيمَ" أَرْضٌ لَا نَظِيرَ لَهَا فِي ثِمَارِهَا، هِيَ فَرْدُوسُ
الْمَبَاهِجِ.

إِنَّ الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ الْقَائِمَةَ فِي وَسْطِ الْعَالَمِ تَسْتَغِيثُ بِكُمْ أَنْ هُبُّوا
لِإِنْقَاذِهَا، فَقُومُوا بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ رَاغِبِينَ مَتَحَمِّسِينَ، تَتَخَلَّصُوا مِنْ ذُنُوبِكُمْ،
وَيُثِقُوا أَنْكُمْ سَتَنَالُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَجْدًا لَا يَفْنَى فِي السَّمَاوَاتِ"

ثم وجه في خطبته كلامًا خاصًا للفرنسيين ومدحهم وأثنى عليهم وأنهم
محل آمال الكنيسة الكاثوليكية فقال : "يا مَنْ كُنْتُمْ لَصُوصًا، كُونُوا الْيَوْمَ جُنُودًا!
لَقَدْ آتَى الزَّمَانُ الَّذِي فِيهِ تُحَوَّلُونَ ضِدَّ الْإِسْلَامِ تِلْكَ الْأَسْلِحَةَ الَّتِي أَنْتُمْ إِلَى الْآنَ
تُسْتَعْمَلُ بِهَا بَعْضُكُمْ ضِدَّ بَعْضٍ .. فَالْحَرْبُ الْمُقَدَّسَةُ الْمُعْتَمَدَةُ الْآنَ هِيَ فِي حَقِّ
اللَّهِ عَيْنُهُ .. وَلَيْسَتْ هِيَ لَا كِتْسَابَ مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ .. بَلْ هِيَ أَقَالِيمُ آسِيَا مُجْمَلَتَهَا،
مَعَ غِنَاهَا وَخَزَائِنِهَا الْعَدِيمَةِ الْإِحْصَاءِ فَاتَّخِذُوا مَحَجَّةَ الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ، وَخَلَّصُوا



الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض - حسب ألفاظ التوراة - تَفِيضُ لبنًا وعسلًا .. ومدينة "أورشليم" هي قطبُ الأرض المذكورة، والأمكنة المخصصة المشابهة فردوسًا سماويًا.

اذهبوا وحاربوا البربر - يقصد المسلمين! - لتخليص الأراضي المقدسة من استيلائهم .. امضُوا مُتَسَلِّحِينَ بسيفِ مفاتيحي البطرسية - أي: مفاتيح الجنة التي صنعها لهم البابا! -، واكتسبوا بها لذواتكم خزائن المكافآت السماوية الأبدية، فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم، فالملكُ الشرقيُّ يكون لكم قَسَمًا وميراثًا.

وهذا هو الحينُ الذي فيه أنتم تَفُذُّون عن كثرة الاغتصابات التي مارستموها عدوانًا .. ومن حيث إنكم صبغتم أيديكم بالدم ظلماً، فاغسلوها بدم غير المؤمنين" ^(١) .

وقال : (إن إرادة الرب تحتم على المسيحيين تخليص بيت المقدس من أيدي إمبراطورية الشيطان) ، وعندها خر الكهنة الحاضرون راكعين تحت قدمي البابا وما إن انتهى من خطبته إلا والقوم يشتعلون حماسًا واندفاعًا ويصرخون بهتافات ومنها قولهم : **(هذه إرادة الرب)** بهذا جعلوا يهتفون وتقدم مجموعة

(١) الحروب الصليبية : د/ سيد عبد الفتاح عاشور مكتبة الأنجلو المصرية ، (وا محمداه إن شانتك هو الأبتَر) (١/ ١٦٨) عن "تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب" لمكسيموس مونروند (١/ ٤١٣) ترجمة مكسيموس مظلوم .



من التجار ومجموعة من الأمراء ومجموعة من الأساقفة والرهبان وسجدوا بين يدي البابا إربان الثاني وأعلنوا استعدادهم التام للتضحية وبذل المال والنفس وكل ما يملكون لاسترداد الأماكن المقدسة وإنقاذ النصرانية في الشرق .

بعد هذا الحماس الكبير بدأت التعبئة وبدأ إعداد الجيوش الجارية واستعدت حتى النساء والأطفال كلهم استعداداً وطلبوا التحرك لإنقاذ نصارى الشرق ولإنقاذ مقدسات الشام من أيدي المسلمين وكان أول جيش يتحرك هو جيش المتطوعين بزعامة بطرس الناسك فكان أكثر جيش بطرس من المتطوعين وكان عدده ثمانين ألف وهذا الجيش إنما هو طليعة لجيش ضخم تحرك بعده فتحرك بهم بطرس الناسك حتى وصل إلى بيزنطة وهي التي عُرفت بالقسطنطينية وهي التي سماها السلطان العثماني محمد الفاتح — "إسلام بول" أي مدينة الإسلام وهي المعروفة الآن بـ "اسطنبول" كان يسيطر على هذه المدينة النصارى البيزنطيون الأرثوذكسيون فكانت تابعة لهذه لفرقة من فرق النصارى وهي فرقة الأرثوذكس وكان بين الأرثوذكس والكاثوليك صراع شديد لكن البابا "إربان الثاني" دعا في خطبته إلى توحيد جهود جميع النصارى من أجل تحقيق الهدف العظيم وهو تحرير الشام من أيدي المسلمين الكفرة كانت هذه هي إحدى ركائز الخطبة التي ألقاها أوربان الثاني "لأجل تحرير الشام من أيدي الكافرين وأن هذه هي دعوة الرب



لأنه هو نائب الرب في زعمهم ثم إنه منح صك الغفران الجزئي لكل من يتحرك لتحرير الشام من أيدي المسلمين ، وكانت هذه إغراءات كبيرة في نظر النصارى فتحرك هذا الجيش الأول بقيادة بطرس الناسك فوصل إلى بيزنطة وحاصرها وخشي حاكم بيزنطة زعيم الأرثوذكس في تلك البلدة من هذا العدد الكبير فراسلهم وعرف أنهم لا يريدونه وإنما يريدون المسلمين حينئذ وعدهم أن يسهل لهم عبور البوسفور إلى تركيا فسهل لهم العبور فعبروا واصطدموا بالدولة السلجوقية وكان السلاجقة لا يزالون يشكلون قوة ليست سهلة في تلك الجهات بل و إلى الشام وكانت بيت المقدس تحت حكمهم فاصطدم السلاجقة مع هذا الجيش المتطوع النصراني وكان السلاجقة عندهم جيش نظامي متدرب وكان هؤلاء النصارى جيشهم جيش تطوعي ومعروف حال الجيوش التطوعية أنه يغلب عليها عدم الانتظام وعدم المعرفة بالقتال بالشكل المطلوب وبأمور التقدم والتأخر وغيره وعلى كل حال فقد كتب الله النصر لجيش السلاجقة على هذا الجيش التطوعي الصليبي الذي يصل عدده إلى ثمانين ألف مقاتل سُحقوا جميعًا وتفرقوا وتشتت شملهم ثم بدأت الجيوش الجرارة تتحرك بعد هذا الجيش وشاركت فيها ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وشارك فيها أمراء كثر لأجل هذا أُطلق على الحملة الصليبية الأولى حملة الأمراء لكثرة من شارك فيها من الأمراء خرجوا بأربعة جيوش جرارة ولما وصلوا إلى أسوار القسطنطينية رأتهم بنت ملك القسطنطينية فقالت لأبيها يا أبت إن



هذا شعب بكامله يتحرك كان عددهم كبير جدًا ذكر كثير من المؤرخين أنهم وصلوا إلى ألف ألف أي مليون والمليون ليس بالقليل ولكن يذكر كثير من المؤرخين أن هذا العدد هو باعتبار جميع الموجودين من رجال ونساء وأطفال وأما المقاتلون فهم لا يزيدون عن المئتين والخمسين إلى الثلاثمائة ألف وباقي الجيش إنما هم من النساء والصبيان والخدم والعبيد وغير ذلك لكنه تحرك مهول جدًا حتى قال بعض المؤرخين كأنما أوروبا اقتلعت من مكانها بدأ هذا العدد الهائل يكتسح البلدان اكتساحًا .

هذه هي بداية الحملة الصليبية الأولى وإن شاء الله تبارك وتعالى في الحلقة القادمة سأحدث عن تحركها ووصولها إلى الدولة السلجوقية وماحصل لها ومنها بعد ذلك .

نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد ونسأله سبحانه أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يزلزل عروش الكافرين من يهودٍ ونصارى وملاحدة إنه على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين .



الحلقة السابعة



تفاصيل الحملة الصليبية الأولى

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

كان حديثنا في الحلقة الماضية عن بداية الحملات الصليبية على الأمة الإسلامية ، وذكرنا مقدمةً عن الحملة الصليبية الأولى وذكرنا أنها تكونت من خمسة جيوش جرارة وأن أول جيش من الجيوش الخمسة هو جيش المتطوعين النصارى الصليبيين الذين أوصاهم البابا (إربان الثاني) أن يحملوا الصليب معهم وأن يجعل كل واحدٍ منهم علامة الصليب على جبهته أو على صدره وكانت هذه التعليمات لجميع الجيوش الخمسة فتقدم بطرس الناسك بثمانين ألف من المتطوعين واصطدم بقوة الدولة السلجوقية ونصر الله المسلمين على أولئك المجرمين الكافرين وتشتت الجيش التطوعي قُتل منهم من قُتل وفر منهم من فر واختفى ذكر "بطرس الناسك" فيإلى حيث حلّت رحلها أم قشعم ثم تحركت بعد هذا الجيش الجيوش النظامية وهي أربعة جيوش جرارة .

الأول: من جنوب فرنسا بقيادة ريموند دي ساي جيل.

والثاني: من شمال فرنسا بقيادة روبرت كورت هوذ.



والثالث: من أعلى فرنسا بقيادة جودفري بويون.

والرابع: من جنوب إيطاليا بقيادة تنكريدو بوهيموند النورماندى ^(١) .

ووصلت إلى أعتاب القسطنطينية ورغم أن سكان القسطنطينية وقائدها نصارى إلا أنهم من الأرثوذكس وليسوا من النصارى الكاثوليكين فارتعبوا لذلك العدد الكبير ولتلك الجحافل الجرامة فاتفق حاكم القسطنطينية مع قواد تلك الجيوش أن يسهل لهم العبور إلى البلدان الإسلامية وبالفعل سهل لهم ذلك وعبروا نهر البوسفور إلى الأناضول إلى الدولة السلجوقية فحاول أمير الدولة السلجوقية " قَلْبُجْ أَرْسِلَانَ " خامس سلاطين السلاجقة أن يدفع عن الإسلام والمسلمين هذا الشر وقاومهم بكل ما يقدر وجاهدهم بما يستطيعه إلا أنها كانت جيوش جرارة لا يُعرف أولها من آخرها فهُزمت الدولة السلجوقية أمام تلك القوة الكبيرة وسقطت " نيقية " عاصمة دولة السلاجقة سنة (١٠٩٧م) وهزموا السلاجقة في " دور يليوم " ^(٢) وتفرقت الدولة السلجوقية إلى خمس دول واستمر جيش النصارى يزحف جهة المشرق الإسلامي جهة الشام حتى وصل إلى أنطاكية ^(٣) .

(١) (موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي) (١٣/ ١٢٨) بترقيم الشاملة آليا) .

(٢) (موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي) (١٣/ ١٢٨) بترقيم الشاملة آليا) .

(٣) مدينة على شاطئ النهر العاصي [نهر حماة وحمص ويعرف بالميماس - يا] ، ويقال لها أنتوخيا أيضا (لد)



وكانت هذه المدينة من مدن الشام وقلاعها الحصينة فوصل الجيش النصراني وضرب حصارًا خانقًا على المسلمين في أنطاكية وكانت أغلب بلاد الشام تحت زعامة الدولة السلجوقية التركية ولكن كما سبق قد ضرب الرأس وسقطت عاصمة الدولة وتفرقت جيوشها فاستغل العبيديون أصحاب الدولة الفاطمية التي قامت في مصر وفي المغرب واستمرت قرنين من الزمن وكانت في هذه المدة مدة الحملات الصليبية بالذات الحملة الصليبية الأولى كان لها نفوذ ولكنه نفوذ محدود وكانت تصطدم بالدولة السلجوقية في الشام فلا تستطيع أن تتجاوزها فلما ضعفت الدولة السلجوقية وسقطت عاصمتها في أيدي الصليبيين بدلًا من أن يتحرك الفاطميون المحسوبون على الإسلام والمسلمين لنجدة المسلمين اعتبروها فرصة فهجموا على بيت المقدس وانتزعوها من الدولة السلجوقية ثم أرسلوا إلى قواد النصارى يهنتونهم باحتلال نيقية عاصمة الدولة السلجوقية ويشجعونهم على حصار أنطاكية وهكذا هم أهل البدع فالدولة الفاطمية دولة شيعية تزعم أن النصوص الشرعية ليست على ظاهرها وأنه ينبغي الاعتماد على بواطن النصوص أكثر من ظاهرها كالقرامطة والمكارمة والبهرة ومنهم الإسماعيليون الحشاشون هذه الدولة الباطنية الخبيثة العبيدية صارت عونًا للنصارى على المسلمين فسيطرت على بيت المقدس واستمر النصارى يحاصرون أنطاكية وأثناء الحصار وصلت إمدادات كبيرة من



فرنسا وبعض دول أوروبا بقيادة القائد الصليبي الحاقد على الإسلام والمسلمين
"جود فري" (١) .

فوصل هذا النصراني إلى الشام وجعل جزءاً من جيشه يساند النصارى في حصار أنطاكية وجزءاً آخر بقيادة بلدوين تحرك شرقاً إلى الرها التي سرعان ما سقطت في يده فأسس أول إمارة صليبية في الشام ومأحولها في (ربيع الأول سنة ٤٩١ هـ / فبراير ١٠٩٨ م) ومدينة الرها هذه تقع شمال العراق ولكنها في التقسيمات الدولية العصرية ضمن الدولة التركية وكان يسكنها كثير من النصارى ولكنها كانت تحت حكم المسلمين وفيها حامية مسلمة ومجموعة من الجنود والحرس التابعين للدولة الإسلامية فتحرك إليها الجيش النصراني بتوجيه من قائد الحملة الذي راسله بعض النصارى من الرها وطلب منه أن يعمل على تحريرهم فلما وصل الجيش الصليبي إلى هذه المدينة لم تثبت الحامية الإسلامية أمامه طويلاً لقلّة عددها وكثرة عدد الجيش الصليبي فسقطت الرها فكانت أول إمارة صليبية تقع وتؤسس في قلب الأمة الإسلامية وكانت طموحات هذا الرجل النصراني الأوروبي الصليبي أن يتجه إلى الموصل فيسقطها وإلى بغداد فيسيطر عليها لكنه وجد مقاومة ومواجهة شديدة من

(١) هو الدوق جودفري LGodfrey سيد بويون Bouillon وهي مقاطعة صغيرة في بلجيكا، وكان يجمع بين صفات الجندي والراهب، شديد التعصب لدينه، وكان على رأس الجيوش الصليبية الأولى عند غزوها للشرق وبلاد الإسلام. (قصة الحضارة) المجلد الرابع ص (٢٠-٢١)، (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) (٤٠٧/٥) .



أهل تلك البلدان فأثر الرجوع إلى بقية الجيش في الشام وكانت الخلافة العباسية في تلك الأيام موجودة لكن شكلياً جسم بلا روح كثير من أطراف الدولة يسيطر عليها المسلمون السلاجقة ومصر وبعض أطراف الشام يسيطر عليها الشيعة العبيديون وهكذا فصارت لا أثر لها وإن كان لا يزال هناك خليفة عباسي وهو المستظهر بالله لكنه لا يهش ولا ينش ولا يقدم ولا يؤخر تحرك الجيش النصراني بعد سيطرته على الرها ورجع إلى أنطاكية وبعد حصار دام ستة أشهر وكان قد استنجد أميرها " **باغي سيان** " بالقوى الإسلامية القريبة والبعيدة للعمل على إنقاذ أنطاكية والوقوف كتلة واحدة أمام الخطر الصليبي الذي يهدد الجميع، فاجتمعت له قوات إسلامية كثيرة عند بلدة حارم إلى الشرق من أنطاكية، وكانت خطة المجاهدين المسلمين في هذه المرحلة أن يهاجموا هذه الحيوش الصليبية المحيطة بأنطاكية فجأة، وفي الوقت نفسه يخرج الجيش الذي يقوده أمير أنطاكية " **باغي سيان** " من أنطاكية، مما يجعل الصليبيين بين فكي كمامشة، غير أن النصارى في حلب وحارم - خاصة السريان والأرمن - أبلغوا الصليبيين بهذه الخطة، فلما اشتبك الفريقان حلت الهزيمة بالمسلمين قبل أن ينفذوا خطتهم، واستولى الصليبيون على حارم بمساعدة أهلها السريان والأرمن ^(١) .

(١) ابن النديم، تاريخ حلب حوادث سنة ٤٩١ هـ، والمقصود بالسريان هنا اتباع الكنيسة السريانية اليعقوبية، أي بعبارة أخرى: أصحاب مذهب الطبقية الواحدة للسيد المسيح (المنوفستين) ، ويشاركونهم الأرمن، الأقباط المصريين المذهب نفسه لذا اعتبروا هراطقة من وجهة نظر الكنيسة



ولما طال حصار انطاكية من قِبَل الصليبيين، وضاحت بهم الحال استقر رأي قاداتهم على أن يقوم أحدهم بالاستيلاء بالقوة على أحد حصونها الواقع على ناحية نهر العاصي، وتقرر أن يحاصر كل قائد منهم هذا الحصن مدة أسبوع بالتتابع؛ وكان على الحصن أحد القادة من قِبَل الأمير "باغي سيان"، يُدعى "فيروز"، وكان فيروز هذا قد اعتنق الإسلام ونال ثقة باغي سيان، فعهد إليه باغي سيان بحراسة أحد أبواب المدينة في الجهة الجنوبية، ولم يلبث هذا الأرمني - النصراني الأصل - أن غلبت عليه روح الخيانة، فاتصل ببعض الأرمن الذين كانوا متعاونين مع الصليبيين وتوسطهم لمراسلة القائد الصليبي بوهيمند، وأنه مستعد لتسليم انطاكية إن أمّنه وأعطوه ما أراد، فراسله الصليبيون وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين القائد بوهيمند بعد أن أغراه بالأموال والحظوة إذا اعتنق النصرانية مرة ثانية، فوثق فيروز بقوله، واتفق معه على أن يفتح له أحد الأبراج التي يتولى حراستها، ومنحه مالاً كثيراً، واحتفظ بوهيمند لنفسه بسر هذه المؤامرة عن أصحابه، فلما كانت نوبته في محاصرة البرج المذكور فتح له فيروز شباكه ليلاً، فدخل الصليبيون منه وهدموا جزءاً من السور ودخلوا البلد ودوّت الصيحة في أحياء المدينة ورفع بوهيمند رايته على نقطة مواجهة لقلعة انطاكية، وقتل الصليبيون في اليوم التالي من صادفوه بالمدينة من المسلمين وسبوا من النساء والأطفال عدداً لا يُحصى ^(١).

الجامعة في مجمع مقدونية الذي عقد عام ٤٥١ م .

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (ج/١٠، ص ١٧٤ - ١٧٥)، أعمال الفرنجة /حسن حبشي، (ص ٦٤ - ٧٠).



وهرب قائدها السلجوقي وسقطت في أيدي النصارى وبعد سقوطها بثلاثة أيام جاء جيش من قبل العباسيين ومن المتطوعين من العراق وغيرها جاء جيش كبير يقوده "كربوغا" ف ضرب هذا القائد حصاراً على أنطاكية والجيش الصليبي الكبير داخلها ضرب حصاراً خانقاً على جميع من في أنطاكية فتضرر النصارى تضرراً كبيراً لكثرتهم حتى إنهم لم يجدوا ما ياكلون فقد ذكر بعض المؤرخين أنهم أكلوا لحوم الكلاب في ظل الحصار الخانق الذي ضربه الجيش الإسلامي عليهم بقيادة القيادي العباسي "كربوغا" وأثناء الحصار جعل قائد النصارى "بوهمند" يفكر في خطة يستعيد فيها معنويات أصحابه فأصبح ذات يوم يخبرهم بخبر عجيب قال لهم رأيت اليسوع أي المسيح عيسى بن مريم في المنام قالوا فماذا قال لك قال جاءني ببشارة عظيمة تحمل النصر المؤزر لقد دلي على موضع دُفنت فيه حربته في بعض كنائس أنطاكية وفي زعمهم أن من يملك حربة المسيح لن يهزم وجيش فيه حربة المسيح جيش قاهر ففرحوا واستبشروا وقالوا لنذهب فنأتي بهذه الحربة فذهب هو ومن تحرك معه إلى كنيسة لعله قد أمر بعض جنوده أن يدفنوا فيها حربة في وقت من ليل فحفروا وأخرجوا حربة فقال لهم هذه هي حربة المسيح فابشروا بالنصر ما بقي إلا أننا نفتح الأبواب - أبواب أنطاكية - ونبدأ بمهاجمة الجيش الإسلامي والنصر حليفنا فارتفعت معنويات النصارى بشكل كبير وبدأ يرسل القائد الإسلامي "كربوغا" ويقول له أتح لنا المجال وسنخرج لقتالكم فعرض هذا



القائد الأمر على بعض قاداته العسكريين فذب الخلاف بينهم منهم من يقول لا نفتح لهم مجالاً ومنهم من يقول دعوهم يخرجوا ونقاتلهم وماذا عسى أن يحصل منهم فلما ندب الخلاف وبينما هم في أخذ ورد تفاجئوا بفتح أبواب أنطاكية وهجوم الجيش الصليبي عليهم ومعنويات النصارى مرتفعة فحصل انتصار كبير لأولئك المجرمين و تفرقت الجيوش الإسلامية وبعد تلك المعركة سقطت أنطاكية فصارت الإمارة النصارانية الصليبية الثانية وهي من بلدان الشام وفيها قوم من أهل الإسلام كُثر ولكنهم تفاجئوا بهذا الجيش الجرار الذي داهمهم وحاصرهم حصاراً يسيراً ثم انقض عليهم ودخل عليهم مع صلاة العشاء أو مع أذان العشاء وأسكت المؤذنون وهم يؤذنون على منارات مساجد معرة النعمان وقتل النصارى خلقاً كثيراً من المسلمين في هذه البلاد بعد أن سيطروا على معرة النعمان اتجهوا نحو بيت المقدس يتقدمهم القائد الصليبي " **جود يفري** " يمشي على الأقدام حافي القدمين شاهراً سيفه متجهاً إلى بيت المقدس وفي طريقهم حاول أن يعترضهم حاكم طرابلس فجعل يناوشهم على ضعف في عدد جيشه لكنه كان يؤمل أن تأتي الإمدادات فراسل الخليفة العباسي في العراق وراسل الحاكم الفاطمي في مصر وراسل بعض الأمراء في كثير من البلدان في الشام لكنه لم يجد شيئاً يشفي العليل ويروي الغليل ولم تأت أي نتيجة لتلك المراسلات إلا نتيجة مؤلة مؤسفة حيث وصل رسول الحاكم الفاطمي عبر البحر إلى حاكم طرابلس ما الذي



يريد هذا الرسول ؟ وما الذي يحمله ؟ هل جاء بالبشارة بأن الحاكم الفاطمي يعد جيشاً جراراً من رجال مصر وهم أهل نصره وأهل قوة لو وجدوا قائداً رشيداً وحاكماً سديداً وقد نصر الله بهم الدين في كثير من المواطن .

الجواب : جاء يقول له إن الخليفة الفاطمي بلغه أن عندك جارية حسناء فهو يطلب منك أن تبيعها له بأي ثمن شئت يريد أن يشتري جارية بلغه خبرها وأنها ذات جمال وحسن وأيضاً للحاكم الفاطمي طلب آخر وهو أنه يطلب بعض الخشب المشمس ليصنع منه بعض آلات الطرب !!

لاشك أن هذه مهزلة من مهازل التاريخ الفاطمي وهكذا هم الفاطميون وهكذا هم الشيعة وهكذا هم أهل البدع على مر العصور لا يُنتظر منهم نصر ولا ينتظر منهم تفريج عن الإسلام والمسلمين بشيء فهم لا للإسلام نصروا ولا للأعداء كسروا فلما يئس حاكم طرابلس ورأى أنه لا فائدة من المواجهة استسلم هو وأهل طرابلس وسقطت مدينة طرابلس بحصونها في يد العدو الغاشم الحقود الصليبي الكافر فصارت طرابلس الإمارة الثالثة وكانت الثلاث الإمارات اللاتي أسست في قلب الأمة الإسلامية تابعات بشكل صوري لمملكة بيت المقدس من إمارات النصارى في بلاد المسلمين واستمر الجيش النصراني في توجهه نحو بيت المقدس .

أكتفي بهذا القدر وفي الحلقة القادمة إن شاء الله نذكر الأحداث الجسيمة والأهوال العظيمة التي حصلت عند وصول الجيش النصراني



الصليبي الحاقـد إلى بيت المقدس أسأل الله العلي القدير بمنه وكرمه أن
يوفقني وإياكم لكل خير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الحلقة الثامنة



أهم أحداث الحملة الصليبية الأولى :

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

مواصلةً في ذكر أحداث الحملة الصليبية الأولى على الأمة الإسلامية وعلى وجه الخصوص على الشام وقد ذكرنا في الحلقة السابقة كيف سقطت تلك البلدان وتلك الحصون العظيمة سواء حصن أنطاكيا أو بلدة معرة النعمان أو طرابلس لبنان وكيف تهاوت أمام تلك الجموع الكبيرة من النصارى الحاقدين ثم واصل أولئك المجرمون طريقهم وتحركهم نحو بيت المقدس وضربوا عليها حصاراً شديداً وقد كان راسلهم الحاكم الفاطمي حاكم الدولة الفاطمية الباطنية في مصر وفأوضهم بمفاوضة فيها التنازل والرضا بوجود النصارى في بلاد الشام فطلب منهم ان يبسطوا نفوذهم على شمال الشام وأن يتركوا له جنوبها وأن تكون بيت المقدس تابعة له فرفض الصليبيون هذا العرض لأن القدس مطلبهم الأساسي وأكثر الجهود التي بذلوها إنما بذلوها لأجل الوصول إلى القدس فكان ذلك العرض عرضاً فاشلاً وانتهت المفاوضات وبدأ الصليبيون بضرب الحصار على القدس وأثناء الحصار وصلت إمدادات للصليبيين من أوروبا وهذه الإمدادات تحمل معدات جديدة وآلات وأجهزة



لصنع الأبراج الخشبية التي يستطيعون من خلالها اقتحام المباني والأسوار والحصون العظيمة فقاموا بإنشاء برج خشبي على جدار حصن القدس وأرادوا من خلاله أن يتسوروا الحصن فتمكنوا من تدمير ذلك البرج فأنشؤا برجاً آخر وتحت ضربات المنجنيق وتحت تضليل الرماح تمكنوا من نصب البرج على جدار حصن القدس وصعدوا عليه وبدأت المواجهات على أسوار الحصن وما هي إلا مواجهات طفيفة ويسيرة حتى استسلمت حامية القدس التابعة للدولة العبيدية الفاطمية كما سبق ذكر ذلك أنها سيطرت على القدس وانتزعتها من الدولة السلجوقية وبسطت نفوذها عليه ولما جاء الصليبيون لم يجدوا مقاومة كبيرة من الحامية كما لو كانت المواجهة بينهم وبين جهة إسلامية هذا هو دأب الشيعة ودأب الفرق الضالة كالباطنية وغيرها فإنهم عوناً دائماً لأعداء الإسلام حتى شكك بعض المؤرخين في هذه المواجهة التي جرت على أسوار القدس وقالوا هي أشبه ما تكون بالتمثيلية يعني من باب ذر الرماد على العيون حتى لا يقول المسلمون وبالذات سكان القدس لماذا لم تقم الحامية التابعة للدولة الفاطمية بحماية القدس ولماذا تسلم القدس بهذه الطريقة السهلة فكانت مناوشات خفيفة انتهت على إثرها المواجهات ودخل الصليبيون الحاقدون القدس ووصلوا إلى المسجد الأقصى وكانت الكارثة المدوية والمؤلمة على مر التاريخ كان دخولهم صبيحة الثالث والعشرين من شعبان لعام اثنين وتسعين وأربعمئة من الهجرة النبوية وحينما دخل



الصليبيون القدس قاموا بمحصد كل من وجدوه أمامهم من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال فلم يتركوا أحداً يجدونه إلا وأعملوا فيه سيوفهم فأصاب الناس ذعر ورعب شديد وفروا إلى المسجد الأقصى فتحصن فيه وفي ساحاته وجواره سبعون ألفاً فما كان من قائد الحملة الصليبية الحاقدة إلا أن أصدر أوامره بذبح الجميع فأعملت فيهم السيوف وجرت مذبحه عظيمة جداً لم ينبج ممن دخل المسجد واعتصم به أحد ^(١) ولا ممن التجأ واعتصم بمعبد سليمان ومعبد الرب ولا بغيرها من الأبنية التي اعتصم بها الناس من أهل الإسلام قتلوا جميعاً قتلاً ذريعاً حتى سبحت الخيول في الدماء وسبحت الجثث في الدماء وهرب أقوام إلى سطوح الأبراج فلحققتهم الجيوش الصليبية الحاقدة فكانت تأمر بعضهم بالسقوط من فوق الأبراج وتقتل بعضهم و أصدر الصليبي الحاقد قائد هذه الحملة بقتل النساء والصبيان فنالت سيوف أولئك المجرمين النساء وكذا خاضت الرماح في أجساد الأطفال والصبيان الصغار وكانوا ينتزعون الأطفال الرضع من أحضان أمهاتهم فمنهم من يرمون بهم من فوق الأبراج وبعض الأطفال يأخذونهم ويشدخون رءوسهم على الجدران وقد كان من وسائل الترفيه لدى الصليبيين أن يشوا أطفال المسلمين كما تشوى النعاج وهذا مما أثبتته مؤرخوا النصارى فضلاً عن غيرهم .

(١) انظر : الكامل في التاريخ (٨ / ٤٢٥) .



يقول "رانسيما" في كتابه عن الحروب الصليبية: "وكان الجيش في "مَعْرَة الثُّعْمَان" يُعاني الجوعَ بعد أن نَفِدَتِ المُوْنُ التي استولى عليها من الجوار، ولم يكن له من سبيلٍ سوى أن يأكلَ لحومَ البشرِ يَشُووْنَ جُثَّت قتلاهم من الرجال والصَّبِيان المسلمين ويأكلونها!!".

وكتب المؤرِّخ "راؤل دي كاين" المرافق للفرنج قائلاً: "في مدينة "المَعْرَة" كان رجالنا يقومون بَعْلِي شُبَّانِ الوثنيين -أي: المسلمين- في آزارات .. ويُوَثِّقُون الأطفالَ على الأسياخ ويأكلونهم مشويين" ^(١)

يالها من أعمال وحشية بكل ما تعني هذه الكلمة ليس بشهادة المؤرخين المسلمين فقط بل بشهادة مؤرخي النصارى ومنهم :

١- ابن العبري- في كتابه مختصر الدول (ص: ١٩٧) - حيث قال: " ولبت الإفرنج في البلد أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين، وقُتل بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً" وانظر مصادر أخرى أفرنجية في الحركة الصليبية (٢٣٧/١) - (٢٣٨) والعجيب أن افتخار الدولة- حاكم بيت المقدس العبيدي عند احتلال النصارى لها خرج هو وجنده وحدهم سالمين- لم يصابوا بأذى- بعد أن أعطاهم الفرنج الأمان! ^(٢) .

(١) (وا محمداه إن شانتك هو الأبت) (٣/ ٣٦٤).

(٢) الحركة الصليبية (٢٣٦-٢٣٧) .



٢ - كاهن مدينة لوبوي ريموند داجيل وصف سلوك الصليبيين حينما دخلوا القدس فقال: حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقطعت رءوس بعضهم فكان هذا أقل ما أصابهم، وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرقت بعضهم في النار فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رءوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوه. ^(١)

- وروى الكاهن نفسه خبر ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر -رضي الله تعالى عنه- فقال: "لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان فكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملمحة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة" ^(٢) .

وأرسل بعض من شهد الواقعة من النصارى الصليبيين رسائلهم التبشيرية يبشرون بها قائد الكنيسة الكاثوليكي "أوربان الثاني" وهم يشرحون له المجازر العظيمة والمذابح الرهيبة التي أنزلوها بالمسلمين بالرجال والنساء والأطفال

(١) "حاضرة العرب د. غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتير، ط/ الثانية عام ١٩٤٨ (ص ٤٠٢).

(٢) حاضر العالم الإسلامي تأليف لوثرود ستودارد ترجمة نويهض. (ج ١ ص ٦٠).



كما وصف ستيفن رنسيمن في كتابه تاريخ الحروب الصليبية ما حدث في القدس يوم دخلها الصليبيون فقال: وفي الصباح الباكر من اليوم التالي اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين فأجهزت على جميع اللاجئين إليه، وحينما توجه قائد القوة ريموند آجيل في الضحى لزيارة ساحة المعبد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه، وتركت مذبحه بيت المقدس أثرًا عميقًا في جميع العالم^(١).

ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا مجموعة من الرجال فعذبوهم أيامًا ثم أشعلوا فيهم النار وهم أحياء ولم يكتفوا بذلك بل رجعوا إلى الجثث فجعلوا يبقرون البطون زاعمين بأن المسلمين ابتلعوا الذهب حينما أيقنوا بالموت فجعلوا يبقرون البطون ليستخرجوا الذهب زعموا فلما تعبوا من الذبح بسبب كثرت جثث المسلمين حيث صارت أكوامًا هائلة كالبنائيات العظيمة الشاهقة جعلوا يشعلون فيها النار حتى أصبحت رمادًا وهم يزعمون أنهم يبحثون عن الذهب الذي ابتلعه المسلمون في بطونهم وصارت في أمعائهم وهكذا فعلوا الأفاعيل بالمسلمين فإننا لله وإنا إليه راجعون .

(١) موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللثام (١٠/ ٢٠١).



قال بعض المؤرخين قتل الصليبيون في ساحة المسجد الأقصى سبعين ألفاً من المسلمين ومنهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف ^(١) .

وسيطر الصليبيون على العقارات والدور والبنيات فلم يبق شيء للمسلمين في تلك البلاد إلا أخذه وكان الجندي الصليبي إذا وصل إلى بيت وكان أول من يدخله يمتلكه بكل ما فيه واتفقوا على ذلك أن لكل جندي أن يمتلك كل شيء وصل إليه من دار أو حديقة أو بستان أو غير ذلك وفر بعض المسلمين لا يلوون على شيء هاموا على وجوههم في البلدان وفي الفياقي والقفار ووصل بعضهم إلى العراق وهم يبكون وينتحبون وكان منهم الإمام العلامة أبو سعيد الهروي عليهم رحمة الله أجمعين كان ممن هرب مع من هرب حتى وصلوا إلى بغداد فشكوا الحال إلى المسلمين هناك فاستمع المسلمون إليهم وهم يقصون عليهم فصول وأحداث هذه المأساة الفضيعة فضجت مساجد المسلمين في العراق بالبكاء وضجت بيوت المسلمين بالنحيب فبكوا بكاءً شديداً حتى عجز بعضهم عن صيام بعض أيام رمضان في تلك السنة من شدة البكاء والنحيب ومن شدة الحزن وما نزل بهم من الألم بسبب ما حصل للمسلمين فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ^(٢) .

(١) ابن الأثير. الكامل (ج ١٠ ص ٢٨٢-٢٨٤) ، ابن الطبري- تاريخ مختصر الدول (ص ١٩٧) ، غوستاف

لوبون- حضارة العرب (ص ٣٢٤-٣٢٧) .

(٢) الكامل (١٠/٢٨٤) .



فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو الْمُظَفَّرِ الْأَيُّورُذِيُّ :

مَرْجَنَا دِمَاءً بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِلْمَرَاحِمِ
وَشَرُّ سِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعٌ يُفِيضُهُ إِذَا الْحَرْبُ شُبَّتْ نَارُهَا بِالصَّوَارِمِ
فَإِيهَا بَنِي الْإِسْلَامِ إِنَّ وَرَاءَكُمْ وَقَائِعَ يُلْحِقْنَ الذَّرَى بِالْمَنَاسِمِ
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ مِْلَاءَ جُفُونِهَا عَلَى هَفَوَاتٍ أَيْقَظَتْ كُلَّ نَائِمِ
وَإِخْوَانَكُمْ بِالشَّامِ يُضْحَى مَقِيلُهُمْ ظُهُورَ الْمَذَاكِ أَوْ بُطُونَ الْقَشَاعِمِ
تَسُومُهُمُ الرُّومُ الْهَوَانَ وَأَنْتُمْ تَجْرُونَ ذَيْلَ الْخَفِضِ فِعْلَ الْمَسَالِمِ
وَبَيْنَ اخْتِلَاسِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ تَظَلُّ لَهَا الْوِلْدَانُ شَيْبَ الْقَوَادِمِ
وَتِلْكَ حُرُوبٌ مَنْ يَغِبُ عَنْ لَيْسَلَمَ يَقْرَعُ بَعْدَهَا سِنَّ نَادِمِ
سَلَنَ بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ قَوَاضِبًا سَتُغَمَدُ مِنْهُمْ فِي الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ
يَكَادُ لَهُنَّ الْمُسْتَجِنُّ بِطِيبَةِ يُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا آلَ هَاشِمِ
أَرَى أُمَّتِي لَا يَشْرَعُونَ إِلَى الْعِدَا رِمَاحَهُمْ وَالْدِّينُ وَاهِي الدَّعَائِمِ
وَيَحْتَنِبُونَ الثَّأْرَ خَوْفًا مِنَ الرَّدَى وَلَا يَخْسَبُونَ الْعَارَ صَرْبَةً لَازِمِ
أَيْرِضَى صَنَادِيدُ الْأَعَارِبِ بِالْأَذَى وَتُغْضِي عَلَى ذُلِّ كُمَاةِ الْأَعَاجِمِ



فَلْيَتَّهِمُوا إِذْ لَمْ يَدْعُوا حَمِيَّةً عَنِ الدِّينِ ضُنُّوا غَيْرَةً بِالْمَحَارِمِ
وَأِنْ زَهَدُوا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَمِيَ الْوَعَى فَهَلَا أَتَوْهُ رَغْبَةً فِي الْمَغَانِمِ ^(١)

وأما الصليبيون المجرمون فإنهم عمدوا إلى المسجد الأقصى فجعلوا بعضاً منه كنيسة لهم ونصبوا عليه صلبانهم والنواقيس والتصاوير وبعضاً منه جعلوه مخزناً لأسلحتهم ومعداتهم وأما ساحات المسجد فجعلوها اسطبلًا لخيولهم وخنازيرهم - لعنهم الله - ودقّت الأجراس في كل أنحاء أوروبا فرحاً بذلك ^(٢) .

واستخفّ الطرب بالبابا باسكال الثاني فكان مرسومه بإعلان الحروب الصليبية في أسبانيا ضد المسلمين ^(٣) .

كانت هذه المأساة من أعظم المآسي التي مرت بالمسلمين عبر التاريخ وهذه المأساة حتى النصارى لا يستطيعون نكرانها أو التخلص منها أو التملص عنها فكتبهم مليئة بذكر ذلك على سبيل الإفتخار بما فعلوه بالكفار على حسب زعمهم ويقصدون بالكفار المسلمين قاتل الله أولئك المجرمين وقد فعل .

(١) القصيدة في ديوانه (١٥٦/٢) وذكرها ابن كثير: (البداية والنهاية) (١٦/ ١٦٧ ت التركي) وابن الأثير في الكامل.

(٢) تاريخ الأندلس - أشباخ (ص ١١١).

(٣) انظر التواتي (ص ٤٢٢ - ٤٢٤) .



و قاتل الله أحفادهم الموجودين في زمننا هذا الذين لا يزالون يعيشون الفساد في البلاد ويتسترون بستار الدعوة إلى السلام وبستار الإغاثات والرحمة والدعوة إلى حقوق الإنسان وهم قد أنزلوا بالإنسان أبشع العذاب وأصناف و ألوان التعذيبات .

هذه هي مأساة احتلال النصارى الصليبيين للقدس واستمرت هذه المأساة وهذه المحنة في أوساط المسلمين مدة واستمر القدس والمسجد الأقصى تحت سيطرة هؤلاء المجرمين اثنان وتسعون عاماً حتى هياً الله ذلكم البطل المغوار وذلكم القائد الجسور صلاح الدين الأيوبي عليه رحمة الله فكانت له مع هؤلاء المجرمين ومع أبنائهم وأحفادهم صولات وجولات انتهت بتحرير المسجد الأقصى كما سيأتي معنا في ذكر معركة حطين إن شاء الله تبارك وتعالى .

أكتفي بهذا القدر بارك الله فيكم ونسأله سبحانه وتعالى أن يرحم موتى المسلمين أجمعين السابقين منهم واللاحقين ونسأله سبحانه وتعالى أن يقطع دابر الكافرين المجرمين أجمعين من اليهود الغاصبين والنصارى الصليبيين إنه على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين .



الحلقة التاسعة



الحملة الصليبية الثانية وآل زنكي :

بسم الله الحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

تكلّمنا في الحلقة الماضية عن مأساة عظيمة مرت بالأمة الإسلامية وهذه المأساة هي اقتحام النصارى لبلاد الشام وعلى وجه الخصوص اقتحامهم لبيت المقدس وتدنيسهم للمسجد الأقصى وذكرنا المجزرة الفظيعة والمذبحة الشنيعة التي فعلها أولئك الكفار بالمسلمين فلم يفرقوا بين رجل وامرأة وبين صغير وكبير وبين مقاتل وغير مقاتل فكانت جريمتهم تشبه إلى حدٍ كبير جريمة التتار حينما دخلوا العراق وفعلوا بالمسلمين الأفاعيل البشعة في بغداد وهكذا يداول الله عز وجل الأيام بين الناس ولو كان أهل الإسلام لا يعرفون إلا الانتصارات مرة بعد أخرى لكان في ذلك فتنة للناس وسيصاب بعضهم بالعجب والغرور وسيدخل فيهم المنافقون طلباً للسلامة وبحثاً عن الغنيمة وأيضاً لن تُنال مراتب الشهادة التي أعدها الله عز وجل لمن أراد من العباد فلهذه الحكم وغيرها اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن تكون الحروب بين أهل الحق وأهل الباطل دول .



بعد دخول الصليبيين الشام وتدنيسهم للمسجد الأقصى مكثوا مدة ليست بالكبيرة ثم يأبى الله عز وجل إلا أن يأتيهم ما ينغص عليهم حياتهم فلم ينعموا كثيراً بما حصل لهم من انتصار وبما حصل لهم من الظفر على أمة الإسلام فما هي إلا مدة يسيرة وإذا بربنا سبحانه وتعالى يهيئ رجالاً يحملون هم هذه الأمة ويحملون راية الجهاد ويحملون هم دين الله عز وجل وهم كثر ولكن أشهر هؤلاء وأكبرهم فضلاً وأعظمهم قدراً ثلاثة :

﴿الأول : عماد الدين ﴾^(١) زنكي عليه رحمة الله .

(١) أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب؛ صاحب الموصل وكان من الأمراء المقدمين، وفوض إليه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ولاية بغداد في سنة إحدى وعشرين وخمسائة، ولما قتل آق سنقر البرسقي وتوفي أيضاً ولده مسعود ورد مرسوم السلطان محمود من خراسان بتسليم الموصل إلى ديبس بن صدقة الأسدي صاحب الحلة فتجهز ديبس للمسير، وكان بالموصل أمير كبير المنزلة يعرف بالجاولي، وهو مستحفظ قلعة الموصل ومتولي أمورها من جهة البرسقي، فطمع في البلاد وحدثه نفسه بتملكها، فأرسل إلى بغداد بهاء الدين أبا الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد اليعيساني لتقرير قاعدته، فلما وصلا إليها» وجدا الإمام المسترشد قد أنكر تولية ديبس، وقال: لا سبيل إلى هذا، وترددت الرسائل بينه وبين السلطان محمود في ذلك، وآخر ما وقع اختيار المسترشد عليه تولية زنكي المذكور، فاستدعى الرسولين الواصلين من الموصل وقرر معهما أن يكون الحديث في البلاد لزنكي، ففعلاً ذلك، وضمنا للسلطان مالاً وبذل له على ذلك المسترشد من ماله مائة ألف دينار، فبطل أمر ديبس وتوجه زنكي إلى الموصل وتسلمها، ودخلها في عاشر رمضان سنة إحدى وعشرين وخمسائة، كذا قال ابن العظيمي في تاريخه، وقد قيل: إن انتقاله إلى الموصل كان في سنة اثنتين وعشرين وخمسائة، والأول أصح. ولما تقدم زنكي الموصل سلم إليه السلطان محمود ولديه ألب ارسلان وفروخ شاه المعروف بالحفاجي ليربيهما فلهذا قيل له " أتابك " لأن الأتابك هو الذي يربي أولاد الملوك ثم استولى زنكي على ما وإلى الموصل من البلاد، وفتح الرها يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسائة، وكانت لجوسلين الأرميني، ثم توجه إلى قلعة جعبر ومالكها يوم ذاك سيف الدولة أبو الحسن علي بن مالك، فحاصرها وأشرف على أخذها، فأصبح يوم الأربعاء خامس شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسائة مقتولاً، قتله خادمه وهو راقد



على فراشه ليلاً، ودفن بصفين، رحمه الله تعالى. وذكر عز الدين بن الأثير الجزري في تاريخه الأتابكي أن زنكي المذكور لما قتل والده كان عمره تقديراً عشر سنين، وقد تقدم تاريخ قتل والده في ترجمته، فيكون مولده سنة سبع وسبعين وأربعمائة. [وعن بعض خواصه قال: دخلت إليه في الحال وهو حي، فحين رأي ظن أنني أريد قتله فأشار إلي بإصبعه السبابة يستعظمني، فوقفت من هيئته وقلت له: يا مولانا، من فعل بك هذا فلم يقدر على الكلام، وفاضت نفسه لوقته. وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته، عظيم السياسة، لا يقدر القوي على ظلم الضعيف، وكانت البلاد قبل أن يملكها خراباً من الظلم ومجاورة الفرنج، فعمرها وامتألت أهلاً وسكاناً.]

قال عز الدين بن الأثير في تاريخه: حكى لي والدي قال: رأيت الموصل وأكثرها خراب، وكان الإنسان لا يقدر على المشي إلى الجامع العتيق إلا ومعه من يحميه لبعده عن العمارة، وهو الآن في وسط العمارة. وكان شديد الغيرة لا سيما على نساء الأجناد، وكان يقول: لو لم تحفظ نساء الأجناد بالهيبة وإلا فسدن لكثرة غيبة أزواجهن في الأسفار. وكان من أشجع خلق الله تعالى [«وفيات الأعيان» (٢/ ٣٢٧)]. وقال فيه ابن كثير رحمه الله «وَقَدْ كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً وَشَكْلًا، وَكَانَ شَجَاعًا مِقْدَامًا حَازِمًا، خَضَعَتْ لَهُ مُلُوكُ الْأَطْرَافِ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ غَيْرَةً عَلَى نِسَاءِ الرَّعِيَّةِ، وَأَجُودَ الْمُلُوكِ مُعَامَلَةً، وَأَرْفَقَهُمْ بِالْعَامَّةِ». «البدية والنهاية» (١٦/ ٣٤١ ت التركي).

لما عينه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حاكماً على الموصل عزم على مواجهة الصليبيين فخرج على المسلمين بقرارين عظيمين هما:

- دعوة المسلمين إلى الاتحاد ونبذ التشردم والاجتماع تحت قيادة واحدة
- الدعوة إلى الجهاد .

فتح بلداناً كثيرة منها :

- الرها .

- معرة النعمان .

- حمص .

- بعلبك .



الثاني : ولده نور الدين محمود ^(١) بن عماد الدين زنكي عليه
رحمة الله .

(١) هُوَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الْأَتَاكِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي سَعِيدٍ زَنْكِيٍّ الْمُلَقَّبُ بِالشَّهِيدِ بْنِ الْمَلِكِ أَقْسَنْقَرِ الْأَتَاكِ الْمَلَقَبُ بِقَسِيمِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيُّ السَّلْجُوقِيُّ مَوْلَاهُمْ، وَلِدَهُ وَقْتُ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِحَلَبَ، وَنَشَأَ فِي كِفَالَةِ وَالِدِهِ صَاحِبِ حَلَبَ وَالْمُوصِلِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْبُلْدَانِ الْكَثِيرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَالْفُرُوسِيَّةَ وَالرِّثْمَ، وَكَانَ شَهْمًا شَجَاعًا ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَقَصْدٍ صَالِحٍ، وَحُرْمَةٍ وَافِرَةٍ وَدِيَانَةٍ بَيِّنَةٍ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَهُوَ مُحَاصِرٌ جَعْبَرَ صَارَ الْمَلِكُ بِحَلَبَ إِلَى ابْنِهِ نَوْرِ الدِّينِ هَذَا، وَأَعْطَاهُ أَخُوهُ سَيْفَ الدِّينِ غَازِيٍّ الْمُوصِلَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ، ثُمَّ افْتَتَحَ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ فَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا وَبَنَى لَهُمُ الْمَدَارِسَ وَالْمَسَاجِدَ وَالرُّبُطَ، وَوَسَّعَ لَهُمُ الطَّرِيقَ عَلَى الْمَارَةِ، وَبَنَى عَلَيْهَا الرِّصَافَاتِ وَوَسَّعَ الْأَسْوَاقَ، وَوَضَعَ الْمَكُوسَ بَدَارَ الْغَنَمِ وَالْبَطِيخِ وَالْعَرُودِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَكَانَ حَنَفِيٍّ الْمَذْهَبِ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَرَاءَ وَيَكْرَهُهُمْ وَيَحْتَرِمُهُمْ، وَيَحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ يَقُومُ فِي أَحْكَامِهِ بِالْمَعْدِلَةِ الْحَسَنَةِ، وَاتَّبَاعِ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ، وَيَعْقِدُ مَجَالِسَ الْعَدْلِ وَيَتَوَلَّاهَا بِنَفْسِهِ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْقَضَاءِ وَالْفَقْهَاءَ وَالْمُفْتُونَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ، وَيَجْلِسُ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ بِالْمَسْجِدِ الْمُعَلَّقِ، الَّذِي بِالْكُشْكِ، لِيَصِلَ إِلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ، حَتَّى يَسَاوِيَهُمْ، وَأَحَاطَ السُّورَ عَلَى حَارَةِ الْيَهُودِ، وَكَانَ خَرَابًا، وَأَغْلَقَ بَابَ كِسَانَ وَفَتَحَ بَابَ الْفَرَجِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قَبْلَهُ بَابٌ بِالْكَلْبَةِ، وَأَظْهَرَ بِيْلَادِهِ السُّنَّةَ وَأَمَاتَ الْبِدْعَةَ، وَأَمَرَ بِالتَّائِذِينَ بِحَيٍّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ، وَلَمْ يَكُنْ يُؤَذَّنُ بِهِمَا فِي دَوْلَتِي أَبِيهِ وَجَدِّهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يُؤَذَّنُ بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ لِأَنَّ شِعَارَ الرِّفْضِ كَانَ ظَاهِرًا بِهَا، وَأَقَامَ الْحُدُودَ وَفَتَحَ الْحُصُونِ، وَكَسَرَ الْفَرَنْجَ مَرَارًا عَدِيدَةً، وَاسْتَنْقَذَ مِنْ أَيْدِيهِمْ مَعَاqِلَ كَثِيرَةً مِنَ الْحُصُونِ الْمَنِيْعَةِ الَّتِي كَانُوا قَدْ اسْتَحْذَوْا عَلَيْهَا مِنْ مَعَاqِلِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَقْطَعَ الْعَرَبَ إِقْطَاعَاتٍ لِيَلَّا يَتَعَرَّضُوا لِلْحَجِيجِ، وَبَنَى بِدِمَشْقَ مَارِسْتَانًا لَمْ يُبْنَ فِي الشَّامِ قَبْلَهُ مِثْلُهُ وَلَا بَعْدَهُ أَيُّضًا، وَوَقَّفَ وَقَفًا عَلَى مَنْ يُعَلِّمُ الْأَيْتَامَ الْخَطَّ وَالْقِرَاءَةَ، وَجَعَلَ لَهُمْ نَفَقَةً وَكِسُوفَةً، وَعَلَى الْمَجَاوِرِينَ بِالْحَرَمَيْنِ وَلَهُ أَوْقَافٌ دَارَةٌ عَلَى جَمِيعِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وَعَلَى الْأَرَامِلِ وَالْمَحَاوِجِ، وَكَانَ الْجَامِعُ دَائِرًا قَوْلَى نَظَرَهُ الْقَاضِي كَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّهْزُورِيُّ الْمُوصِلِي، الَّذِي قَدَّمَ بِهِ فَوَلَاهُ قَضَاءَ قَضَاءِ دِمَشْقَ، فَأَصْلَحَ أُمُورَهُ وَأَصَافَ إِلَى أَوْقَافِ الْجَامِعِ الْمَعْلُومَةِ الْأَوْقَافَ الَّتِي لَا يُعْرَفُ وَاقِفُوهَا، وَلَا يُعْرَفُ شُرُوطُهُمْ فِيهَا، وَجَعَلَهَا قَلَمًا وَاحِدًا، وَاسْمُ مَالِ الْمَصَالِحِ، وَرَتَبَ عَلَيْهِ لِذَوِي الْحَاجَاتِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.



وكان رحمه الله حسنَ الحِظِّ كثيرَ المطالعةِ للكتبِ الدِّينِيَّةِ، مُتَّبِعًا لِلآثَارِ النَّبَوِيَّةِ، مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَاتِ، كَثِيرَ التَّلَاوَةِ حُبًّا لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، عَفِيفَ الْبُطْنِ والفرج مقتصدًا في الإنفاق على نفسه وعباله في المطعم والملبس، حتى قيل: إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلا نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا، ولم يسمع منه كلمةٌ فُحِشٍ قَطُّ، فِي غَضَبٍ وَلَا رَضَى، صَمُوتًا وَقُورًا.

قال ابن الأثير: لَمْ يَكُنْ بَعْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِثْلُ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ، وَلَا أَكْثَرَ تَحَرُّيًا لِلْعَدْلِ وَالْإِنصافِ منه، وَكَانَتْ لَهُ ذَكَائِنٌ بِحِمَصٍ قَدِ اشْتَرَاهَا مِمَّا يَخْصُهُ مِنَ الْمَغَانِمِ، فَكَانَ يَقْتَاتُ مِنْهَا، وَزَادَ امْرَأَتُهُ مِنْ كَرَاهَا عَلَى نَفَقَتِهَا عَلَيْهَا، وَاسْتَفْتَى الْعُلَمَاءُ فِي مِقْدَارِ مَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَكَانَ يَتَنَاوَلُهُ وَلَا يَزِيدُ عَلَيْهِ شَيْئًا، وَلَوْ مَاتَ جَوْعًا، وَكَانَ يَكْثُرُ اللَّعِبُ بِالْكُرَةِ فَعَاتِبَهُ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ بِذَلِكَ تَمْرِينَ الْخَيْلِ عَلَى الْكُرِّ وَالْفَرِّ، وَتَعْلِيمَهَا ذَلِكَ، وَنَحْنُ لَا نَتْرَكُ الْجِهَادَ، وَكَانَ لَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ بِسَيْفِهِ وَرَحْمِهِ، قَالَ الْذَهَبِيُّ: كَانَ تَقِيًّا وَرِعًا قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: انْتَزَعَ نَوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكِي مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ نَيْفًا وَخَمْسِينَ مَدِينَةً (فهو منكس أعلام الصليب) إنه القائد المؤلف ! ألف كتاباً في الجهاد - رحمه الله تعالى إنه موحد الجزيرة العربية بما في ذلك الحجاز واليمن ومصر والشام توفي سنة ٥٦٩هـ رحمه الله كان يأمل في تحرير القدس والمسجد الأقصى من دنس ورجس النصارى عباد الصليب فأمر نجاراً ماهراً فصنع له منبراً جميلاً ضخماً في غاية الجمال وقطع على نفسه عهداً أمام الناس أن يضعه في المسجد الأقصى إن شاء الله ولكنه مات سنة ٥٦٩ هجرية قبل أن يحقق مراده وبعد عشرين سنة حرر صلاح الدين الأيوبي الأقصى وجاء بالمنبر فوضعه فيه واستمر المنبر إلى عصرنا هذا وبالتحديد إلى ١٩٦٩/٨/٢١م عندما قام اليهودي المتطرف (مايك روهان) بإحراق المسجد الأقصى وأتى الحريق على منبر نور الدين ولم يبق منه إلا بعض القطع الصغيرة وهي موجودة الآن في المتحف الإسلامي في المسجد الأقصى .

انظر ترجمته في البداية والنهاية (١٢٨/٧) .



﴿ الثالث : الملك الناصر المظفر صلاح الدين الأيوبي ^(١) عليهم رحمة الله أجمعين .

وتبدا قصة المواجهة مع الصليبيين في الشام وخارج الشام حينما أرسل الخليفة السلجوقي عماد الدين زنكي والياً على الموصل وكان هذا الرجل العظيم يحمل همّ الجهاد ويحمل همّ هذا الأمر العظيم وهو بطش الصليبيين بالمسلمين وتطويقهم لأهل الإسلام في الشام فرفع راية الجهاد وجمع حوله أعداداً من المحبين لهذه الشعيرة العظيمة وهي الجهاد وبدأ يهاجم بعض قلاع النصارى في الشام وكان يحقق انتصاراً فيقتل منهم ويغنم وبدأت ترتفع رايته ويذيع صيته وبدأت ترتفع معنويات أهل الإسلام حتى إذا كان العام التاسع والثلاثين بعد الخمس مائة من الهجرة النبوية عزم هذا الرجل الكبير والبطل المبارك على مهاجمة قلعة الرُّها وهي كما سبق أن ذكرنا في حلقة مضت أنها صارت من الإمارات الصليبية أو إحدى الإمارات الصليبية التي سيطروا عليها فهاجم عماد الدين قلعة الرُّها ونصره الله عز وجل على الصليبيين هناك فقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى نساءً كثيرة وغنم أموالاً طائلة .

﴿ قال المحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : (البداية والنهاية) (١٦ / ٣٣٦ ت التركي) : (ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فِيهَا أَخَذَ الْعِمَادُ زَنْكِي الرُّهَا وَغَيْرَهَا مِنْ حُصُونِ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَيْدِي الْفَرَنْجِ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا

(١) ستأتي ترجمته في الحلقة العاشرة.



وَسَبَى نِسَاءً كَثِيرَةً، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَأَزَاحَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ كُرْبًا شَدِيدَةً كَثِيرَةً، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا).

وعادت الرها إلى حظيرة الدولة الإسلامية وكان هذا كما سبق عام تسعة وثلاثين بعد الخمس مائة من الهجرة النبوية فلما سقطت الرها بيد المسلمين جن جنون النصارى سواء الذين في الشام أو الذين في أوروبا فما كان منهم إلا أن جيشوا جيوشاً عظيمة وتحركت الحملة الصليبية الثانية بقيادة أمبراطور ألمانيا وكان هذا التحرك عام ثلاث وأربعين بعد الخمس مائة من الهجرة النبوية وهذه الحملة الصليبية الثانية لم تصل إلى الشام إلا بعد مقتل عماد الدين زنكي عليه رحمة الله فقد تأمر عليه العبيديون الفاطميون واغتالوه عام واحد وأربعين بعد الخمس مائة من الهجرة ولكن لم يمت هذا الرجل إلا وقد ترك ثروة مباركة من الرجال وترك كنزاً عظيماً من الأبطال منهم ثلاثة من أولاده هم:

١ - نور الدين محمود بن عماد بن زنكي وهو أشهرهم وأفضلهم وأكبرهم قدراً وأعلمهم عليه رحمة الله.

٢ - قطب الدين مودود.

٣ - سيف الدين غازي وكان رجلاً فاضلاً عالماً مجاهداً.

هؤلاء الثلاثة هم أولاد عماد الدين وكان أشهرهم نور الدين محمود وكان عالماً مجاهداً زاهداً عابداً من خيرة الرجال رحمة الله عليه لم يوفه التاريخ



الإسلامي حقه فحقه أن تُكتب ترجمته بأحرف من نور وبحبر من ذهب قاد حملات عظيمة ضد النصاري رحمه الله .

قال عنه ابن الأثير - رحمه الله تعالى: (وَكَانَ أَسْمَرَ، طَوِيلَ الْقَامَةِ، وَلَيْسَ لَهُ لَحْيَةٌ إِلَّا فِي حَنَكِهِ، وَكَانَ وَاسِعَ الْجَبْهَةِ، حَسَنَ الصُّورَةِ، حُلُوَ الْعَيْنَيْنِ، وَكَانَ قَدْ اتَّسَعَ مُلْكُهُ جِدًّا، وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَبِالْيَمَنِ لَمَّا دَخَلَهَا شَمْسُ الدَّوْلَةِ بْنُ أَيُّوبَ وَمَلِكُهَا، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَطَبَّقَ ذِكْرُهُ الْأَرْضَ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَعَدْلِهِ. وَقَدْ طَالَعْتُ سِيرَ الْمُلُوكِ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَلَمْ أَرْ فِيهَا بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(١) أَحْسَنَ مِنْ سِيرَتِهِ، وَلَا أَكْثَرَ تَحَرِّيًّا مِنْهُ لِلْعَدْلِ ^(٢) .

✽ الحملة الصليبية الثانية :

وصلت الحملة الصليبية الثانية بأعداد كبيرة إلى أبواب دمشق وحاصرت مدينة دمشق بعد موت عماد الدين زنكي كما سبق.

✽ **وقال ابن كثير:** (وفيها-سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة- حاصرت الفرنج وَهُمْ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَمَعَهُمْ مَلِكُ الْأَلْمَانِ فِي خَلْقٍ لَا يَعْلَمُهُمُ

(١) هو أبو حفص، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي. كان ثقة مأموناً فقيهاً عالماً ورعاً عادلاً. ولي الخلافة سنة تسع وتسعين، ومات سنة إحدى ومائة بدير سمعان من أرض حمص رحمه الله.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٥ / ١١٤ - ١٤٨)، والأعلام، الزركلي (٥ / ٥٠).

(٢) (الكامل في التاريخ - ت تدمري) (٩ / ٣٩٤) .



إِلَّا اللَّهُ عز وجل دِمَشْقَ وَعَلَيْهَا مُجِيرُ الدِّينِ أَبُ^(١) وَأَتَابِكُهُ مَعِينُ الدِّينِ، وَهُوَ مُدَبِّرُ الْمَمْلَكَةِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ سَادِسَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَهْلُهَا فِي مِائَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ قِتَالًا عَظِيمًا وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ نَحْوُ مِنَ الْمِائَتَيْنِ، وَمِنَ الْفَرَنْجِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ وَاسْتَمَرَّتِ الْحَرْبُ مُدَّةً، وَأُخْرِجَ مُصْحَفُ عُثْمَانَ إِلَى وَسْطِ صَحْنِ الْجَامِعِ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُ يَدْعُونَ اللَّهَ عز وجل وَالنِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ مُكَشِّفِي الرُّءُوسِ يَدْعُونَ وَيَتَبَاكُونَ، وَالرَّمَادُ مَفْرُوشٌ فِي الْبَلَدِ فَاسْتَعَاثَ أَبُ^(١) بِالْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ حَلَبَ وَبِأَخِيهِ سَيْفِ الدِّينِ غَازِي صَاحِبِ الْمَوْصِلِ، فَقَصَّداهُ سَرِيعًا فِي نَحْوِ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا بِمَنِ انْصَافَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ فَلَمَّا سَمِعَتِ الْفَرَنْجُ - قَبَحَهُمُ اللَّهُ - بِقُدُومِ الْجَيْشِ تَحَوَّلُوا عَنِ الْبَلَدِ فَلَحِقَهُمُ الْجَيْشُ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا وَقَتَلُوا فِيمَنْ قَتَلُوا مَعَهُمْ قَسِيًّا اسْمُهُ إِيَّاسُ، وَهُوَ الَّذِي أَغْرَاهُمْ بِدِمَشْقَ ; وَذَلِكَ أَنَّهُ افْتَرَى مَنَامًا عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ وَعَدَهُ فَتَحَ دِمَشْقَ فَقُتِلَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَدْ كَادُوا يَأْخُذُونَ الْبَلَدَ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ، وَحَمَاهَا بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو

(١) «آبق Abaq» وقد حكم مجير الدين أبق مدينة دمشق من سنة ٥٣٤ إلى سنة ٥٤٩ حيث انتقل ملكها

إلى نور الدين محمود بن زنكي وتوفي مجير الدين سنة ٥٦٤ وهو آخر من حكم دمشق من الأسرة البورية.

انظر: (ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٨١) (Op .Cit . P. ٢٢٥, Zambaur)



فَضِّلْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿البقرة: ٢٥١﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هُدَّيْتُمْ صَوَامِعُ وَبِيعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] وَمَدِينَةُ دِمَشْقَ لَا سَبِيلَ لِلْأَعْدَاءِ مِنَ الْكُفَرَةِ عَلَيْهَا ; لِأَنَّهَا الْمَحَلَّةُ الَّتِي أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهَا مَعْقِلُ الْإِسْلَامِ عِنْدَ الْمَلَا حِمِ وَالْفِتَنِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَقَدْ كَانَ الْفَرَنْجُ قَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ وَمِمَّنْ قَتَلُوا: الْفَقِيهَ الْكَبِيرَ الْمَلَقَّبُ حُجَّةَ الدِّينِ شَيْخُ الْمَالِكِيَّةِ بِهَا أَبُو الْحُجَّاجِ يُوسُفُ بْنُ دُونَّاسَ الْفِنْدَلَاوِيُّ بِأَرْضِ النَّيْرَبِ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ، وَقَدْ صَالَحَ مُعِينُ الدِّينِ الْفَرَنْجَ عَنْ دِمَشْقَ بِبَانِيَّاسَ فَرَحَلُوا عَنْهَا وَتَسَلَّمُوا بِبَانِيَّاسَ (١) .

وهكذا كفى الله المؤمنين شر هذه الحملة الصليبية الثانية التي جاءت تنتقم من المسلمين لما قاموا به من السيطرة على مدينة الرها .

بعد هذه المواجهات استمر نور الدين زنكي عليه رحمة الله يعمل على توحيد البلدان الشامية وكان له قواد عسكريين مخلصون وكان من أعظمهم إخلاصاً وأكبرهم شكيمة قائدان كبيران :

الأول : أسد الدين شيركوه بن شادي بن أيوب .

والثاني : أخوه نجم الدين أيوب بن شادي بن أيوب وهذا الثاني نجم الدين أيوب بن شادي هو والد صلاح الدين الأيوبي عليهم رحمة الله أجمعين .

(١) (البداية والنهاية) (١٦/ ٣٤٨ ت التركي) .



وفي هذه المدة كانت ولادة هذا الرجل العظيم القائد الكبير الشهير **صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب بن شادي بن أيوب** فقد كانت ولادته في قلعة تكريت في العراق ونشأ نشأة دينية وكان يتلقى التربية الدينية العلمية والجهادية على يد القائد العظيم نور الدين محمود زنكي عليهم رحمة الله وكان محمود زنكي هذا إلى جانب أنه قائد عسكري وأحد خلفاء المسلمين الذين ظهوروا في تلك المدة كان أيضاً عالماً ألف كتاباً في الجهاد وكان لا يفتأ يهاجم النصارى في قلاعهم ويغزوهم إلى كثير من بلدان الشام وكان يعقد مجلساً للحديث فذات مرة قرأ عليه أحد المحدثين حديثاً وفيه التسلسل بالتبسم أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال وذكر الحديث قال فتبسم الرسول **صلى الله عليه وسلم** وتبسم الصحابي عند قراءة الحديث وتبسم التابعي عند قراءة الحديث لتبسم الصحابي فسموا هذا حديث مسلسل فلما حدث هذا السلطان العظيم نور الدين بهذا الحديث ووصل إلى هذه الفقرة فقال له من حدثه : ألا تتبسم حتى تكتمل مرتبة الحديث التسلسلي فغضب من ذلك، وقال: (إني لأستحي من الله تعالى أن يراني مبتسماً والمسلمون محاصرون بالفرنج).

يقال : الإفرنج ويقال الفرنج والفرنجة. والمقصود بهم الصليبيون الذين جاءوا من أوروبا لغزو ديار المسلمين ^(١).

(١) (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) (١ / ١٨٢) .



ثم (إِنَّ نُورَ الدِّينِ مُحَمَّدًا كَانَ قَدْ عَمَلَ بِحَلَبَ مِنْبَرًا أَمَرَ الصُّنَّاعَ بِالْمُبَالِغَةِ فِي تَحْسِينِهِ وَإِتْقَانِهِ، وَقَالَ: هَذَا قَدْ عَمِلْنَاهُ لِنُصَبِ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَعَمَلُهُ التَّجَارُونَ فِي عِدَّةِ سِنِينَ لَمْ يُعْمَلْ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُهُ، فَأَمَرَ صَلاَحُ الدِّينِ بِإِحْضَارِهِ عِنْدَ افْتِتَاحِهِ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، فَحُمِلَ مِنْ حَلَبَ وَنُصِبَ بِالْقُدَّسِ، وَكَانَ بَيْنَ عَمَلِ الْمَنْبَرِ وَحَمْلِهِ مَا يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ نُورِ الدِّينِ، وَحُسْنِ مَقَاصِدِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ)^(١) .

كانت هذه أمنيته عليه رحمة الله إلا أن الأجل باغته قبل تحقيق ما أراد فجاء تلميذه ومن تربي على يديه وهو صلاح الدين فحقق الأمنية التي كانت أمنية العظماء من المسلمين وأمنية جميع المسلمين وهي تطهير المسجد الأقصى من رجس النصارى الكافرين.



(١) (الكامل في التاريخ - ت تدمري) (١٠ / ٣٧).



موقعة حارم

قبل الحديث عن البطل العظيم صلاح الدين لا بد من ذكر حدث مهم ولو باختصار وهو من جملة المعارك التي شنها هذا القائد العظيم نور الدين زنكي الذي لم يمت حتى خلّص واستنقذ من أيدي الصليبيين نيّفاً وخمسين بلدة ونيّفاً وخمسين قلعة من قلاع الشام كل هذه البلدان حررها هذا البطل العظيم نور الدين محمود زنكي وكان من أشهر معاركه مع النصارى معركة حارم في سوريا .

وسببها أن النصارى المجرمين الكافرين غدروا بنور الدين في منطقة البُقَيْعَة، تَحْتَ حِصْنِ الْأَكْرَادِ وكان في طريقه إلى طرابلس لتحريرها وبينما هو في منزل نزله في طريقه باغته جيش النصارى وهو على غير استعداد فقتلوا من جنوده خلقاً كثيراً وكاد أن يُقتل إلا أن الله سلم فنجا من أيديهم فلما حصل ذلك منهم حلف بالله أنه سينتقم منهم لجيشه ولكل من قتل في تلك المعركة التي عُدر فيها بجيشه فجعل يُعد العُدّة قرابة سنتين لمهاجمة النصارى فلما استكمل الاستعداد اتجه إلى منطقة حارم فنازل الصليبيين هناك وواجههم مواجهة شديدة انتهت المعركة بانتصار ساحق لهذا البطل ولجيشه .



❁ قال ابن الأثير رحمه الله تعالى : « فِي هَذِهِ السَّنَةِ - سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَتَحَ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكِي قَلْعَةَ حَارِمَ مِنَ الْفَرْنِجِ ; وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ نُورَ الدِّينِ لَمَّا عَادَ مِنْهُزِمًا مِنَ الْبُقَيْعَةِ، تَحْتَ حِصْنِ الْأَكْرَادِ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ، فَرَّقَ الْأَمْوَالَ وَالسَّلَاحَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلَاتِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَعَادَ الْعَسْكَرُ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُصَابُوا وَأَخَذُوا فِي الْإِسْتِعْدَادِ لِلْجِهَادِ وَالْأَخْذِ بِثَأْرِهِ. وَاتَّفَقَ مَسِيرُ بَعْضِ الْفَرْنِجِ مَعَ مَلِكِهِمْ إِلَى مِصْرَ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْصِدَ بِلَادَهُمْ لِيَعُودُوا عَنْ مِصْرَ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ قُطْبِ الدِّينِ مَوْدُودٍ، صَاحِبِ الْمَوْصِلِ وَدِيَارِ الْجَزِيرَةِ، وَإِلَى فَخْرِ الدِّينِ قُرَا أَرْسِلَانِ، صَاحِبِ حِصْنِ كَيْفَا، وَإِلَى نَجْمِ الدِّينِ أَلْيِ، صَاحِبِ مَارِدِينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ يَسْتَنْجِدُهُمْ، فَأَمَّا قُطْبُ الدِّينِ فَإِنَّهُ جَمَعَ عَسْكَرَهُ وَسَارَ مُجِدًّا، وَفِي مُقَدِّمَتِهِ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيٌّ أَمِيرُ جَيْشِهِ، وَأَمَّا فَخْرُ الدِّينِ، صَاحِبُ الْحِصْنِ، فَبَلَغَنِي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُ نُدْمَاؤُهُ وَخَوَاصُّهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ عَزَمْتَ؟ فَقَالَ: عَلَى الْقُعُودِ، فَإِنَّ نُورَ الدِّينِ قَدْ تَحَشَّفَ مِنْ كَثْرَةِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، وَهُوَ يُلْقِي نَفْسَهُ وَالتَّاسَ مَعَهُ فِي الْمَهَالِكِ، فَكُلُّهُمْ وَافَقَهُ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ، فَلَمَّا كَانَ الْعُدُ أَمَرَ بِالتَّجَهُّزِ لِلْغُزَاةِ، فَقَالَ لَهُ أَوْلَيْكَ: مَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ؟ فَارْقَنَّاكَ أَمْسٍ عَلَى حَالَةٍ، فَزَرَى الْيَوْمَ صِدْهَا؟ فَقَالَ: إِنَّ نُورَ الدِّينِ قَدْ سَلَكَ مَعِيَ طَرِيقًا إِنْ لَمْ أُنْجِدْهُ خَرَجَ أَهْلُ بِلَادِي عَنْ طَاعَتِي، وَأَخْرَجُوا الْبِلَادَ عَنْ يَدَيَّ، فَإِنَّهُ قَدْ كَاتَبَ زُهَادَهَا وَعُبَادَهَا وَالْمُنْقَطِعِينَ عَنِ الدُّنْيَا، يَذْكُرُ لَهُمْ مَا لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْفَرْنِجِ، وَمَا نَالَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَيَسْتَمِدُّ مِنْهُمْ



الدُّعَاءَ، وَيَطْلُبُ أَنْ يَحْثُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْغَزَاةِ، فَقَدْ قَعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلِيكَ، وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ وَأَتْبَاعُهُ، وَهُمْ يَقْرَأُونَ كُتُبَ نُورِ الدِّينِ، وَيَبْكُونَ وَيَلْعَنُونَنِي، وَيَدْعُونَ عَلَيَّ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ، ثُمَّ تَجَهَّزَ وَسَارَ بِنَفْسِهِ. وَأَمَّا نَجْمُ الدِّينِ فَإِنَّهُ سَيَّرَ عَسْكَرًا، فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ سَارَ نَحْوَ حَارِمٍ فَحَصَرَهَا، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ، وَتَابَعَ الزَّحْفَ إِلَيْهَا، فَاجْتَمَعَ مَنْ بَقِيَ بِالسَّاحِلِ مِنَ الْفَرَنْجِ، فَجَاءُوا فِي حَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ، وَمُلُوكِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ، وَقَسَّيْسِيهِمْ، وَرُهْبَانِهِمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، وَكَانَ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمُ الْبِرْنَسُ بَيْمُنْدَ، صَاحِبَ أَنْطَاكِيَّةَ، وَقُمُصْ، صَاحِبَ طَرَابُلُسَ وَأَعْمَالِهَا، وَابْنُ جُوسَلِينَ^(١).

وَهُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ الْفَرَنْجِ، وَالْثُوكِ، وَهُوَ مُقَدَّمٌ كَبِيرٌ مِنَ الرُّومِ، وَجَمَعُوا الْفَارِسَ وَالرَّاجِلَ، فَلَمَّا قَارَبُوهُ رَحَلَ عَنْ حَارِمٍ إِلَى أَرْتَاخَ طَمَعًا أَنْ يَتْبَعُوهُ، فَيَتِمَّكَنَ مِنْهُمْ؛ لِبُعْدِهِمْ عَنْ بِلَادِهِمْ إِذَا لَقُوهُ، فَسَارُوا، فَزَلُّوا عَلَى عَمَرٍ، ثُمَّ

(١) س: "وابن جوسلين بن خال الملك" وما هنا يتفق ونص العماد (الروضتين، ج ١، ص ٢٥٥).

وهو (titular Count of Edessa, Goscelin III of Courtenay) جوسلين الثالث من

كورتيني الأمير الأسمى للزها، وكان سجيناً في حلب فأطلق سراحه كما بالمتن هنا.

انظر أخباره في: (RUNCIMEN: A History of the Crucades)، ٤٠٧ - ٤٠٥، Vol. ٢ pp.

etc (٤٠٨) (مفرج الكرب في أخبار بني أيوب) (٣٨ / ٢).



عَلِمُوا عَجَزَهُمْ عَنْ لِقَائِهِ، فَعَادُوا إِلَى حَارِمٍ، فَلَمَّا عَادُوا تَبِعَهُمْ نُورُ الدِّينِ فِي
أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَعَبَةِ الْحَرْبِ فَلَمَّا تَقَارَبُوا اضْطَقُّوا لِلْقِتَالِ، فَبَدَأَ الْفَرَنْجُ
بِالْحُمْلَةِ عَلَى مَيْمَنَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهَا عَسْكَرُ حَلَبَ وَصَاحِبُ الْحِصْنِ، فَانْهَزَمَ
الْمُسْلِمُونَ فِيهَا، وَتَبِعَهُمُ الْفَرَنْجُ، فَقِيلَ كَانَتْ تِلْكَ الْهَزِيمَةُ مِنَ الْمَيْمَنَةِ عَلَى
اتِّفَاقٍ وَرَأْيٍ دَبْرُوهُ، وَهُوَ أَنْ يَتَّبِعَهُمُ الْفَرَنْجُ فَيَبْعُدُوا عَنْ رَاجِلِهِمْ، فَيَمِيلُ عَلَيْهِمْ
مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالسُّيُوفِ، فَيَقْتُلُوهُمْ، فَإِذَا عَادَ فُرْسَانُهُمْ لَمْ يَلْقُوا رَاجِلًا
يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، وَلَا وَرَرًا يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ، وَيَعُودُ الْمُنْهَزِمُونَ فِي آثَارِهِمْ، فَيَأْخُذُهُمُ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ، فَكَانَ
الْأَمْرُ عَلَى مَا دَبْرُوهُ: فَإِنَّ الْفَرَنْجَ لَمَّا تَبِعُوا الْمُنْهَزِمِينَ عَطَفَ زَيْنُ الدِّينِ عَيْيًا فِي
عَسْكَرِ الْمُوصِلِ عَلَى رَاجِلِ الْفَرَنْجِ، فَأَفْنَاهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا، وَعَادَ حَيَالَتُهُمْ، وَلَمْ
يُمَعِنُوا فِي الطَّلَبِ خَوْفًا عَلَى رَاجِلِهِمْ، فَعَادَ الْمُنْهَزِمُونَ فِي آثَارِهِمْ، فَلَمَّا وَصَلَ
الْفَرَنْجُ رَأَوْا رِجَالَهُمْ قَتْلَى وَأَسْرَى، فَسَقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَرَأَوْا أَنََّّهُمْ قَدْ هَلَكُوا
وَبَقُوا فِي الْوَسْطِ قَدْ أَحْدَقَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ،
وَقَامَتْ عَلَى سَاقٍ، وَكَثُرَ الْقَتْلَى فِي الْفَرَنْجِ، وَتَمَّتْ عَلَيْهِمُ الْهَزِيمَةُ، فَعَدَلَ حِينئِذٍ
الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْقَتْلِ إِلَى الْأَسْرِ، فَأَسْرُوا مَا لَا يُحَدُّ، وَفِي جُمْلَةِ الْأَسْرَى صَاحِبُ
أَنْطَاكِيَّةَ وَالْقُمَّصُ، صَاحِبُ طَرَابُلُسَ، وَكَانَ شَيْطَانُ الْفَرَنْجِ، وَأَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً
عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالذَّوْكَ مُقَدَّمُ الرُّومِ، وَابْنُ جُوسَلِينَ، وَكَانَتْ عِدَّةُ الْقَتْلِ تَزِيدُ عَلَى
عَشْرَةِ آلَافٍ قَتِيلٍ.



وَأَشَارَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى نُورِ الدِّينِ بِالْمَسِيرِ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ وَتَمَلَّكِهَا لِحُلُوهَا مِنْ حَامٍ يَحْمِيهَا وَمُقَاتِلِ يَذُبُّ عَنْهَا، فَلَمْ يَفْعَلْ، وَقَالَ: أَمَّا الْمَدِينَةُ فَأَمْرُهَا سَهْلٌ، وَأَمَّا الْقَلْعَةُ فَمَنْيَعَةٌ، وَرُبَّمَا سَلَّمُوهَا إِلَى مَلِكِ الرُّومِ ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهَا ابْنُ أَخِيهِ وَمُجَاوَرُهُ بَيْمُنْدُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُجَاوَرَةِ صَاحِبِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَبَتَّ السَّرَايَا فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ، فَتَهَبُّوهَا، وَأَسْرُوا أَهْلَهَا وَقَتْلُوهُمْ، ثُمَّ إِنَّهُ فَادَى بَيْمُنْدَ الْبِرْنَسِ، صَاحِبَ أَنْطَاكِيَّةَ، بِمَالٍ جَزِيلٍ وَأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَثِيرَةً أَطْلَقَهُمْ ^(١).

وقد عمل نور الدين إضافة إلى هذه الانتصارات العظيمة التي حققها للإسلام والمسلمين وهذه الضربات الموجعة التي أنزلها بالنصارى الصليبيين الغازين المحتلين إضافة إلى هذه الأعمال العظيمة فإنه عمل أيضاً على توحيد المسلمين فتوحدت في زمانه كثير من البلدان فصارت أكثر بلاد الشام تحت حكمه وهكذا الحجاز مكة والمدينة واليمن ومصر ولا سيما في السنوات الأخيرة حينما أرسل صلاح الدين وكان في سن الشباب في الخامسة والعشرين من عمره تقريباً أرسله نور الدين بن عماد الدين وزيراً على مصر ومسانداً للحاكم الفاطمي بسبب ما حصل من تناصر بينهم وقضاء على بعض الوزراء الذين كانوا يظهرون العمالة الظاهرة للنصارى وكان الحاكم الفاطمي يحاول أن يداهن نور الدين ويتملق له فاستغل نور الدين هذه الفرصة فأرسل صلاح الدين فعمل صلاح الدين على القضاء على كثير من خصوم هذا الحاكم

(١) الكامل في التاريخ - تدمري (٩ / ٣١٠) .



الفاطمي ثم أخذ منصب الوزارة في الدولة الفاطمية في مصر فصار صلاح الدين وزيراً للدولة في مصر وكان لا يزال شاباً وبعد مدة يسيرة مات الحاكم الفاطمي فلما مات شعر صلاح الدين عليه رحمة الله أنها الفرصة السانحة فتشاور مع نور الدين أن يعلن إنهاء الحكم العبيدي الشيعي في مصر فوافقه نور الدين بفرح واستبشار حينذ نصّب صلاح الدين نفسه حاكماً على مصر وأعلن انتهاء العهد الفاطمي العبيدي الباطني الشيعي في مصر وفرح أهل مصر بذلك إذ كان أهل مصر الغالب عليهم أنهم أهل سنة وإنما كان الحكم الفاطمي محصوراً على السلطة وعلى جيش الدولة وأما المجتمع فهو سني حينئذ أصدر صلاح الدين الأيوبي أوامره بمنع الأذان بحي على خير العمل في مصر وغير القضاة الشيعة الفاطميين وجعل مكانهم قضاةً من أهل السنة وبدأت الأمور تتحسن بشكل كبير جداً وقام بظم القطر المصري إلى القطر الشامي تحت ولاية واحدة بقيادة نور الدين محمود بن عماد الدين وما صلاح الدين إلا عامل من عماله كما يقال الآن محافظ محافظة ثم إن صلاح الدين أرسل أخاه إلى اليمن فافتتح اليمن وفرح أهل اليمن بذلك واستبشروا وقبلوا الانضمام إلى دولة نور الدين في الشام فصارت الأمة الإسلامية في قوة بعد أن كاد الضعف يقتلها بعد أن تمزقت وكانت دويلات وإمارات كل إمارة تهاجم الأخرى فصارت بفضل الله ثم بجهود هؤلاء الأبطال اليمن والحجاز ومصر والشام دولة إسلامية واحدة تحت قيادة هذا البطل العظيم نور الدين محمود بن



عماد الدين زنكي ومعلوم لدى الجميع ما معنى الاتحاد وما معنى أن يكون أهل الإسلام قوة واحدة ويداً واحدة والنصارى أيضاً يعرفون خطر هذا الاجتماع وأضرار اجتماع الأمة الإسلامية تحت قيادة واحدة عليهم فما كان منهم إلا أن بدأوا بالمناوشات فحركوا بعض الأيدي الفاطمية في السودان وتحرك لهم جيش من مصر فجرت معركة بين الجيش المصري السني وبين الجيش الفاطمي العبيدي وانتصر جيش المسلمين جيش أهل السنة على الشيعة الفاطمية على حدود مصر مع السودان وحاول أولئك المجرمون أن يغتالوا صلاح الدين الأيوبي أكثر من مرة وسلمه الله عز وجل ونجا من اغتيالهم وحاول العبيديين أن يتحالفوا مع كثير من القلاع أو الامارات النصرانية في الشام فتنبه لهم نور الدين زنكي وعمل على مهاجمتهم حتى توفاه الله عز وجل وذلك عام تسع وستين بعد الخمس مائة من الهجرة النبوية.

و بعد موته عليه رحمة الله شع نور جديد وظهر أمر البطل المظفر القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي يأتي إن شاء الله ذكر ما جرى من تحولات سياسية كبرى ومواجهات جهادية عظيمة في زمن القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي بما في ذلك أخبار حطين وما بعد حطين إن شاء الله تبارك وتعالى ولكن هذه المقدمة وهذا التسلسل التاريخي كان لابد من ذكره .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا وإياكم لكل خير والحمد لله رب العالمين .

الحلقة العاشرة



صلاح الدين الأيوبي (١) ومقدمة معركة حطين

(١) هو : يوسف بن أيوب بن شادي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. كان أبوه وأهله من قرية دُوين (في شرقي أذربيجان) وهم بطن من الروادية، من قبيلة الهذانية، من الأكراد. نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، وتوفي فيها جده شادي. ثم ولي أبوه (أيوب) أعمالاً في بغداد والموصل ودمشق. ونشأ هو في دمشق، وتفقّه وتأدّب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، وحَدّث في القدس. ودخل مع أبيه (نجم الدين) وعمه (شيركوه) في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (صاحب دمشق وحلب والموصل) واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر سنة ٥٥٩ هـ فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدين العسكرية. وتم لشيركوه الظفر أخيراً، باسم السلطان نور الدين، فاستولى على زمام الأمور بمصر، واستوزره خليفته العاضد الفاطمي.

ولكن شيركوه ما لبث أن مات. فاختار العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين، ولقبه بالملك الناصر. وهاجم الفرنج دمياط، فصدّهم صلاح الدين. ثم استقل بملك مصر، مع اعترافه بسيادة نور الدين. ومرض العاضد مرض موته، فقطع صلاح الدين خطبته، وخطب للعباسيين، وانتهى بذلك أمر الفاطميين. ومات نور الدين (سنة ٥٦٩) فاضطربت البلاد الشامية والحزيرة، ودّعى صلاح الدين لضبطها، فأقبل على دمشق (سنة ٥٧٠) فاستقبلته بحفاوة. وانصرف إلى ما وراءها، فاستولى على بعلبك وحمص وحماة وحلب. ثم ترك حلب للملك الصالح إسماعيل بن نور الدين، وانصرف إلى عمليّن جديين: أحدهما: الإصلاح الداخلي في مصر والشام، بحيث كان يتردد بين القطرين.

والثاني: دفع غارات الصليبيين ومهاجمة حصونهم وقلائعهم في بلاد الشام. فبدأ بعمارة قلعة مصر، وأنشأ مدارس وآثاراً فيها. ثم انقطع عن مصر بعد رحيله عنها سنة ٥٧٨ هـ إذ تنابعت أمامه حوادث الغارات وصد الاعتدالات الفرنجية في الديار الشامية، فشغلته بقية حياته. ودانت لصلاح الدين البلاد من آخر حدود النوبة جنوباً وبرقة غرباً إلى بلاد الأرمن شمالاً، وبلاد الحزيرة والموصل شرقاً. وكان أعظم انتصار له على الفرنج في فلسطين والساحل الشامي "يوم حطين" الذي تلاه استرداد طبرية وعكا ويافا إلى ما بعد بيروت، ثم افتتح القدس (سنة ٥٨٣ هـ) ووقائع على أبواب صور، فدفع مجيد عن عكا انتهى بخروجها من يده (سنة ٥٨٧ هـ) بعد أن اجتمع لحربه ملكاً فرنسياً وانكلتراً بجيشيهما وأسطوليهما. وأخيراً عقد الصلح بينه وبين كبير الفرنج ريشارد (قلب الأسد) Richard Coeur de Lion (ملك انكلترا) على أن يحتفظ الفرنج بالساحل من عكا إلى يافا، وأن يسمح لحجاجهم بزيارة بيت القدس وأن تخرب عسقلان ويكون الساحل من أولها إلى الجنوب لصلاح الدين. وعاد "ريشارد" إلى بلاده.

وانصرف صلاح الدين من القدس، بعد أن بني فيها مدارس ومستشفيات. ومكث في دمشق مدة قصيرة انتهت بوفاته. وكان رقيق النفس والقلب، على شدة بطولته، رجل سياسة وحرب، بعيد النظر، متواضعاً مع جنده وأمراء جيشه، لا يستطيع المتقرب منه إلا أن يحس بحب له ممزوج بهيبة. اطلع على جانب



بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

ذكرنا فيما مضى مقدمات لا بد منها لمعركة فاصلة بين المسلمين وبين الصليبيين النصارى الحاقدين بقيادة صلاح الدين الأيوبي وهي معركة حطين. وإن من جملة الأمور التي شاء الله أن تقع قبل هذه المعركة الفاصلة أنه لما توفي نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي وذلك في السنة التاسعة والستين بعد الخمس مائة من الهجرة النبوية بعد أن حكم ثمانية وعشرين عاماً وحصل على يده الخير العظيم توفاه الله عز وجل وكان صلاح الدين والياً على مصر بعد أن استتب الأمر لنور الدين زنكي بمعاوضة صلاح الدين ومن معه سواء في مصر أو بالحجاز أو في اليمن بعد أن توفي نور الدين قام آل زنكي فنصبوا بعده ولده إسماعيل بن نور الدين وكان صغيراً في الحادية عشرة من عمره فرأى صلاح الدين أن ذلك ليس مناسباً ولا سيما وأهل الإسلام يعيشون مواجهات شرسة مع النصارى وأن القيادة ينبغي أن تكون في رجل

حسن من الحديث والفقه والأدب ولا سيما أنساب العرب ووقائعهم، وحفظ ديوان الحماسة. ولم يدخر لنفسه مالا ولا عقارا. وكانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة، وبسوريا ١٩ سنة، وخلف من الأولاد ١٧ ذكراً وأنثى واحدة. وللمصنفين كتب كثيرة في سيرته، منها: كتاب "الروضتين - ط" لـ أبي شامة، في تاريخ دولته ودولة نور الدين، و "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية - ط" لابن شداد، ويسمى "سيرة صلاح الدين" و "البرق الشامي" سبعة أجزاء، في أخباره وفروعاته وحوادث الشام في أيامه، لعماد الدين الكاتب، و "النفح القُسي في الفتح القدسي - ط" لعماد الدين أيضاً، و "صلاح الدين الأيوبي وعصره - ط" لمحمد فريد أبي حديد، و "حياة صلاح الدين الأيوبي - ط" لأحمد بيبي المصري. الأعلام للزركلي (٢٢٠/٨).



هو أهل لهذا الأمر فخرج من مصر وأعلن نفسه حاكماً على الشام ومصر ولم يقبل هذا الأمر كثير من آل زنكي فحصلت بعض المعوقات ولكنه تغلب عليها بحمد الله عز وجل وصار غالب أهل الشام لا يرضون بصلاح الدين بديلاً و كان من جملة المشكلات التي واجهها صلاح الدين قبل المعركة الحاسمة والفاصلة مشكلة حصن الكرك والكرك هذه بلدة في الأردن كانت حامية من حاميات النصارى وقلعة من قلاع الصليبيين في تلك المدة وكان الحاكم فيها رجل نصراني خبيث يقال له "أرنات" (١)

وكانت هذه القلعة وهذا الحصن يشكل خطراً على الجيش الإسلامي وذلك لأنه بين الشام ومصر والجيش الإسلامي المصري والشامي صار جيشاً واحداً بقيادة صلاح الدين فكان لابد من العمل لإيجاد حل وإزاحة هذه العقبة التي تفصل بين الجيشين وهي قلعة حصن الكرك لاسيما وحاكمها من أخبث النصارى وأشدّهم حقداً على الإسلام والمسلمين كما سيأتي ومما يدل على هذا أن هذا النصراني الخبيث أرنات حاكم الكرك أراد أن يخرج صلاح الدين عن المعركة داخل الشام إلى معركة جانبية بعيدة فبدأ يُعدّ العدة ويحشد الجيوش ويُعلن عن عزمه على غزو مكة والمدينة وإنما عزم على هذا لأمر منها:

(١) هكذا ترسمه المراجع العربية وهو (Le Prince Arnould Seigneur de Carac)

وكان اسمه قبل مجيئه إلى الشام: (Renaud de Chatillon) «.

«مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» (٢/ ٣٨).



أولاً: حقه على شريعة الإسلام والمشاعر المقدسة .

ثانياً: أراد كما سبق أن يخرج صلاح الدين عن دائرة الشام إلى معركة بعيدة و كان صلاح الدين منشغل ببعض الأمور والترتيبات فلما وصل إلى مسامع المسلمين أن أرناط يريد غزو مكة والمدينة خرج إليه حاكم دمشق عز الدين بجيش ليس بالكبير لكنه عرقله وبدأ بالمناوشة معه وجعل يحرق بعض المزارع التي هي على مقربة من حصن الكرك ويخربون بعض الجدران وينسحبون ثم يرجعون وينسحبون مما اضطر هذا الخبيث أن يرجع فيدخل الحصن ويغلق على نفسه باب الحصن ويعلن أنه قد تراجع عن هذه الفكرة وهو إنما أراد الخدعة والعزم على خطة أخرى هي أخبث من الأولى بكثير وحينما علم صلاح الدين بذلك أرسل إلى أخيه العادل الذي جعله والياً على مصر بعده أرسل إليه أن يُعد جيشاً وأسطولاً بحرياً ويجعله على البحر الأحمر ترصداً لأي تحركات صليبية يمكن أن تحصل فتهدد المشاعر المقدسة في مكة والمدينة فتم إعداد الأسطول البحري المصري وبينما صلاح الدين يواجه بعض الجيوش الصليبية في الشام وكان من جملتها بعض الكتائب التي يبعثها هذا الخبيث كان يجهز بعض الكتائب ويرسلها لمشاغلة صلاح الدين وهو قد أعد سفناً وأنشأها داخل الحصن ثم خرج بها سريعاً على ظهور الجمال واتجه بجيش إلى خليج العقبة وترك بعض الجيش يناوش صلاح الدين في الشام وكثير من الجيش ركب السفن وتحرك في البحر الأحمر جهة مكة والمدينة فبلغ



الخبر صلاح الدين وكان يظن هذا الخبيث أن القضية ستخفى على صلاح الدين وعلى أهل الإسلام وأنهم لن يشعروا إلا بسقوط المدينة ومكة وحينئذ ستكون الكارثة بشكل مدوي إلا أن الأمر كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

فما إن تحرك الجيش الصليبي الذي وجهه أرناط إلى خليج العقبة وبدأ يُنزل السفن من ظهور الجبال ويُركبها هناك في خليج العقبة إلا ويصل الخبر إلى صلاح الدين ولما كان صلاح الدين مشغولاً بمواجهة الكتائب التي في الشام أرسل إلى أخيه العادل أن يحرك الأسطول البحري سريعاً لإنقاذ المدينة من الجيش الصليبي الذي حرّكه أرناط وكان هذا عام ثمانية وسبعين بعد الخمس مائة من الهجرة النبوية وبالفعل تحرك الأسطول البحري الصليبي وتحرك بعده الأسطول البحري المصري وصار الجيشان يتلاحقان في مياه البحر الأحمر ووصل الأسطول البحري النصراني إلى "ساحل رابغ" على مقربة من المدينة لكنه ما إن حط أقدامه على تربة الساحل يريد التحرك نحو المدينة إلا ويدهمه الجيش المصري فتقع معركة عظيمة جداً في تلك البقاع على مقربة من المدينة ورغم أن الجيش الصليبي كان أكبر بكثير من الجيش المصري إلا أن الله عز وجل أنزل نصره وتأييده وتمكينه للجيش المصري المسلم فشنت أولئك الكافرين وأوسع فيهم قتلاً وتشريداً وفشلت الخطة الخبيثة التي لم تكن بالحسبان التي خططها هذا الخبيث الكافر أرناط - لعنه



الله تعالى - وبعد إقدام هذا الخبيث على هذا الفعل اشتد غضب صلاح الدين الأيوبي عليه جداً فجهز جيشاً وعزم على مهاجمة حصن الكرك وبالفعل وصل إلى حصن الكرك وبدأ يضرب أسوار الحصن بالمنجنيق وبدأت هذه القلعة تشعر بالخطر مما حصل لها من الحصار الخانق الذي أطبقه عليها القائد البطل صلاح الدين الأيوبي إلا أن أمراً يحصل بشكل أكبر مما يتصوره القارئ أو السامع أذ أن الخبر وصل إلى نصارى بيت المقدس فهزتهم الحمية النصرانية والحمية القومية فجهز حاكم بيت المقدس " أموري " جيشاً صليبياً كبيراً وأمره بالتحرك فوراً لإنقاذ إخوانهم في الكرك وإذا بصلاح الدين يجد نفسه أمام أمرين ليس باليسيرين :

❖ **الأمر الأول:** أن حصن الكرك قلعة مشيدة جداً وأن افتتاحها يحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير.

❖ **وأمر آخر وهو:** أن هذا الجيش القادم من بيت المقدس أيضاً يحتاج إلى استعداد أكبر لمواجهة فشعر صلاح الدين أن الأمر يستدعي الانسحاب فانسحب إلى دمشق وفك الحصار عن الكرك ورجع الجيش الصليبي إلى بيت المقدس وبعد أن رجع الجيش الصليبي إلى بيت المقدس كان صلاح الدين يرى أن المشكلات أمامه متعددة منها أن بعض البلدان الشامية لم تدخل في إمرته إلى تلك اللحظة و منها إمارة حلب فإنها كانت لا تزال مستعصية عليه وهم أهل إسلام وحاكمها مسلم لكنه يؤثر الحكم والسلطة على مصلحة



الإسلام والمسلمين فرأى صلاح الدين أن الحزم يستدعي مهاجمة حلب وضمها إلى الدولة التي أنشأها من أجل أن تتوحد الجبهة ويتوحد الجيش وفعلاً هاجم حلب وضمها إلى دولته بحمد من الله عز وجل وبقيت الموصل لا تزال منفكة عنه وليست تابعة لإمرته فراسل حاكم الموصل وراسل كثيراً من حكام تلك الممالك الصغيرة الشامية وأشعرهم بأن الخطر ليس باليسير وأن الأمر كبير وأن الوضع يستدعي الاتحاد واجتماع المسلمين من أجل معركة فاصلة بينهم وبين الصليبيين وتحت ضغوط العلماء سواء علماء الموصل أو غيرهم استجاب حاكم الموصل لأوامر صلاح الدين وحينها رأى صلاح الدين أن الأمر قد صار على نوع من التهيئة والإعداد الجيد لكنه تفاجأ بخبر كبير وصل إلى مسامعه .

إنه خبر المكر والكيد الذي قام به حاكم الكرك أرناط .

ما الذي فعله هذا المجرم الأثيم ؟

جهز كتائب ثم قام بمهاجمة قوافل الحجاج وأخذ مجموعة كبيرة من الحجاج المسلمين وهم في طريقهم إلى حج بيت الله الحرام وذلك عام اثنين وثمانين بعد الخمس مائة من الهجرة النبوية فأخذ أموالهم وقتل خلقاً كثيراً منهم وكان بعضهم يقول له: (نحن لسنا مقاتلين نحن حجاج) ! فكان يقول لهم : (قولوا لمحمدكم كي يخلصكم) حينئذ رأى صلاح الدين أن الأمر



يستدعي تحركاً بشكل أكبر وأسرع وكان مما أخذه على نفسه أنه أقسم يميناً بالله ونذر نذراً على نفسه أنه سيقتل أرناط بيده وبالفعل نفذ ما توعد به ووفى بنذره ولم يخلف نذره رحمه الله تعالى حيث قتل أرناط بيده ولكن بعد معركة حطين التي سيأتي الحديث عنها إن شاء الله في الحلقة القادمة .

طال الانتظار لذكر أحداث هذه المعركة ولكن هذه مقدمات لا بد منها ولا بد أن نقف عندها لنأخذ العضات والعبر حتى تعلم أخي القارئ الكريم أن جهاد أعداء الإسلام سلسلة طويلة وأن حقد اليهود والنصارى على الإسلام والمسلمين ليس باليسير وأن حقدهم ليس محصوراً على مسألة عادية أو أن أطماعهم محصورة على بلد سواء الشام وفلسطين أو غيرها بل أطماعهم على البلاد الإسلامية بكاملها وإنما يمشون على حسب الجدول الذي رسموه لأنفسهم هذا البلد في الوقت الفلاني وهذا البلد في العام الفلاني وكل بلدة يسيطرون عليها في الوقت المناسب لهم وهكذا : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

وأيضاً لنعلم جميعاً حاجة المسلمين إلى الاتحاد و التآخي والإئتلاف والإجتماع تحت راية واحدة فالقائد المسلم مهما كان عليه من الخير والصلاح والتدين والبطولة والشجاعة والفروسية والدهاء والذكاء لا يمكن أن يحقق شيئاً كبيراً ما دام أهل الإسلام في تشرذم وتمزق وتفرق وهذا هو الذي عرف حقيقته أولئك العظماء وسعوا سعيّاً كبيراً لتوحيد المسلمين من أجل القيام



بالواجب الديني وهو إعلاء كلمة " لا إله إلا الله " وإرغام الكافرين ومن هؤلاء
العظماء هذا البطل الذي نتحدث عنه وهو أبو المظفر الملك الناصر صلاح
الدين الأيوبي عليه رحمة الله تعالى . أكتفي بهذا القدر والحمد لله .



الحلقة الحادية عشرة



(معركة حطين (١)

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

سأتحدث - إن شاء الله - في هذه الحلقة عن معركة من أشهر المعارك الإسلامية ضد القوى الصليبية النصارية وهذه المعركة هي معركة مشهورة جداً وهي معركة " حطين " وقد تكلمنا في الحلقات الماضية عن كثير من مقدمات هذه المعركة .

فنقول مستعينين بالله عزوجل :

لما تجمعت لصالح الدين قوة يرى أنه يقدر أن يواجه بها القوى الصليبية بعد الإعداد و جاءت الإمدادات من بعض البلدان الشامية ومن البلاد المصرية إضافة إلى بعض المتطوعين رأى أنه قد حان الوقت لخوض معركة فاصلة مع النصارى الصليبيين فتحرك بقوة صغيرة من جيشه فهجم على صفورية وهي من بلدان الشام التي كانت تتمركز فيها الجيوش الصليبية فهجم هجوماً مباغتاً قتل فيه بعض الجنود الصليبيين وأسر بعضاً ثم انسحب وكانت كعملية تحرش في الجيش النصراني حتى يستعد للمواجهة فشر النصارى

(١) حطين (بكسر أوله وثانية مع التشديد) موضع في فلسطين بين عكا وطبرية. وعلى بعد ثمانية أميال من بحيرة طبرية. موضع له تاريخ خالد. حيث دارت فيه المعركة الحاسمة بين جيوش صلاح الدين وبين ملوك الصليبيين وأنزل بهم تلك الهزيمة المنكرة التي من استعادة فلسطين كلها وطرد الصليبيين منها بعد أن حرر بيت المقدس منهم.



بالخطر وبدءوا يتجمعون فتجمعت قوة كبيرة وكان صلاح الدين عليه رحمة الله يرى أنه لابد من إضعاف الجيش الصليبي بما يستطيع عليه فنظر إلى إمارة أنطاكية وهي إمارة قوية ويسيّطرها الصليبيون وفيها قوة كبيرة للنصارى فأرسل جيشاً لمهاجمة أنطاكية وقبل الإشتباك معهم أرسل إليهم يطلب الهدنة فوافق النصارى في أنطاكية على هدنة بينهم وبين صلاح الدين فكان هذا مكسباً بالنسبة لصلاح الدين حتى يتمكن من مواجهة الصليبيين وهو في مأمن من المدد أن ياتيهم من أنطاكية فلما وقعت الهدنة بينه وبين نصارى أنطاكية رجع فجهز جيشاً على شكل قوات صغيرة وأمرها بمهاجمة الصليبيين في صفورية ثم تنسحب وقصده استدراج النصارى وإخراجهم يريد أن يخرجهم من صفورية لتكون المعركة في المكان الذي يختاره هو لأن المعركة في صفورية ليست لصالح المسلمين فالصليبيون هناك في ماء ومرعى وأرض خصبة يستطيعون المواجهة فيها مدة طويلة ولن يصل إليهم جيش المسلمين إلا بعد عناء ومشقة فسيحصل شيء مما يسبب الضعف فكان لابد أن يستدرج العدو إلى أرض مناسبة للمواجهة والعدو كان يعرف ذلك جيداً فكان كلما أرسل صلاح الدين بقوة تهاجمهم في صفورية ثم تنسحب لا يلحقون بها ولا يغادرون أماكنهم ففكر كيف يفعل فنظر إلى بلدة طبرية وهي أيضاً بلدة مهمة ذات موقع مهم وتشكل خطراً على النصارى إن سقطت من أيديهم فاتجه بجيشه جهة طبرية وحاصرها فسقطت في يد هذا البطل

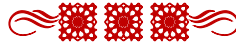


العظيم وبذلك حقق شيئاً مما أراد ودب الخلاف في أوساط النصارى وقد بلغ جيشهم ٦٣،٠٠٠ ثلاثة وستون ألفاً فاختلفوا فيما بينهم فمنهم من يقول إلى متى نصبر على صلاح الدين يهاجمنا مرة بعد أخرى ونحن نتفرج عليه إلى متى هذا ؟ .

❁ **وصنف آخر يقول :** هو أراد أن يستدرجنا ليُخرجنا إلى حيث تكون الدوائر علينا فلما دب الخلاف بينهم شاء الله عز وجل أن يتغلب الأكثر منهم ويقرروا الخروج لمواجهة صلاح الدين على مشارف طبرية فتحرك الجيش النصراني وهذا الذي أراده صلاح الدين عليه رحمة الله فالطريق وعره جداً من صفورية إلى طبرية وفيها مشاق وعناء شديد فرأى صلاح الدين أن خروج النصارى عبر هذا الطريق من جملة الأسباب التي ستؤدي إلى ضعفهم ثم إنه لما علم بأنهم قد بدأوا الخروج إليه عمل على ردم جميع الآبار التي في طريقهم ولم يبق من الآبار على مياهاها إلا التي هي وراء جيشه ثم جهز مجموعات صغيرة تقوم بعمليات كمائن وهذه العمليات تساهم في عرقلة الجيش وتأخيرته وكلما تأخر وهو يشق طريقاً صعباً وعراً كلما كان هذا على حساب استعداداته وعلى حساب ما عنده من الماء فيتعرض ما عنده من الماء للنفاذ ويكون من باب التضيق عليه وقد أحسن رحمه الله تعالى خطة المواجهة والبدء في المعركة فتحرك الجيش النصراني يريد ملاقاته جيش المسلمين على مشارف طبرية وكان من جملة الخطط القتالية التي رسمها صلاح الدين أنه جهز كتيبة من جيشه وأمرها بالالتفاف من وراء جيش النصارى



وتبدأ بالمهاجمة من المؤخرة فقامت الكتيبة بذلك وإذا بمؤخرة جيش
النصارى تدخل في معركة طاحنة مع مجموعة من قوات المسلمين وهذا أدى
إلى عرقلة سير جيش النصارى واضطر إلى أن يتأخر حتى يلحق بهم مَنْ
خلفهم ثم قرروا أن ينصبوا خياماً على جبل طبرية وأن ينتظروا المتأخرين
منهم فنصبوا الخيام فلما رأهم صلاح الدين قال: (لقد جاءونا ونحن ألو قوة
وألو بأسٍ شديد)^(١) وكان واثقاً بربه سبحانه وتعالى مطمئناً إلى ما قام به من
الوسائل والأسباب التي هي من أسباب النصر بإذن الله تبارك وتعالى.



(١) انظر: الفتح القسي في الفتح القدسي / عماد الدين الأصبهاني (ص ٧٧).



تفاصيل معركة حطين

وفي صبيحة يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر وهو الشهر الرابع الهجري لعام ثلاثة وثمانين وخمس مائة للهجرة النبوية / الموافق الثالث من الشهر السابع لعام سبعة وثمانين بعد المائة والألف في صبيحة ذلك اليوم التقى الجيشان واصطدمت القوتان فاقتتلوا اقتتالاً كبيراً على جبل طبرية على القرب من سهل حطين وحصلت المنازلات الشديدة والعراك العظيم الذي يلي فيه أهل الإسلام بلاء عظيماً وصمد النصارى الصليبيون صموداً كبيراً استمر القتال إلى أن غاب شمس ذلك اليوم ^(١) ولم يفصل بين الجيشين إلا الظلام ولم ينتصر أحدهما على الآخر ولم تغلب إحدى القوتين على الأخرى فلما جاء الظلام وقد أصيب الجيش النصراني بإرهاق وعناء شديد بسبب الكر والفر في ذلك الجبل الوعر وفي تلك السهول الوعرة قرر أن ينسحب انسحاباً يسيراً إلى سهل حطين فانسحب تحت جناح الظلام وعلم بذلك صلاح الدين فأصدر أوامره لقواته العسكرية بالتحرك من جميع الجهات وبتطويق جيش النصارى فطوقوهم في الليل وأحاطوا بهم إحاطة الدائرة بقطرها ^(٢) وفي صبيحة اليوم الثاني الخامس والعشرين من شهر ربيع صبيحة يوم السبت الذي كان عسيراً على أهل الأحاد اصطدم الجيشان من جديد واقتتلوا اقتتالاً شديداً وكان جيش النصارى يحاول جاهداً أن يخترق جيش المسلمين حتى

(١) النوار السُلطانية لابن شداد (١٢١).

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢٢٥/١٠) حوادث سنة (٥٨٣).



يصل إلى الجهة التي فيها الماء وإذا به يصطدم بسور عظيم من الرجال والفرسان إذ صمد صلاح الدين عليه رحمة الله هو وجيشه صموداً لا نظير له فعجز الجيش الصليبي عن اختراق جيش المسلمين فعمد رجل من النصاري وهو قائد طرابلس "ريموند" وكان من أشرس قواد النصاري فانتخب له مجموعة من أشرس وأقوى الفرسان ثم يمم وجهه جهة الجيش عازماً على اختراقه مهما كانت النتائج فلما شعر صلاح الدين بهذا الأمر أشار إلى كتيبة من كتائبه فأفسحت المجال لهذا القائد النصراني وهو يكر ويظن في نفسه أنه يحقق مكسباً ومنجزاً كبيراً ولم يدر هذا المغفل المخدول أن الفخ قد أُعد له فلما وصل إلى جهة الماء من خلف جيش المسلمين أصدر صلاح الدين أمره إلى الكتيبة بغلق المنفذ الذي نفذ منه هذا الخبيث بمن معه وتطويق المكان تطويقاً تاماً فما شعر هذا الصليبي ريموند إلا وهو معزول عن جيشه تماماً وليس معه إلا أولئك الأفراد القليلون ولن يغنوا عنه شيئاً فدب الرعب والذعر فيه وقد جرح ففر إلى حصنه في طرابلس واستمرت المعركة وكانت على أشدها وكان في ذلك السهل حشيش يابس ترعى فيه الخيول والفرسان فوجه صلاح الدين أوامره إلى كتيبة معه تسمى كتيبة النفاطين و النفاطون قوم يحملون كتلاً من النفط وهو الماء المشتعل - البترول - يحملون أشياء فيها من هذا النفط فوجه إليهم بإلقاء كتل إلى جهة العدو فalcوا تلك الكتل فاشتعل الحشيش ناراً وارتفعت ألسنة من نار واشتعلت وتساعد الدخان فاجتمع على



العدو النصراني الصليبي شدة حرارة الشمس مع شدة حرارة النار المشتعلة وتصاعدت ألسنة اللهب والدخان مع قلة الماء فأصابه ما أصابه من الهول والكره والانكسار فجعلوا ينسحبون قليلاً قليلاً وأرادوا أن ينصبوا لهم خياماً يستريحون فيها فلم يمهلهم جيش المسلمين بل لاحقهم واستمر في ضربهم فلم يتمكنوا إلا من نصب خيمة واحدة للملكهم وإذا بهم يجدون أنفسهم أمام قوم لا طاقة لهم بهم وأهل الإسلام يضربون ويطعنون ويزأرون زئير الأسود وترتفع أصواتهم بالتكبير فخارت قوى الجيش النصراني فأسلموا أكتافهم للمسلمين يقتلون من شاءوا منهم ويأسرون من شاءوا وبقيت خيمة الملك وبجوارها مائة وخمسون من أشد فرسان النصارى وأقواهم وأعظمهم بطولة فجعل المسلمون يكرون على خيمة الملك وهؤلاء المائة والخمسون بلغ من قوتهم وضراوتهم أنهم يردون ثلاث هجمات ما هم إلا مائة وخمسون ولكن كانوا من القوة والبأس بمكان فشرع الدين أنه لا يمكن أن تسقط الخيمة أو يسقط الفرسان إلا بضرب الخيمة نفسها فوجه من يقوم بضرب حبالها فضربت حبال الخيمة فسقطت على الملك واستسلم الفرسان فصار أهل الإسلام في نصر مكين وتمكنوا من أعداء الله الكافرين فأسروا ثلاثين ألفاً (٣٠٠٠٠) من النصارى وقُتل ثلاثون ألفاً (٣٠٠٠٠) حتى قال بعض من حضر الواقعة وهو العماد إذا رأيت القتلى تقول لم ينجوا منهم أحد وإذا رايت الأسرى تقول لم يُقتل منهم أحد وهو العماد: "... ومن شاهد القتلى



قال ما هناك أسير، ومن شاهد الأسرى قال ما هنالك قتيل. ولقد رأيت في الحبل الواحد ثلاثين وأربعين فارسا يقودهم فارس، وفي بقعة واحدة مائة ومئتين يحميهم حارس ... ويتحدث العماد الأصفهاني وهو شاهد عيان عن مخلفات المعركة فيقول " ... ورأيت الرؤوس طائرة، والنفوس بائرة، والعيون غائرة ... والجثث مفصلة المفاصل مفرقة المرافق محذوفة الرقاب، مقصوفة الأصلاب مقطعة السهام، موزعة الأقدام مفقوءه العيون مبعوجه البطون منصفة الأجساد مقصفه الأعضاء، مقلصة الشفاه، سائلة الأحداق، مائلة الأعناق، مفتوتة الأفخاد، مسلوخة الليات، مفكوكة الأذرع، منشورة الشعور، مهتومة الأسنان"

ومن الطريف، أن هذه المعركة قد استأثرت باهتمام مؤرخها ومعاصرها ابن الأثير، فقد مر على حطين بعد عام من المعركة وقال: "وقد اجتزت موضع الوقعة بعدها بنحو سنة، فرأيت الأرض ملأى بعظام الإفرنج، ومنها المجتمع بعضه على بعض، ومنها المفترق، هذا خلاف ما جمحته السيول، وأخذته السباع" (١).

وهكذا آل الأمر إلى النصر العظيم وخر صلاح الدين ساجداً باكياً مصلياً شاكراً لربه سبحانه وتعالى (٢) وارتفعت التكيبرات في ساحات وجنابات

(١) ابن الأثير، الكامل (ج ٩، ص ١٧٥) وما بعدها.

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، (ج ٩، ص ١٧٥-١٧٩) وما بعدها.



المعركة ثم جعلوا يضمنون الأسرى بعضهم إلى بعض ويجمعون الغنائم فغنموا أموالاً طائلة كل أموال النصارى التي خرجوا بها صارت غنيمة للمسلمين وغنموا خيولهم و أمتعتهم وجميع قادات النصارى صاروا موثقين بالحبال أسارى إلا ما كان من ريموند الذي هرب إلى حصنه فمات قهراً وكمداً حين بلغه ما نزل بأبناء جلدته وبقي المسلمون في تلك الليلة يحمدون الله ويكبرون ويهللون ويصلون ويدعون ونصبت خيمة للقائد العظيم صلاح الدين بقي يصلي فيها ويحمد الله عز وجل وفي صبيحة اليوم الثالث يوم الأحد نُصب سرير للقائد العظيم صلاح الدين وأسرة وكراسي من حوله عن يمينه وعن يساره ثم أمر بقيادة النصارى وملوكهم فجاء بهم وهم مربوطون موثقون بالحبال والسلاسل فأحسن استقبالهم وتكلم معهم بكلام يليق بأهل الإسلام وبعظماء الإسلام ثم أجلس أحد القادة عن يمينه وجاء بذلك الخبيث الحاقد النصراني أرناط الذي أقسم صلاح الدين ونذر أنه سيقتله بيده جيء به مربوطاً فجلس عند أسفل الكرسي وجاء إلى السلطان صلاح الدين بماء مثلوج ليشرب فشرب منه ثم ناول الذي بجانبه من قادة النصارى فشرب وناول أرناط فغضب صلاح الدين غضباً شديداً وقال ما ناولتك لتعطيه وإنما ناولتك لتشرب أنت بنفسك ثم التفت إلى أرناط فقال له : (أما تستحي تنقض العهود والمواثيق وتفعل وتفعل) ؟ !



❁ فقال بكل عجرفة وقلة حياء: (هكذا هي عادة الملوك).

فقام صلاح الدين من تلك الخيمة ودخل خيمة أخرى ثم أمر بأرناط أن يؤتى به إليه فجيء به إليه فأمر المترجم أن يعرض عليه الإسلام فعرض عليه الإسلام فأبى فاخترط صلاح الدين سيفه ثم قال: (إني أنوب عن رسول الله في الأخذ بحقه في سبك له وطعنك فيه) ثم عمد إليه فقتله واحتز رأسه وذهب برأسه إلى الخيمة الأخرى التي فيها ملوك النصارى المأسورين ففزعوا ورعبوا رعباً شديداً فخرج عليهم صلاح الدين وقال: (لا تفرعوا فليس من عادتنا قتل الملوك ولكن هذا تعدى الحدود).

هكذا كانت مواقف هذا البطل العظيم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى.

وكان من جملة ما غنمه المسلمون صليب الصليبوت وصليب الصلبوط هذا هو الصليب الذي يعتقد النصارى أنه صُلب عليه عيسى بن مريم وهذا الصليب قد غلفوه بأنواع الذهب والألئ والمجوهرات وكانوا يحملونه معهم ويزعمون أن معنوياتهم ترتفع بسببه وأنهم يقاتلون إذا حملوه قتال من لا يُغلب فلما اشتد الضغط عليهم تركوه فأخذه المسلمون من ساحة المعركة فكان من جملة ما غنمه المسلمون وأسقط في يد عبدة الصليبان فلما كان اليوم الثالث وانتهى صلاح الدين من قتل أرناط بقيت فرقتان من أخبث الفرق



النصرانية عداً للإسلام كانتا من جملة الأسارى وهما فرقتان فدائيتان من الفرق القتالية الانتحارية الأولى تسمى الداوية.^(١)

والثانية تسمى الاستبارية^(٢) فدعا بهما صلاح الدين فجاء بهما جيء بأولئك الفرسان وقد سلسلوا وقيدوا فعرض عليهم الإسلام فأبوا فأمر بقتلهم فقتلوا جميعاً فإلى النار وبئس القرار ثم أمر صلاح الدين عليه رحمة الله بتحريك جزء كبير من الجيش جهة دمشق فتحركوا وهم يقودون الأسرى وكانوا كما سبق نحواً من ثلاثين ألف أسير حتى امتلأت البلدان بالأسارى وصار الواحد من المسلمين يجر وراءه ثلاثين أسيراً قد ربطوا بجبل وذُهب بهم إلى سوق العبيد فبيع أولئك المجرمون ببيع الرقيق ونزلت أسعار العبيد حتى صار

(١) الداوية، أو الدّاوية: جماعة فرسان المعبد، أو فرسان الهيكل، هيئة تأسست إبان الحروب الصليبية في سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م بدأت كمنظمة خيرية دينية بهدف إيواء الحجاج المسيحيين ومدواتهم وتأمين الحماية لهم، ثم تحولت إلى منظمة عسكرية لها مساهمة فاعلة في الحروب التي وقعت، واشتهر فرسان الداوية ببسالتهم في الحروب.

انظر: الإسبان وفرسان القديس يوحنا لعمر محمد الباروني (طرابلس، ١٩٥٢ م)، ٧٥ وما بعدها، حاشية «بغية الطلب في تاريخ حلب» (١/ ٢٨٣ ت الرواضية).

(٢) هذه هي التسمية العربية لطائفة الفرسان الهسبتاليين، وهو تحريف ظاهر للفظ الانجليزى (Hospitallers) أو الفرنسى، (Hospitalliers) وكان يطلق في عصر الحروب الصليبية على طائفة من الفرسان الدينيين، وقد أسست هذه الطائفة (Blessed Gerard) في سنة ١٠٩٩ م بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس. وكانت الدار التي يسكنها هؤلاء الرهبان (Hospice) موجودة قبل ذلك في بيت المقدس وتتخذ مأوى للحجاج والمرضى من المسيحيين، وتشبه هذه الطائفة في كثير طائفة فرسان المعبد (Templiers) التي عرفها العرب باسم «الداوية»، وقد لعب فرسان هاتين الطائفتين دوراً خطيراً في الحروب الصليبية.

انظر: (King: Knights Hospitallers pp ١-٣٣) و (محمد فريد أبو حديد: صلاح الدين الأيوبي وعصره، ص ١٠٤، هامش ١).



سعر العبد بدرهم وعُرض بعضهم للبيع فأبى بعض المسلمين أن يشتري نصرانياً إلا بنعلين فباعه المسلم الآخر بنعلين ينتعلهما وأصاب النصارى من الذل والذعر والهوان ما لم يحصل لهم من قبل و حصل العز والتمكين والظفر لأمة الإسلام تحت قيادة هذا البطل العظيم صلاح الدين الأيوبي في هذه الموقعة الشهيرة والمعركة الكبيرة التي لا تزال أصداءها في بلاد الكفار إلى يومنا هذا وهم يئنون منها ويحدثون أنفسهم بالانتقام فمن ذلك أنه لما وصلت القوات البريطانية والفرنسية إلى فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى جعل أحد الجنرالات الفرنسيين من النصارى الكبار يقول وهو يرفس قبر صلاح الدين بقدميه: (ها قد عدنا يا صلاح الدين) وما كان له أن يفعل ذلك لو كان في أمة الإسلام من أمثال صلاح الدين ولكن الحال كما هو معلوم والله المستعان .

. كان ذلك بعد معركة ميسلون المعركة التي انتصر فيها الفرنسيون على القوات العربية التي كان يقودها فيصل. واستشهد فيها يوسف العظمة. ودخل الفرنسيون دمشق سنة ١٩٢٠ م ^(١) .

يظن كثير من الناس أن بمعركة حطين تمت السيطرة على بيت المقدس ودخل المسلمون المسجد الأقصى وليس الأمر كذلك إنما كانت معركة حطين مقدمة كبيرة وممهدة تمهيداً كبيراً للسيطرة على بيت المقدس وإلا فقد بقيت

(١) «مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة» (٣١/ ٤٨٩) بترقيم الشاملة آليا.



بعض الممالك النصرانية وبعض القلاع و الحصون واستغرق القضاء عليها ثلاثة أشهر بعد حطين وكذا العمل على تمهيد الطريق حتى وصل صلاح الدين إلى بيت المقدس بعد ثلاثة أشهر من معركة حطين التي تعتبر من المعارك الفاصلة في التاريخ، وقد وصفها المقدسي في كتابه الروضتين قائلاً: " غير أن هذه النوبة المباركة كانت للفتح المقدسي مقدمة، ولمعاقد النصر وقواعده مبرمة محكمة ^(١)

وستأتي تفاصيل ذلك إن شاء الله في حلقتنا القادمة .

أكتفي بهذا القدر وأسأل الله سبحانه وتعالى كما أفرح المسلمين بالنصر العظيم يوم حطين أن يفرح المسلمين في أيامنا هذه بانتصار على أعدائه من الكافرين من اليهود والنصارى الصليبيين

إنه على كل شيء قدير والحمد لله .



الحلقة الثانية عشرة



تحرير المسجد الأقصى

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

فهذه هي الحلقة الثانية عشرة من (مقتطفات من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية) وقد تكلمنا في الحلقة الماضية عن معركة حطين التي هي من أشهر معارك أهل الإسلام ضد النصارى الصليبيين وذكرنا أن هذه المعركة كانت مقدمة وممهدة لفتح بيت المقدس وفي يومنا هذا الثاني عشر من شهر رمضان لعام ١٤٤٤ للهجرة نواصل الحديث عما جرى بعد حطين .

بعد النصر العظيم الذي تحقق للمسلمين في حطين بقيادة أبي المظفر صلاح الدين الأيوبي عليه رحمة الله بعد ذلك قرر صلاح الدين التحرك لفتح بقية المدن والممالك الشامية التي يسيطر عليها الصليبيون لاسيما بيت المقدس فتحرك إلى عسقلان واتخذ منها منطلقاً لقيادته وجيشه ثم بدأ بفتح بعض البلدان المحيطة ببيت المقدس والتي لها أثر على فتح بيت المقدس فافتتح عكا وحيفا والناصرة ونابلس وبيسان ويافا^(١)

(١) تقع يافا على مسافة ٦ أميال شمال غرب مدينة الرملة، وهي ميناء ترسو فيه السفن الواردة إلى فلسطين والمنطقة منها.

أبو الفداء: تقويم البلدان (ص ٢٣٩) ، القلقشندي: صبح الأعشى: (١٠٠/٤) . قال عنها البشاري المقدسي: "خزانة فلسطين، وفرضة الرملة، عليها حصن منيع بأبواب محددة، وباب البحر كله حديد" أحسن التقاسيم (ص ١٧٤) .



وصيدا ^(١) وبيروت والرملة ^(٢) وبيت لحم والخليل وغيرها من المدن والقلاع حتى قال بعض المؤرخين: (حرر صلاح الدين الأيوبي في شهرين ما عجز عن تحريره كثير من المسلمين في مئات السنين) وهذا يدل دلالة واضحة على همة هذا القائد وشدة أهمية معركة حطين وقوة تأثيرها وقلبها للموازن فقد تحول أهل الإسلام من مستضعفين أذلة إلى قوة ضاربة يحسب لها النصارى ألف حساب .

بعد أن افتتح صلاح الدين هذه المدن تحرك لفتح بيت المقدس الذي هو الأصل في همة هذا القائد البطل وفي همة أهل الإسلام في تلك المدة الزمنية وما قبلها وكانت لا تزال هناك بعض الممالك الصليبية التي لها قوة وكان يخشى صلاح الدين أن تمتد هذه الممالك بيت المقدس بالرجال والسلاح ومن هذه الممالك مملكة طرابلس ومملكة أنطاكية وكانت لا تزال في قبضة النصارى فأرسل جيشاً لقطع الطريق بين طرابلس وأنطاكية وبين بيت المقدس حتى

(١) مدينة قديمة بناها الفينيقيون على الساحل الشرقي للبحر المتوسط وتقع شمالي مدينة صور وهي اليوم من مدن الجمهورية اللبنانية.

(٢) الرملة: مدينة بفلسطين بينها وبين القدس نحو ١٨ ميلاً، كانت ذا شأن عظيم في الحروب الصليبية (معجم البلدان).

الرملة من أكبر وأقدم مدن فلسطين . تقع اليوم في اللواء الأوسط على بعد ٣٨ كم شمال غرب القدس و في ١١ تموز / يوليو ١٩٤٨ م ، سقطت مدينة اللد ، ثم مدينة الرملة ، وفي اليوم الثالث عشر من الشهر نفسه ، رحّل اليهود سكان المدينتين عنوة ، وأجبروهم على السير على أقدامهم في عملية استمرت ثلاثة أيام ، بعد أن اقترف اليهود مجازر دموية رهيبة في اللد والرملة ، لم يتحدث عنها كثير من الكتاب العصريين ، وقد وردت معلومات كثيرة عنها في كتاب (رجائي بصيلة) .



يكون تحركه في مأمن ثم تحرك بجيشه إلى مشارف بيت المقدس وذلك في منتصف شهر رجب لعام ثلاثة وثمانين وخمس مائة من الهجرة النبوية في نفس العام الذي وقعت فيه معركة حطين بل بعدها بشهرين وبضعة أيام وكان الخوف قد وصل إلى نصارى بيت المقدس فعملوا على التحصن ورفع الأسوار وحفر الخنادق وكانت لا تزال تصلهم بعض الإمدادات إلى قبل وصول صلاح الدين بقليل فلما وصل صلاح الدين ضرب عليهم حصاراً قوياً وبدأ بضرب أسوار المدينة بالمنجنيق والمنجنيق هذا يتكرر ذكره معنا في هذه الدروس كثيراً وربما بعض الناس لا يدري ما هو لذا نقول : هو عبارة عن وسيلة أو آلة تصنع من الخشب وتربط بحبال ثم تُجعل عليها صخرة ويسحب المجموعة من الرجال الحبال هذه التي هي قد ربطت بها تلك الأخشاب ثم يفكون الحبال فتنتقل الصخرة إلى حيث أرادوا فهي باختصار مدافع قديمة تتناسب مع ذلك العصر ثم تطورت بعدها .

استمر صلاح الدين يضرب أسوار مدينة بيت المقدس بالمنجنيق واستمر أبطاله يحاصرون النصارى فلا يستطيع أحد من النصارى أن يُظهر رأسه من أسوار المدينة إلا وتناهشته سهامهم وبدأوا يعملون على اقتحام هذه المدينة ولا سيما فرقة النقابين أو النقابة وهذه الفرقة عملها حفر ونقب الأسوار فبدأت هذه الفرقة تعمل على النقب في أسوار المدينة وإضرار النار وسط الحفر التي يحفرونها في السور فيتدخل السور ويزداد ضعفه واشتد خوف النصارى



وهبطت معنوياتهم فراسل قائدهم صلاح الدين الأيوبي وطلب الأمان وخضع للصلح على أن يخرج من بيت المقدس جميع النصارى بأمان بأموالهم وأسلحتهم وأهلهم وذرائعهم فرفض صلاح الدين الأيوبي وقال له : **(هل نسيتم ما فعلتم بالمسلمين قبل إحدى وتسعين سنة فلن يخرج أحد منكم سنأخذ بثأر من قتلتم من المسلمين).**

فحينئذ اشتد خوفهم فهرعوا إلى كنيسة القيامة رجالهم ونسائهم وأطفالهم وجعلوا يبكون ويضرعون على الطريقة النصرانية المحرفة الكفرية ثم قرر النصارى قراراً خطيراً يتضمن تهديداً كبيراً فأرسلوا إلى صلاح الدين رسالة تهديدية يقولون فيها : (إذا لم تعطنا الأمان لنخرج من بيت المقدس بنسائنا وأبنائنا فأنا سنقتل جميع الأسرى المسلمين الموجودين عندنا في بيت المقدس - وكان يوجد لديهم آلاف الأسرى من المسلمين من رجال ونساء وأطفال - وسنهدم المسجد الأقصى وسنخرب كل شيء ونهدم كل شيء ثم ننتحر فلن تصل إلينا إلا وقد صرنا موتى ولن تستفد شيئاً فلما وصلت هذه الرسالة التهديدية إلى صلاح الدين جمع كبار قواده العسكريين واستشارهم فقالوا له إن هذا القرار قد يُقدم عليه النصارى وهم لن يخسروا شيئاً ما دام وقد تقرر لديهم أنهم سيموتون سيفعلون كل ما يقدرون على فعله من قتل للأسرى ومن هدم للمسجد وتدمير لكل ما يقدرون على تدميره وبذلك لن تكون النتائج إلا وخيمة .



حينئذ رضى صلاح الدين الأيوبي للموافقة على أن يخرجوا بأموالهم ونسائهم وذريعتهم ولا يأخذون شيئاً من أسلحتهم ويدفع كل واحدٍ منهم عن نفسه ديناراً ذهبياً وكانوا في نحو الستين ألف مع النساء والأولاد فوافق النصارى على هذا الطلب وبدأوا يرتبون للخروج وجعلوا يخرجون أفواجاً من دفع منهم ديناراً ذهبياً عن نفسه خرج ومن لم يدفع بقي من جملة الأسارى فدفع خلق كثير منهم عن أنفسهم وخرجوا وبقي أقوام لا يستطيعون أن يدفعوا فتبرع بعض المسلمين منهم الملك العادل أخو صلاح الدين الأيوبي تكفل بالدفع عن ألف من النصارى أن يدفع عنهم ألف دينار ذهبي وأخرجهم وجاء بعض التجار وبعض الأمراء وتكفل بعضهم عن بعض هؤلاء ودفعوا عنهم فأخرجوهم وفي هذا دلالة على ما يتمتع به أهل الإسلام من الرحمة والإحسان والعطف حتى على الكفار وحتى على أعدائهم فإنهم في ساعة الشدة على أعدائهم لا يتعاملون معهم كما يتعامل الأعداء مع المسلمين بل يوسعون ويصفحون وجاءت بعض النساء إلى صلاح الدين تبكي وتقول لقد قتل أزواجنا في حطين فليس معنا من يدفع عنا فعفى عنهن وعن كل امرأة قُتل زوجها أن تخرج ولا تدفع شيئاً وجاءت زوجة القائد الصليبي الخبيث "أرناط" الذي قتله صلاح الدين بيده جاءت إليه تبكي وتقول له : (إن ولدي في سجونكم وأخشى إن علم المسلمون أنه ولد أرناط أن يقتلوه) . قال : (قد أعطيته الأمان فليخرج معك ولتذهبوا حيث شئتم) . وتعامل صلاح الدين



الأيوبي تعاملًا عظيمًا بصفحة كبير وأخلاق لم يكن عليها إلا الأنبياء
والصحابه رضوان الله تعالى عنهم ومن جاء بعدهم من أهل الخير والإحسان
عليه رحمة الله وملت بيت المقدس من الصليبيين الكفار الذين دنسوه إحدى
وتسعين سنة عاثوا فيها فساداً وقد ذكرنا قبل أنهم جعلوا جزءاً من المسجد
الأقصى كنيسة وجعلوا جزءاً منه مكاناً لذخائرهم وأسلحتهم و جزءاً منه
اصطبلًا لخيولهم وخنازيرهم فأفسدوا ولطخوا المسجد ونصبوا الصليبان على
الجدران وعلى قبة الصخرة فلما خرج هؤلاء الغاصبون المجرمون خرجوا وهم
أذلة وفي غاية من الضعف والخوف فلهذا الحمد أولاً وآخراً باطناً وظاهراً .





دخول صلاح الدين والمسلمين بيت المقدس

دخل صلاح الدين الأيوبي والمسلمون بيت المقدس وصيحاتهم ترتفع بالتهليل والتكبير وقد امتلأت القلوب بالفرح والسرور وانطلقت التهنئات في أوساط المسلمين يهنئ بعضهم بعضاً بهذا الفتح العظيم الذي كان قد آيس كثير من المسلمين أن يقع ولكنه حصل بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بجهود هؤلاء الرجال العظماء وتسارع بعض المسلمين يتسلقون قبة الصخرة لينزل منها صليباً ضخماً كان قد فعله النصارى فأسقطوه وجعلوا يكبرون وأمر صلاح الدين بترميم قبة الصخرة وبتوسعة المسجد الأقصى وكان دخولهم يوم السبت في السابع والعشرين من شهر رجب ٥٨٣ للهجرة النبوية .

ثم جاء يوم الجمعة ٤ شعبان وكان قد وضع صلاح الدين المنبر الذي كان أعدّه نور الدين بن عماد الدين زنكي عليه رحمة الله قبل هذا الحدث بعشرين سنة وكان يقول: **(لن تقرر عينه حتى يفتح بيت المقدس ويجعل هذا المنبر في المسجد الأقصى يخطب عليه علماء المسلمين)** . ولكنه مات ولم تتحقق أمنيته إلا على يد أحد الأبطال ممن تربى على يده وهو صلاح الدين الأيوبي فجاء بذلك المنبر العظيم الذي أعد إعداداً عظيماً عجيباً ولا تزال بعض قطعه موجودة إلى يومنا هذا في المتحف التابع للمسجد الأقصى فقد بقي المنبر هذه المدة الطويلة حتى تاريخ واحد وعشرين من شهر ثمانية لعام تسعة



وستين وتسع مائة وألف للميلاد ٢١ / ٨ / ١٩٦٩م حينما قام اليهودي المتطرف " ما يك روهان " بإحراق المسجد الأقصى فاشتعل الحريق ووصل إلى المنبر فاحترق ولم يبق منه إلا قطع صغيرة لا تزال موجودة إلى الآن وتدل دلالة واضحة على ما كان عليه أولئك من العناية وما كان عليه ذلك المنبر من الإبداع والتنميق مع أن أهل الإسلام لا يعيرون هذا الأمر اهتماماً كبيراً لكنه قد حصل كما هو حال كثير من الأمراء.

جاء صلاح الدين بذلك المنبر ووضعه في مقدمة المسجد الأقصى وتسابق المشايخ والخطباء والعلماء كل واحد يطلب من صلاح الدين أن يكون هو أول من يصعد هذا المنبر فيخطب الخطبة العظيمة التي عادت إلى المسجد الأقصى بعد إحدى وتسعين سنة فاختار صلاح الدين أحد الخطباء المفوهين وهو محي الدين بن زكي الدين فأمره أن يقوم بخطبة الجمعة والصلاة بالمسلمين فصعد المنبر وابتدأ خطبته بقول الله تعالى : ﴿فَقَطَّعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ مَعَزِ



الإسلام بنصره ومذل الشرك بقهره ومصرف الأمور بأمره ومديم النعم بشكره ومستدرج الكافرين بمكره:

«الَّذِي قَدَّرَ الْأَيَّامَ دَوْلًا بَعْدَهُ وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ بِفَضْلِهِ وَأَفَاءَ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ ظِلِّهِ وَأَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ الْقَاهِرَ فَوْقَ عِبَادِهِ فَلَا يَمَانَعُ وَالظَّاهِرَ عَلَى خَلْقِهِ فَلَا يُنَازِعُ وَالْأَمْرَ بِمَا يَشَاءُ فَلَا يُرَاجِعُ وَالْحَاكِمَ بِمَا يُرِيدُ فَلَا يَدَافِعُ .

أَحْمَدَهُ عَلَى إِظْفَارِهِ وَإِظْهَارِهِ وَإِعْزَازِهِ لِأَوْلِيَائِهِ وَنَصْرِهِ لِأَنْصَارِهِ وَتَطْهِيرِهِ بَيْتَهُ الْمُقَدَّسَ مِنْ أَدْنَسِ الشَّرِكِ وَأَوْضَارِهِ حَمْدَ مَنْ اسْتَشْعَرَ الْحَمْدَ بَاطِنَ سِرِّهِ وَظَاهَرَ جِهَارِهِ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْأَحَدَ الصَّمَدَ الَّذِي **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** شَهَادَةً مِنْ طَهْرٍ بِالتَّوْحِيدِ قَلْبُهُ وَأَرْضَى بِهِ رَبِّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ رَافِعَ الشَّكِّ وَدَاحِضَ الشَّرِكِ وَرَاحِضَ الْإِفْكَ الَّذِي أُسْرِى بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَعَرَجَ بِهِ مِنْهُ إِلَى السَّمَوَاتِ الْعُلَا إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى مَا زَاعَ الْبُصْرَ وَمَا طَغَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى خَلِيفَتِهِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ السَّابِقِ إِلَى الْإِيمَانِ وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ شِعَارَ الصَّلْبَانِ وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ذِي النُّورَيْنِ جَامِعِ الْقُرْآنِ وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَزْلُزِلِ الشَّرِكِ وَمَكْسِرِ الْأَوْثَانِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ



أَيُّهَا النَّاسُ: أَبْشِرُوا بِرِضْوَانِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْعَايَةُ الْقُصْوَى وَالدرْجَةُ الْعُلْيَا لما يسره الله على أَيْدِيكُمْ من اسْتِرْدَادِ هَذِهِ الضَّالَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ الضَّالَّةِ وَرَدَّهَا إِلَى مَقَرِّهَا مِنَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ ابْتِذَالِهَا فِي أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ قَرِيبًا مِنْ مِئَةِ عَامٍ وَتَطْهِيرِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أذنَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ وَأَنْ يَذْكَرَ فِيهِ أَسْمُهُ وَإِمَاطَةِ الشَّرْكِ عَنْ طَرَفِهِ بَعْدَ أَنْ أَمْتَدَّ عَلَيْهِمَا رِوَاقَهُ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا رِسْمُهُ وَرَفَعَ قَوَاعِدَهُ بِالتَّوْحِيدِ فَإِنَّهُ بَنَى عَلَيْهِ وَبِالتَّقْوَى فَإِنَّهُ أَسَّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ خَلْفِهِ وَمَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهُوَ مَوْطِنُ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَمِعْرَاجُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْلَتُكُمْ الَّتِي كُنْتُمْ تَصَلُّونَ إِلَيْهَا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مَقَرُّ الْأَنْبِيَاءِ وَمَقْصِدُ الْأَوْلِيَاءِ وَمَقَرُّ الرُّسُلِ وَمَهْبِطُ الْوُحْيِ وَمَنْزِلُ تَنْزِيلِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَهُوَ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ وَصَعِيدِ الْمَنْشَرِ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ وَهُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَهُوَ الْبَلَدُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَتَهُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَهُ عِيسَى الَّذِي شَرَفَهُ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَكَرَّمَهُ بِنُبُوتهِ وَلَمْ يَزْحَرْهُ عَنْ رُتْبَةِ عِبُودِيَّتِهِ فَقَالَ تَعَالَى ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ وَقَالَ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وَهُوَ أَوَّلُ الْقِبْلَتَيْنِ وَثَانِي الْمَسْجِدَيْنِ وَثَلَاثُ الْحَرَمَيْنِ ^(١) لَا تَشُدُّ الرِّحَالُ بَعْدَ الْمَسْجِدَيْنِ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا تَعْقُدُ الْخَنَاصِرُ بَعْدَ الْمَوْطِنَيْنِ إِلَّا عَلَيْهِ وَلَوْلَا أَنْكُمْ مِمَّنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ وَاصْطَفَاهُ مِنْ سَكَانِ بِلَادِهِ لَمَا خَصَّكُمْ

(١) هذا مما اشتهر على السنة العامة وليس عليه دليل.



بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ الَّتِي لَا يَجَارِيكُمْ فِيهَا مَجَارٌ وَلَا يَبَارِيكُمْ فِي شَرَفِهَا مَبَارٍ فَطُوبَى لَكُمْ مِنْ جَيْشٍ ظَهَرَ عَلَى أَيْدِيكُمْ الْمَعْجَزَاتُ النَّبَوِيَّةُ وَالْوَقْعَاتُ الْبَدْرِيَّةُ وَالْعِزَمَاتُ الصَّدِيقِيَّةُ وَالْفَتْوحُ الْعِمْرِيَّةُ وَالْجِيُوشُ الْعُثْمَانِيَّةُ وَالْفَتْكَاتُ الْعُلُويَّةُ جَدَدْتُمْ لِلْإِسْلَامِ أَيَّامَ الْقَادِسِيَّةِ وَالْوَقْعَاتُ الْيَرْمُوكِيَّةِ وَالْمَنَازِلَاتُ الْخَيْبَرِيَّةِ وَالْهَجَمَاتُ الْخَالِدِيَّةُ فَجَزَاكُمْ اللَّهُ عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ وَشَكَرَ لَكُمْ مَا بَذَلْتُمُوهُ مِنْ مَهْجِكُمْ فِي مَقَارَعَةِ الْأَعْدَاءِ وَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ مَا تَقَرَّبْتُمْ بِهِ إِلَيْهِ مِنْ مَهْرَاقِ الدِّمَاءِ وَأَثَابَكُمْ الْجَنَّةَ فَهِيَ دَارُ السُّعْدَاءِ فَاقْدُرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ هَذِهِ النَّعْمَةُ حَقُّ قَدَرِهَا وَقَوْمُوا لِلَّهِ تَعَالَى بِوَجِبِ شُكْرِهَا فَلَهُ النَّعْمَةُ عَلَيْكُمْ بِتَخْصِيصِكُمْ بِهَذِهِ النَّعْمَةِ وَتَرْشِيحِكُمْ لِهَذِهِ الْخِدْمَةِ فَهَذَا هُوَ الْفَتْحُ الَّذِي فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتَبَلَّجَتْ بِأَنْوَارِهِ وَجُوهُ الظُّلَمَاءِ وَابْتَهَجَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَقَرَّبَهُ عَيْنَا الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلُونَ فَمَاذَا عَلَيْكُمْ مِنَ النَّعْمَةِ بِأَنْ جَعَلَكُمْ الْجَيْشُ الَّذِي يَفْتَحُ عَلَيْهِ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَالْجَنْدُ الَّذِي تَقُومُ بِسُيُوفِهِمْ بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ التُّبُوءِ أَعْلَامُ الْإِيمَانِ فَيُوشِكُ أَنْ تَكُونَ التَّهَانِي بِهَ بَيْنَ أَهْلِ الْخَضِرَاءِ أَكْثَرَ مِنَ التَّهَانِي بِهَ بَيْنَ أَهْلِ الْغُبَرَاءِ أَلَيْسَ هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَنَصَّ عَلَيْهِ فِي خُطَابِهِ فَقَالَ تَعَالَى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ الْآيَةُ أَلَيْسَ هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي عَظَّمْتَهُ الْمُلُوكُ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ الرُّسُلُ وَتَلَيَّتْ فِيهِ الْكُتُبُ الْأَرْبَعَةُ الْمُنْزَلَةُ مِنْ إِلَهِكُمْ عَزَّ وَجَلَّ أَلَيْسَ هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي أَمْسَكَ اللَّهُ



عز وجل الشَّمْسُ عَلَى يُوشَعَ لِأَجَلِهِ أَنْ تَغْرِبَ وَبَاعَدَ بَيْنَ خَطَوَاتِهَا لِيَتَيْسَرَ فَتَحَهُ وَيَقْرَبَ أَلَيْسَ هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَأْمُرَ قَوْمَهُ بِاسْتِنْقَازِهِ فَلَمْ يَجِبْهُ إِلَّا رَجُلَانِ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ لِأَجَلِهِ فَأَلْقَاهُم فِي التِّيهِ عُقُوبَةً لِلْعَصِيَانِ فَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي أَمْضَى عِزَائِكُمْ لَمَّا نَكَلْتُمْ عَنْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَقَدْ فَضَلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَوَفَّقَكُمْ لَمَّا خَذَلَ فِيهِ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ وَجَمَعَ لِأَجَلِهِ كَلِمَتَكُمْ وَكَانَتْ شَقَى وَأَغْنَاكُمْ بِمَا أَمْضَتْهُ كَانَ وَقَدْ عَنِ سَوْفٍ وَحَتَّى فُلِيهِنَكُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ ذَكَرَكُمْ بِهِ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَجَعَلَكُمْ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ جُنُودًا لِأَهْوَيْتَكُمْ جَنْدَهُ وَشَكَرَكُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمَنْزُولُونَ عَلَى مَا أَهْدَيْتُمْ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ مِنْ طَيْبِ التَّوْحِيدِ وَنَشَرَ التَّقْدِيسِ وَالتَّحْمِيدِ وَمَا أَمْطَمَ عَنْ طَرَقِهِمْ فِيهِ مِنْ أَذَى الشَّرِكِ وَالتَّثْلِيثِ وَالْإِعْتِقَادِ الْفَاجِرِ الْحُبِيثِ فَالْآنَ يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ أَمْلَآكَ السَّمَوَاتِ وَتَصَلِّيَ عَلَيْكُمْ الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ فَاحْفَظُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ هَذِهِ الْمَوْهَبَةُ فِيكُمْ وَاحْرَسُوا هَذِهِ النَّعْمَةَ عِنْدَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي مِنْ تَمَسُّكِ بِهَا سَلَمٌ وَمَنْ اعْتَصَمَ بِعُرْوَتِهَا نَجَا وَعَصَمَ وَإِحْذَرُوا مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَمُوَافَقَةِ الرَّدَى وَرُجُوعِ الْقَهْقَرَى وَالنُّكُولِ عَنِ الْعَدَى وَخَذُوا فِي انْتِهَازِ الْفُرْصَةِ وَإِزَالَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الْغَصَةِ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَبِيعُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسَكُمْ فِي رِضَاؤِهِ إِذْ جَعَلَكُمْ مِنْ عِبَادِهِ وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَسْتَزِلَّكُمْ الشَّيْطَانُ وَأَنْ يَتَدَاخَلَكُمْ الطُّغْيَانُ فَيُخِيلَ لَكُمْ أَنَّ هَذَا النَّصْرَ بِسُيُوفِكُمُ الْحَدَادِ وَبِخِيُولِكُمُ الْحِيَادِ وَبِجِلَادِكُمْ فِي مَوَاطِنِ الْجِلَادِ لَا وَاللَّهِ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

واحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بِهَذَا الْفَتْحِ الْجَلِيلِ وَالْمَنْحِ الْجَزِيلِ
وخصكم بِهَذَا الْفَتْحِ الْمُبِينِ وَأَعْلَقَ أَيْدِيكُمْ بِجَبَلِهِ الْمُتَيْنِ أَنْ تَقْتَرِفُوا كَبِيرًا مِنْ
مَنْاهِيهِ وَأَنْ تَأْتُوا عَظِيمًا مِنْ مَعَاصِيهِ فَتَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ
أَنْكَاثًا **وَكَلَّا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴿١﴾
وَالْجِهَادَ الْجِهَادَ فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ عِبَادَاتِكُمْ وَأَشْرَفِ عَادَاتِكُمْ انصروا الله
ينصركم اذكروا الله يذكركم اشكروا الله يزدكم ويشكركم جدوا في حسم
الدَّاءِ وَقَطْعِ شَأْفِهِ الْأَعْدَاءِ وَتَطْهِيرِ بَقِيَّةِ الْأَرْضِ الَّتِي أَغْضَبَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادى الأَيَّامُ بالثارات الإسلامية
وَالْمَلَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَتَحَ اللَّهُ وَنَصَرَ غَلَبَ اللَّهُ وَقَهَرَ أَذَلَّ اللَّهُ مِنْ
كَفَرُوا وَعَلِمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْ هَذِهِ فُرْصَةٌ فَاَنْتَهَزُوهَا وَفَرِيسَةٌ فَناجِزُوهَا وَمَهْمَةٌ
فَأَخْرِجُوا لَهَا هَمَمَكُمْ وَبَرِّزُوهَا وَسِيرُوا إِلَيْهَا سَرَايَا عِزْمَاتِكُمْ وَجَهِّزُوهَا
فَالْأُمُورُ بِأَوَاخِرِهَا وَالْمَكَاسِبُ بِذَخَائِرِهَا فَقَدْ أَظْفَرَكُمْ اللَّهُ بِهَذَا الْعَدُوِّ الْمَخْذُولِ
وَهُمْ مِثْلُكُمْ أَوْ يَزِيدُونَ فَكَيْفَ وَقَدْ أَضْحَى فِي قِبَالَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مِنْكُمْ
عَشْرُونَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى **﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾** ﴿٢﴾
أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى اتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَالْإِزْدَجَارِ بِزَوَاجِرِهِ وَأَيَّدَنَا مَعَشَرَ
الْمُسْلِمِينَ بِنَصْرِ مَنْ عِنْدَهُ **﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾** وَتَمَامَ الْخُطْبَةِ وَالْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ قَرِيبَ مِمَّا جَرَتْ بِهِ
الْعَادَةُ وَقَالَ بَعْدَ الدُّعَاءِ لِلْخَلِيفَةِ اللَّهُمَّ وَأَدَمَ سُلْطَانَ عَبْدِكَ الْخَاضِعِ لِهَيْبَتِكَ



الشَاكِرَ لِنِعْمَتِكَ الْمُعْتَرِفَ بِمَوْهَبَتِكَ سَيِّفَكَ الْقَاطِعَ وَشَهَاكَ اللَّامِعَ وَالْمَحَامِي
عَنْ دِينِكَ الْمُدَافِعَ وَالذَّابَّ عَنْ حَرَمِكَ الْمَمَانِعَ السَّيِّدَ الْأَجَلَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ جَامِعَ
كَلِمَةِ الْإِيْمَانِ وَقَامِعَ عِبْدَةِ الصُّلْبَانِ صَلَاحَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ مَطْهَرَ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ أَبِي الْمَظْفَرِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ مُحِيَّ دَوْلَةِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُمَّ عَمِّ بِدَوْلَتِهِ الْبَسِيطَةَ وَاجْعَلْ مَلَائِكَتَكَ بِرَايَاتِهِ مُحِيطَةً وَأَحْسِنِ
عَنْ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ جَزَاءَهُ وَاشْكُرْ عَنِ الْمَلَّةِ الْمَحْمُودِيَةِ عِزْمَهُ وَمُضَاءَهُ اللَّهُمَّ أَبْقِ
لِلْإِسْلَامِ مَهْجَتَهُ وَوَقِّ لِلْإِيْمَانِ حُوزَتَهُ وَانْشُرْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ دَعْوَتَهُ.

اللَّهُمَّ كَمَا فَتَحْتَ عَلَى يَدِهِ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ بَعْدَ أَنْ ظَنَنْتَ الظُّنُونَ وَابْتَلَى
الْمُؤْمِنُونَ فَافْتَحْ عَلَى يَدِهِ أَدَانِي الْأَرْضِ وَأَقَاصِيهَا وَمَلِكِهِ صِيَاصِي الْكُفَرَةِ
وَنَوَاصِيهَا فَلَا تَلْقَاهُ مِنْهُمْ كَتِيبَةً إِلَّا مَزَقَهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا فَرَقَهَا وَلَا طَائِفَةً بَعْدَ
طَائِفَةٍ إِلَّا أَحْلَقَهَا بِمَنْ سَبَقَهَا.

اللَّهُمَّ اشْكُرْ عَنْ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سَعْيِهِ وَأَنْفِذْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ أَمْرَهُ
وَنَهْيَهُ اللَّهُمَّ وَأُصْلِحْ بِهِ أَوْسَاطَ الْبِلَادِ وَأَطْرَافَهَا وَأَرْجَاءَ الْمَمَالِكِ وَأَكْنَافَهَا.

اللَّهُمَّ ذَلِّ بِهِ مَعَاطِسَ الْكُفَّارِ وَأَرْغَمْ بِهِ أَنْوْفَ الْفُجَارِ وَانْشُرْ ذَوَائِبَ مَلِكِهِ
عَلَى الْأَمْصَارِ وَابْثْ سَرَايَا جُنُودِهِ فِي سَبْلِ الْأَقْطَارِ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ الْمَلِكَ فِيهِ وَفِي عَقْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاحْفَظْهُ فِي بَنِيهِ وَبَنِي أَبِيهِ
الْمُلُوكِ الْمِيَامِينَ وَاشْدُدْ عِضْدَهُ بِبِقَائِهِمْ وَاقْضِ بِإِعْزَازِ أَوْلِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِمُ اللَّهُمَّ



كَمَا أُجْرِيَتْ عَلَى يَدِهِ فِي الْإِسْلَامِ هَذِهِ الْحَسَنَةُ الَّتِي تَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ وَتَتَخَلَّدُ عَلَى
 مَرَّ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ فَارْزُقْهُ الْمُلْكُ الْأَبَدِي الَّذِي لَا يَنْفَدُ فِي دَارِ الْمُتَّقِينَ وَأَجِبْ
 دَعَاءَهُ فِي قَوْلِهِ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ
 أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ثُمَّ دَعَا بِمَا جَرَتْ بِهِ
 الْعَادَةُ (١) .

فكانت خطبة عظيمة اختتمها بالدعاء للبطل السلطان صلاح الدين
 الأيوبي عليهم رحمة الله أجمعين كانت هذه الخطبة يوم الجمعة الرابع من
 شعبان لعام ٥٨٣ من الهجرة النبوية هذه هي قصة فتح بيت المقدس وتحرير
 المسجد الأقصى من الصليبيين الغاصبين نسأل الله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه
 أن يوفقنا وإياكم لكل خير .

والحمد لله رب العالمين .



(١) (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) (٣ / ٣٨٤ / ٣٩١) .

الحلقة الثالثة عشرة



الحملة الصليبية الثالثة وسقوط عكا (١)

(١) عكا : مدينة فلسطينية من أقدم مدن فلسطين التاريخية , تقع على البحر الأبيض المتوسط على الرأس الشمالي من خليج حيفا غرب منطقة الجليل , وتبعد ١٧٩ كيلومترا شمال غرب مدينة القدس تقع اليوم في لواء الشمال الإسرائيلي حسب التقسيم الإداري بعد حرب ١٩٤٨ على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط . وفتحت عكا في حدود سنة ١٥ على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وكان لمعاوية في فتحها وفتح السواحل أثر جميل ولما ركب منها إلى غزوة قبرص رممها وأعاد ما تشعث منها وكذلك فعل بصور ثم خربت فجدها هشام بن عبد الملك اختلفت أيدي المتغلبين عليها.

قال ياقوت: وكانت قديماً بيد المسلمين حتى أخذها الإفرنج ومقدمهم بغدوين صاحب بيت المقدس من زهر الدولة بن أمير الجيوش منسوب إلى أمير الجيوش بدر الجمالي أو ابنه وكان فيها من قبل المصريين فقصدتها الإفرنج برّاً وبحراً في سنة (٤٩٧) فقاتلهم أهل عكا حتى عجزوا عنهم لقصور المادة بهم وكان أهل مصر لا يمدونهم بشيء فسلموها إليهم وقتلوا منها خلقاً كثيراً وسبوا جماعة أخرى حملوهم إلى خلف البحر وخرج زهر الدولة حتى وصل إلى دمشق ثم عاد إلى مصر ولم تزل في أيديهم حتى افتتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب في جمادى الأولى سنة (٥٨٣) وشحنها بالرجال والعدد والميرة فعاد الإفرنج ونزلوا عليها وخذلوا دونهم خندقاً وجاءهم صلاح الدين ونزل دونهم وأقام حولهم فوق السنتين حتى استعادها الإفرنج من المسلمين عنوة في سابع جمادى الآخرة سنة (٥٨٧) وأحضروا أسارى المسلمين وكانوا نحو ثلاثة آلاف وحملوا عليهم حملة واحدة فقتلهم عن آخرهم، والنسبة إليها عكي وقد نسب إليها قوم وقد رسمها عماد الدين الأصفهاني في الفتح القسي بالألف المقصورة تارة عكى وبالألف الممدودة أخرى.

وحاول الفرنسيين سنة ١٧٩٩ محاصرون عكا وبعد ثمانين وقائع سالت فيها الدماء إلى الأباطح اضطر نابليون أن يرجع عنها واستولى ابراهيم باشا سنة (١٨٣٢م) على المدينة فنهب وخربت ولكنها عادت فنهضت من كبوتها وفي سنة ١٨٤٠ خربت الأساطيل الانكليزية والنمساوية ثغر عكا فخرّب بذلك كل أثر من آثارها القديمة ثم تعاقب الخراب الاقتصادي عليها) .احتلها البريطانيون وقد كان لهذا الموقع أهمية جعل مدينة عكا تتعرض لأحداث عظيمة حيث ظهر الكثير من القادة التاريخيين على



مسرحها مثل: تحتس، سرجون، بختنصر، قمبيز، الإسكندر، أنطوخوس، وبومي ثم معاوية وصلاح الدين الأيوبي، ريكاردوس، ابن طولون - نابليون - إبراهيم باشا، وغيرهم.

حملت مدينة عكا عدة أسماء عبر عصورها التاريخية، ففي العصر الكنعاني أطلق عليها مؤسسوها اسم عكو، وهي كلمة تعني الرمل الحار، وسماها المصريون عكا أو عك، وفي رسائل تل العمارنة وردت باسم عكا، ونقلها العبريون بالاسم نفسه، ذكرها يوسفوس فلافيوس باسم عكي، ووردت في النصوص اللاتينية باسم عكي، وفي النصوص اليونانية باسم عكي.

أخذت المدينة اسم ACKON عكون إبان حكم الفرنجة لها، كما سميت - acre رَحْمَها اللهُ الد Saint - Jean وقبل ذلك في العهدين الكلاسيكي والبيزنطي حملت اسم بتوليمائس، وظلت تحمله من القرن الثالث حتى القرن السابع الميلادي. وعندما جاء العرب سموها عكا معيدين لها اسمها الكنعاني القديم بتحريف بسيط، وظلت تحمله إلى يومنا هذا.

وفي (٤ - ٢ - ١٩١٨م) احتلها البريطانيون، ثم احتلتها العصابات الصهيونية المسلحة بتاريخ (١٨ - ٥ - ١٩٤٨م) بعد قتال عنيف، وبقي عدد كبير من الفلسطينيين في عكا حتى الآن. كان قضاء عكا تابعاً للواء الجليل الذي مركزه مدينة الناصرة، ويرأس القضاء قائمقام، ويشتمل على عدة قرى ويدير المختار مهام القرية.



بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

في هذا اليوم الثالث عشر من شهر رمضان لعام ١٤٤٤ للهجرة النبوية ونحن في دروسنا **(مقتطفات من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية)** نتكلم في هذا اليوم عن الحملة الصليبية الثالثة.

هذه الحملة التي كانت بتاريخ ستة وثمانين بعد الخمس مائة من الهجرة النبوية ٥٨٦ هـ الموافق تسعين بعد الألف والمائة للميلاد ١١٩٠ م هذه الحملة الصليبية التي لها دوي وأثر كبير في التاريخ .

سببها : هو ما حصل للمسلمين من انتصار عظيم بقيادة صلاح الدين الأيوبي والذي توج ذلك الانتصار بتحرير بيت المقدس وتحرير المسجد الأقصى من أيدي الصليبيين الكافرين لقد كان وقع هذا النبأ على نفوس نصارى أوروبا شديد حتى صُدم بعضهم صدمة عظيمة فبابا الفاتيكان المعروف بـ **"أربان الثالث"** مات غماً من شدة الصدمة حينما بلغه ما حصل لإخوانه من هزيمة شنعاء في الشام وتحرك القساوسة والرهبان ممن هُزم في الشام ومن غيرهم تحركوا إلى كثير من بلدان أوروبا وقد لبسوا السواد وأظهروا الحزن والبكاء والنحيب على ما جرى في الشام وجعلوا يحمسون نصارى أوروبا للأخذ بالثأر واستخدموا كل وسيلة يستطيعون التأثير من



خلاها على الناس ومن ذلك أنهم صوروا عيسى عليه السلام صوروا له صورةً أو رسموا له رسماً لرجلٍ عربيٍ يضربه والدماء تسيل من جسده وجعلوا يقولون للناس: هذا هو المسيح يضربه نبي العرب محمد حتى تسيل الدماء من جسده) ^(١) وصدق السذج والمغفلون من الناس فتحمسوا تحمساً كبيراً حتى خرجت بعض النساء وقد ذكر ابن الأثير عليه رحمة الله أنه التقى ببعض الأسارى الصليبيين فأخبره أنه وحيد أمه أي أن أمه لم يكن لها ولد سوى هذا الأسير وأن أمه باعت بيتها وأخذت ثمن البيت فاشتريت به تجهيزاً لهذا الولد ودفعت به لنصرة نصارى الشام مما يدل دلالة واضحة على أن الإندفاع الديني كان عند النصارى بشكل كبير جداً أكثر مما هو موجود في أوساط المسلمين فإننا لله وإنا إليه راجعون .

فتحركت حملة صليبية كبرى تسمى **بـ (حملة الملوك)** لأنه تحرك فيها ثلاثة ملوك من ملوك أوروبا كل ملك بجيشٍ عظيم .

🌀 **الأول :** ملك ألمانيا **(فردريك بربروس)** وكان يُقال له ذو اللحية الحمراء وكان ملكاً جباراً حتى كان بعض ملوك النصارى يخاف منه ومن بطشه تحرك بجيشٍ عظيم في حملة برية عن طريق آسيا الصغرى - تركيا - ذكر بعضهم أن جيشه كان نحو ثلاثمائة ألف وصل هذا الملك إلى بعض أنهار تركيا فرغب في السباحة فنزل فسبح في النهر فأخذته المياه فضربت به في

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٩/١٠).



جذع شجرة فشُدخ رأسه وخمدت أنفاسه وكفى الله شر هذا المجرم الأثيم وتفرق جيشه وتمزق فمَنهم من واصل طريقه إلى الشام ومنهم من رجع إلى ألمانيا .

وذكر بعض المؤرخين أن عدد الذين وصلوا إلى الشام من جيش هذا الألماني لا يزيدون عن ألف، وقيل خمسة آلاف وهذه أعداد ليست بشيء وذكر بعض المؤرخين أنه لما وصل هذا العدد لم يلتفت إليه النصارى ولم يعيروه أدنى اهتمام.

هذه قصة هذا الملك الأول الذي تحرك بهذا الجيش يريد الشام فقصمه الله في الطريق ^(١) .

🌀 **الملك الثاني :** ملك إنجلترا - بريطانيا - هذا الملك هو "ريتشارد" ويلقب بـ **"قلب الأسد"** لشجاعته وهو من أقبحهم وأشدهم عداوة للإسلام والمسلمين تحرك بحملة بحرية كبيرة فركب البحر يريد الشام لاسترداد بيت المقدس من أيدي المسلمين .

🌀 **والملك الثالث :** هو ملك فرنسا **"فيليب اغسطس"** تحرك جهة الشام بجيش عظيم عن طريق البحر أيضا .



ركبا هذان الملكان البحر من "مرسيليا" ووصلا بجيوشهما إلى جزيرة صقلية واستراحا بها مدة ثم غادراها دون أن يتفقا على خطة معينة فتوجه "فيليب أغسطس" نحو عكا مباشرة وكان أول من وصل منهم، وهو من أشرف ملوكهم نسباً، وإن كان ملكه ليس بالكثير وكان وصوله إلى عكا ثاني عشر ربيع الأول، سنة سبع وثمانين وخمسمائة ولم يكن في الكثرة التي ظنوها، وإنما كان معه ست بطس كبار عظام، فقويت به نفوس من كان على عكا من الصليبيين ولجؤا في قتال المسلمين الذين فيها (١).

واتجه "رويتشارد" نحو جزيرة "قبرص" ولما وصل إليها غدر بصاحبها فأخذها من الروم واحتلها واتخذها قاعدة لأسطوله يهاجم منها فلسطين. فكان ذلك زيادةً في ملكه وقوةً للفرنج، ووصل عكا ثالث عشر جمادى الأولى. وصل إليها في خمس وعشرين قطعة كباراً مملوءة رجالاً وأموالاً فعظم به شر الفرنج، واشتدت نكايتهم في المسلمين.

وكان رجل زمانه شجاعاً ومكرراً وجلداً وصبراً وبلي المسلمين منه بالذاهية التي لا مثل لها (٢).

كانت هذه الحملة قد رفعت المعنويات في نفوس نصارى الشام (فلما وصلت ملوك الإفرنجية عبر البحر إلى عكا ، توهم صلاح الدين خوفاً لكثرتهم وكثرة عددهم، سيطرتهم على جميع بلاد الشام فخرّب طبرية وقيسارية، وحيفا، ويافا، وصيدا، وجبيل، وأرسوف، وسائر بلاد الساحل على ضفة البحر ما خلا عسقلان).

(١) الكامل في "التاريخ" لابن الأثير، (٩٤/١٠) وما بعدها.

(٢) الكامل في "التاريخ" لابن الأثير، (٩٥/١٠) وما بعدها.



صلاح الدين يرسل الأمراء والحكام ويطلب منهم المدد

كانت هذه التحركات قد بعثت المعنويات في نفوس نصارى الشام ووصل الخبر إلى صلاح الدين الأيوبي فراسل الخليفة العباسي في بغداد وراسل الملوك فكان رد الخليفة رداً بارداً وإذا به يعاتبه لماذا تلقب بالملك الناصر؟ ! وهذا اللقب لا يصلح إلا للخليفة فطلب منه صلاح الدين الأيوبي النصرة وهو مستعد أن يتنازل عن جميع ما يملكه وعن كل ما تحت يده من ممالك الشام واليمن والحجاز ومصر وليكن ذلك كله تبعاً للدولة العباسية أو للخليفة العباسي وأن الأهم هو إنقاذ المسلمين والبلدان الإسلامية والمسجد الأقصى من هذه الجحافل القادمة التي لا يستطيع صلاح الدين الأيوبي أن يقف في وجهها فجيشه لا يزيد عن اثني عشر ألف وقد أشننته الحروب فهو في معارك دائمة مع النصارى فكيف إذا أقبلت هذه الجموع الغفيرة؟ .

ولكن للأسف لم يجد نصرة من الخليفة العباسي ولا من غيره حتى وصلت رسائله إلى ملك المغرب ^(١) .

وأرسل صلاح الدين إلى أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب والي مصر فأرسل جيشاً وأعد أسطولاً بحرياً وبدأت التحركات من جميع الجهات .

(١) البداية والنهاية (٦٦٢/١٦).



حصار عكا وتجمع جيوش الصليبيين وجيوش المسلمين حولها

أما نصارى الشام فقد شعروا بقوة ونشوة فتحركوا إلى مدينة عكا وكانت تحت سيطرة المسلمين ولها أهمية كبرى فحاصروها ولم تزل وفود النصارى جموعهم تتوافد من قبل البحر وشعر صلاح الدين بخطورة الموقف فدخل معهم في معركة ولكنها كانت معركة غير متكافئة لأن أعداد النصارى كانت تزيد من جهة الساحل وبأعداد هائلة حتى بلغوا نحو خمسمائة ألف (٥٠٠٠٠) مقاتل .

فماذا يغني عن المسلمين عدد الجيش الذي يقوده صلاح الدين الأيوبي ؟ !
إلا أن هذا البطل الكبير لم يقف مكتوف اليدين وهو ينظر إلى هذه التجمعات العظيمة الكبيرة بل بدأ الحرب وهاجم النصارى من جهة البر حتى استطاع بعون من الله سبحانه وتعالى وتأييد منه أن يفتح طريقاً إلى عكا فوصل إلى بابها بل ودخل قلعتها وأطل من قلعتها فرأى جموعاً تتوافد من جهة البحر بأعداد هائلة ومراكب ضخمة تصل إلى ساحل عكا من ناحية البحر وأما المسلمون في عكا فقد انتعشوا حينما وصل إليهم صلاح الدين وأوصل إليهم بعض المؤن وبعض الطعام والمعدات التي يستطيعون أن يدافعوا بها عن أنفسهم (١) .

(١) ” النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية “ (١٦٦).



وصول الأسطول المصري

ووصل أسطول الجيش المصري البحري في نحو (٥٠) قطعة بحرية وكان محملاً أيضاً بالغذاء وشيء من المعونات لأهل عكا فاعترضتهم السفن الحربية الأوروبية واصطدم الأسطول البحري المصري بالأسطول الصليبي النصارى وكانت بداية المواجهة بجزة من الأسطول لأن السفن لم تصل دفعة واحدة وإنما كانت تتوافد وتتابع وحتى لا يحصل مدد من نصارى البر لإخوانهم رأى صلاح الدين الأيوبي أنه لا بد من اشغالهم بمعركة برية فالتحم صلاح الدين مع النصارى مرة أخرى زمن وصول الأسطول البحري المصري في معركة شديدة من جهة البر وهذه المعركة يطلق عليها المؤرخون معركة "مرج عكا" واصطدام الأسطول البحري المصري بالأسطول البحري الأوروبي في البحر واشتعلت الحرب براً وبحراً بين المسلمين وبين النصارى الصليبيين فقتل من النصارى ما يزيد عن (٧٠٠٠) سبعة آلاف وقتل من المسلمين نحو المائتين وامتلات الساحة بمجث القتلى وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْفَرَنْجِ مَرْكَبًا بِمَا فِيهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ، وَأَخَذَ الْفَرَنْجُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ الْقَتْلَ فِي الْفَرَنْجِ كَانَ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَوَصَلَ الْأُسْطُولُ الْإِسْلَامِيُّ سَالِمًا .



غلب الأسطول البحري المصري أسطول النصارى وقدر بحمد الله أن يشق طريقاً إلى عكا فأوصل لهم المواد الغذائية والإعانات وحصل انتعاش كبير لأهل عكا بهذا التنفيس وبهذا الفرج ^(١) .

ثم رأى صلاح الدين عليه رحمة الله أن ينسحب بالجيش قليلاً وذلك لكثرة جثث القتلى في ساحة المعركة وقد امتلأت الأرض بالجثث وانتشرت الروائح الكريهة وحصل له مرض بسبب تلك الروائح وأصر عليه الأطباء أن يتحول ولو قليلاً حتى لا تتضاعف الحالة المرضية ويمرض أيضاً بقية الجيش فانسحب قليلاً إلى منطقة الخروبة وهو موضع قريب من مكان الوقعة إلا أنه أبعد عنها من المكان الذي كان نازلاً فيه بقليل وضربت له خيمة عند الثقل وأمر اليزك أن يكون مقيماً في المكان الذي كان نازلاً فيه وذلك في التاسع والعشرين واستحضر الأمراء وأرباب المشورة في سلخ الشهر ثم أمرهم بالإصغاء إلى كلامه.

قال ابن شداد : وكنت من جملة الحاضرين ثم قال :

(بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله اعلّموا أن هذا عدو الله وعدونا قد نزل في بلدنا وقد وطء أرض الإسلام وقد لاحت لوائح النصر عليه إن شاء الله تعالى وقد بقي في هذا الجمع اليسير ولا بد من الاهتمام بقلعه والله قد أوجب علينا ذلك وأنتم تعلمون أن هذه عساكرنا ليس وراءنا نجدة ننتظرها

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٨٠/١٠).



سوى الملك العادل وهو واصل وهذا العدو إن بقي وطال أمره إلى أن يفتح البحر جاءه مدد عظيم والرأي كل الرأي عندي مناجزتهم فلينجزنا كل منكم ما عنده في ذلك) وكان ذلك في ثالث عشر تشرين من الشهور الشمسية وامتخضت الآراء وجرى تجاذب في أطراف الكلام وانفصلت آراؤهم على أن المصلحة تأخير العسكر إلى الخروبة وأن يبقى العسكر أياماً حتى يستجم من حمل السلاح وترجع النفوس إليهم فقد أخذ التعب منهم واستولى على نفوسهم الضجر وتكليفهم أمراً على خلاف ما تحمله القوي لا تؤمن غائلته والناس لهم خمسون يوماً تحت السلاح وفوق الخيل والخيول قد ضجرت من عرك اللحم وسئمت نفوسها ذلك وعند أخذ حظ من الراحة ترجع نفوسها إليها ويصل الملك العادل ويشاركنا في الرأي والعمل وسنعيد من شذ من العساكر ونجمع الرجالة ليقفوا في مقابلة الرجالة وكان بالسلطان التياث مزاجي قد عراه من كثرة ما حمل على قلبه وما عاناه من التعب بحمل السلاح والفكر في تلك الأيام فوقع ما قالوه ورأوه مصلحة وكان انتقال العسكر إلى الثقل ثالث رمضان وانتقال السلطان تلك الليلة وأقام يصلح مزاجه ويجمع العساكر وينتظر أخاه إلى عاشر رمضان. ^(١)

فَلَمَّا رَحَلَ هُوَ وَعَسَاكِرُهُ أَمِنَ الْفَرَنْجُ وَانْبَسَطُوا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، وَعَادُوا فَحَصَرُوا عَكَا، وَأَحَاطُوا بِهَا مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ وَمَرَاكِبُهُمْ أَيْضًا فِي الْبَحْرِ تَحْصُرُهَا، وَشَرَعُوا فِي حَفْرِ الْخُنْدَقِ، وَعَمَلَ السُّورِ مِنَ التُّرَابِ الَّذِي يُخْرِجُونَهُ مِنَ الْخُنْدَقِ، وَجَاءُوا بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسَابِ. وقد استبسلت حامية المدينة في الدفاع عنها وكانت أوامر صلاح الدين تصل إلى الحامية بواسطة السباحين وحمام الزاجل .

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين الأيوبي (١٧٨)..



وقد استمر الحصار إلى سنة ٥٨٧ هـ وساعد الفرنج على مداومته سيطرتهم على البحر ^(١) .

وكان انسحاب صلاح الدين وجيشه إلى الخروبة مما تقوى بسببه النصارى - لعنهم الله - فإنهم استغلوا انسحاب صلاح الدين الأيوبي قليلاً فحفروا خندقاً عظيماً وتترسوا وراء ذلك الخندق وجعلوا تراب الخندق أشبه ما يكون بالجبل العظيم بينهم وبين قوات صلاح الدين الأيوبي واستمرت المناوشات والمواجهات ولكن الحصار كان مطبقاً على أهل عكا حتى ذكر بعض المؤرخين أنهم أكلوا الكلاب وأرسل بهاء الدين إلى صلاح الدين يخبره بأن الطعام والغذاء كاد ينفد وكان صلاح الدين عليه رحمة الله يرأسهم بواسطة الحمام الزاجل ولا يستطيع الوصول إليهم بعد أن أُطبق الحصار عليهم من جميع الجهات وكان يناوش النصارى بين الفينة والأخرى ويحاول أن يجرحهم إلى معركة بعيدة عن عكا شيئاً ما ولكن العدد قد ازداد جداً وقد امتلأ البر والبحر بالقوات النصرانية وصار جيش صلاح الدين لا يعادل أصغر كتيبة من كتائب النصارى ولم يأت إلا مدد يسير من حلب ومن بعض البلدان الشامية لصلاح الدين لكنه لا يفي بعشر الغرض ولا يأتي بشيء من الغرض لولا الهمم العالية والاستعانة بالله .

و جعل صلاح الدين الأيوبي يحث قومه ويبعث فيهم الحماس ويدشد من همهم ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(١) النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين الأيوبي (١٧٨).



قصة الأبراج

كانت عكا من جهة البحر محصنة وكانت تمتلك برجاً ضخماً من جهة البحر بُني هذا البرج فوق صخور بحرية ضخمة جداً وكان مرتفعاً فعجزت القوة الصليبية عن اقتحام كامل من جهة البحر فإذا بالنصارى يعملون ثلاثة أبراج من الخشب عالية جداً وهذه الثلاثة الأبراج ضخمة جداً هي في ارتفاعها أشد من ارتفاع البرج التابع لـ "عكا" الذي هو على الساحل وجعلوا هذه الأبراج على عجل فوق ألواح خشبية يستطيعون أن يديروها كيف شاءوا وجعلوا هذه الأبراج مغطاة بجلود مطلية بجل حتى لا يتمكن المسلمون من إحراقها بشعل نفطية وكان كل برج من هذه الأبراج الثلاثة يسع حدود (٥٠٠) مقاتل وعلى رأس كل برج من هذه الأبراج منجنيق استغرق هذا الإعداد سبعة أشهر وزحفوا بهذه الأبراج في العشرين من ربيع الأول سنة ست وثمانين وخمسمائة نحو برج المسلمين الذي هو مُطل على عكا فأصيب المسلمون بهمّ وغم كبير لا يعلم به إلا الله عز وجل وجعلوا يقذفون هذه الأبراج بكتل نارية ولا تؤثر في تلك الأبراج شيئاً فحزن المسلمون وحملوا همّاً عظيماً ومنهم صلاح الدين الأيوبي فاجتمع بكبار قاداته وجعل يستشيرهم واجتمع بالنفاطين وأعلن عن جوائز ضخمة لمن يستطيع إحراق هذه الأبراج أو إتلافها كلها ولا يدري ماذا يفعل أمام هذه الحيلة الأوروبية الجديدة.



فقال أحد الشباب أمهلوني وسأقوم بإحراقها بإذن الله عز وجل وكانت عنده خبرة فأخذ شيئاً من النفط وخلطه ببعض المواد الكيماوية هذه المواد الكيماوية تقضي على الخل الذي طُليت به الجلود ثم جعل ذلك في قدور ثم قذف بالقدر الأول على البرج الأول فأحرقه فارتفعت صيحات المسلمين بالتكبير والتهليل والفرح وهكذا فعل بالبرج الثاني والثالث ففرح المسلمون وعاد مكر الكافرين إلى بوار ودمّر الله ما صنعوه في سبعة أشهر دمره الله عز وجل في يوم واحد بل في أقل من يوم واحد ^(١) .



(١) الكامل في التاريخ (٨٠/١٠).



النصارى يصنعون آلة كالكبش والمسلمون يقضون عليها

ثم أقدم النصارى على حيلة أخرى فصنعوا شيئاً كالكبش من الحديد وجعلوا ثلاث سفن تتقدم نحو البرج سفينة تحمل هذا الكبش على خشبة وسفينة محملة بالنفط وسفينة محملة بالجيش وقصدهم أن هذا الذي هو كالكبش ينطح في جدار البرج ويستمر في نطحه حتى يضعفه أو يسقطه والسفينة المحملة بالنفط تحاول الإقتراب من سفن الأسطول البحري المصري وتشتعل فتحرق وتُحرق السفن المصرية وأما الجيش الذي في السفينة الثالثة قد أعدت له أشبه ما تكون بالقبة لا تصل إليه السهام ولا النبال ولا الكتل النارية وتقدمت هذه الثلاث السفن الحربية من البرج وشاء الله عز وجل أن تاتي رياح عكسية فلم تشتعل السفن الحربية المصرية وإنما اشتعلت تلك السفينة النصرانية واحترقت بمن فيها وأما السفينة التي فيها ذلك الذي كالكبش الحديدي فيسر الله أحد الأبطال المسلمين فتسلق حتى وصل إليها فأحرقها وحرق من فيها وأما السفينة الثالثة فهجم عليها مجموعة من المقاتلين البحرين المسلمين فانهزم من فيها ^(١) .

وكفى الله المؤمنين شر هذه الحيلة وهذا المكر الكبير ولا يزال المكر والمحاولات من قبل النصارى في محاولة منهم للضغط على المسلمين واقتحام

(١) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (٣٣٤/٢).



المدينة واستمروا حتى حصل لهم بعض ما أرادوا فبدأ الضعف يدب في أوساط المسلمين فشعر أهل الإسلام بالضعف الشديد وأيضاً جيش صلاح الدين قد أنهكته الحروب جداً هذه المدة بكاملها وهم يناوشون ويقاتلون ويهجمون من هذه الجهة ويهجمون من الجهة الأخرى ولكنهم يصطدمون بأمواج بشرية وأعداد هائلة جداً لا تكاد تؤثر فيهم تلكم الهجمات شيئاً.





سقوط عكا

راسل المشطوب حاكم عكا النصارى وعرض عليهم أن يخلي لهم عكا بشرط أن يتركوه يخرج هو ومن معه من المسلمين وعرض عليهم إغراءً كبيراً لكنهم لم يقبلوا ذلك ورغم أنه قال لهم عندي (٥٠٠) أسير نصراني أنا مستعد أدفعهم إليكم وأدفع (٢٠٠٠٠) دينار ذهبي على أن تخلوا المسلمين وتتركونا نخرج من عكا ونسلمكم إياها فقال له القائد البريطاني و القائد الفرنسي: (الآن وقد صارت عكا في متناول أيدينا) فحاول أن يهددهم فقال لهم لن تصلوا إلى واحد منا حتى يقتل منكم خمسين قائداً فلم تؤثر فيهم هذه التهديدات ولكنهم أظهروا شيئاً من المراوغة وبدعوا يرسلون صلاح الدين الأيوبي يفوضونه وبدعوا يظهرون أنهم قد وافقوا على العرض الذي عرضه عليهم بهاء الدين في عكا وهم إنما أرادوا بذلك كسب الوقت ومباغطة المسلمين ثم دخلوا أبواب عكا وما إن دخلوها حتى مالوا على المسلمين فربطوا كل رجل وجدوه ^(١) وكان عدد الذين ربطوهم من المقاتلين المسلمين الذين هم داخل عكا ثلاثة آلاف رجل وقيل ستة آلاف وكان هذا مكر ونقض للعهد ثم راسلوا صلاح الدين الأيوبي وقالوا له: (إن أردت أن نطلق هؤلاء فادفع إلينا (٢٠٠٠٠) دينار ذهبي فوافق صلاح الدين الأيوبي وقال لهم: (اطلقوا المسلمين وندفع اليكم المال).

(١) الكامل في الأثير (٩٧/١٠).



❁ **فقالوا :** لا بل ادفع المال ثم بعد ذلك نطلق لكم المسلمين أي لا قبول لكلامك إلا أن تدفع المال ثم بعد ذلك نطلق من نريد من المسلمين فشعر صلاح الدين أنهم أرادوا أن يجمعوا على المسلمين أكثر من مصيبة أن يستلبوهم الأموال ولن يفوا بشيء من إطلاق أسرى المسلمين وإذا بملك إنجلترا المعروف بـ " قلب الأسد " لعنهم الله حيث كانوا أمر بذبح أسرى المسلمين ، فاقتيد ثلاثة آلاف من الرجال إلى خارج عكا ، ثم أجلسهم على تل خارجها ، وإذا بهذا الخبيث الحاقد الكافر لعنه الله يطلق توجيهاته وأوامره إلى جنوده بذبح الثلاثة الآلاف مسلم فذبحوا ذبح النعاج ^(١) على مرأى ومسمع ممن شهد ذلك من الكفار والمسلمين وصلاح الدين يرقبهم من بُعد ولا يستطيع الوصول إليهم وهو ينادي ويقول : **(اتركوهم ونعطيك المال)** لكن لا فائدة تم تنفيذ الجريمة ووقعت المجزرة العظيمة والمذبحة الفظيعة وقُتل جميع أهل عكا في منظر بشع تشمئز منه القلوب وتتفطر له الأكباد فإنا لله وإنا إليه راجعون . وتضاف هذه المأساة - مأساة عكا - إلى المآسي الدامية الكثيرة والكبيرة التي قام بها الصليبيون ضد الإسلام والمسلمين .

ثم أرسل صلاح الدين رسلاً في الآفاق ينادون في المسلمين بأن هؤلاء النصارى لا ينوون إلا ذبح المسلمين وأن فلسطين ستسقط المدينة تلو الأخرى

(١) الكامل في التاريخ (٩٧/١٠).



إن لم تمدوا يد المساعدة ، ولكنه لم يتلق رداً من أحد ، إلا حاكم التركمان
فإنه وعد بإرسال قوات فإننا لله وإنا إليه راجعون.
أكتفي بهذا القدر والحمد لله رب العالمين .



الحلقة الرابعة عشرة



موت صلاح الدين وذكر الحملة الصليبية الرابعة والخامسة :

الحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

انتهت الحملة الصليبية الثالثة بصلح بين ملوكها وعلى وجه الخصوص بين ملك بريطانيا "ريتشارد" الملقب بـ " **قلب الأسد**" وبين صلاح الدين الأيوبي عليه رحمة الله هذا الصلح أطلق عليه صلح الرملة لأنه وقع في الرملة وكان في شعبان لعام ٥٨٨ من الهجرة النبوية ورد الله الكافرين بغيظهم ووضعت الحرب أوزارها وأراد صلاح الدين الأيوبي أن يتحرك لحج بيت الله الحرام فقد انقطع عن بيت الله الحرام مدة طويلة وهو على صهوة جواده يقارع الكفار وإن كان في خير إلا أنه قد تشوق لحج بيت الله الحرام فعزم على التحرك للحج إلا أنه جاءته رسائل ونصائح من بعض كبار المسلمين بتأخير الحج والإقبال على إصلاح أحوال المسلمين وإصلاح أوضاعهم فقد حصل انشغال كبير عن إصلاح الدولة وأحوال الرعية بسبب الحروب المتواصلة فترك صلاح الدين الأيوبي العزم على الحج وقرر البقاء وبدأ ينظر في أحوال البلاد وما تحتاجه من إصلاح وفي أحوال الرعية وما يحتاجون إليه إلا أن المنية باغتته فلم يطل به العمر بعد الصلح الذي جرى، ذلك أنه خرج بعد منتهى الحج لعام (٥٨٨) من الهجرة خرج هو وأخوه الملك العادل للصيد في بعض مناطق دمشق وتكلم



معه على عزمه على غزو الروم وأنه بعد ذلك سيتحرك إلى أذربيجان وكان ذا
همة عالية في الجهاد وفي إذلال أعداء الله ثم وصله الخبر بأن الحجاج قد
رجعوا فخرج لاستقبالهم وعند رجوعه من استقبالهم أصابته حمى صفراوية
وذلك في ليلة السبت السادس عشر من صفر لعام (٥٨٩) من الهجرة النبوية
واشتدت به الحمى وتزايد به المرض فضعف وانطرح على الفراش وبقي في
مرضه إلى ليلة السابع والعشرين من شهر صفر واشتد به مرضه في تلك الليلة
فاستدعى الشيخ أبا جعفر وطلب منه أن يبيت عنده تلك الليلة ويُسمعه
القرآن فمكث عنده وفي أذان الصبح من صبيحة السابع والعشرين من صفر
٥٨٩ من الهجرة سمع قول الله عز وجل : ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ** ﴾
[التوبة: ١٢٩] من أواخر سورة التوبة فالتفت إلى القارئ وتبسم وتهلل وجهه
وفاضت روحه عليه رحمة الله .

مات عن (٥٧) سنة وحزن عليه المسلمون حزناً عظيماً وبكوا عليه
بكاءً كبيراً ورثوه بالمرثيات العظيمة .

وهكذا ترحل الفارس البطل والعملاق العظيم بعد عمر طويل قضاه في
خدمة الإسلام وفي كسر شوكة النصارى الصليبيين عليه رحمة الله.



ولاشك أن الموت حق لكن موت العظماء محنة ومصيبة عظيمة

إذا مات ذو علم وتقوى	فقد ثلمت من الإسلام ثلثة
وموت الحاكم العدل المولى	بحكم الأرض منقصة ونقمة
وموت العابد القوام ليلاً	يناجي ربه في كل ظلمة
وموت فتى كثير الجود محلّ	فإن بقاءه خصب ونعمة
وموت الفارس الضرغام هدم	فكم شهدت له بالنصر عزيمة
فحسبك خمسة يبكي عليهم	وباقى الناس تخفيف ورحمة
وباقى الناس هم همج رعاع	وفي إيجادهم لله حكمة

توفي هذا البطل العظيم وقد كان ذخراً وحرزاً للإسلام والمسلمين وردّاً لهم من أعداء الله كما ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين منهم الإمام المفسر المؤرخ إسماعيل بن عمر الشهير بابن كثير عليه رحمة الله وقد أثنى عليه ثناءً عظيماً^(١) وذكر من أوصافه الكريمة أنه كان شجاعاً مقداماً وأنه كان رقيق القلب سريع الدمع إذا سمع الآيات تتلى عليه ذرفت عيناه وكان يحب مجالسة العلماء والمذاكرة والمناظرة في الخير وربما قرأ بين الصفيين قبل القتال جزءاً

(١) «البداية والنهاية» (١٦ / ٦٥١ / ٦٥٨ ت التركي) .



من أحاديث النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فافتخر بذلك وقال لم يقرأ أحد جزءاً من أحاديث النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - عند اصطفاف الجيش للقتال غيري.

وكان حسن السيرة جواداً كريماً باذلاً لما يملكه في حاجة المسلمين حتى إنه لما توفي لم يوجد في خزانته شيء كبير سوى قطعة يسيرة من ذهب وبضعة دراهم من الفضة عليه رحمة الله .

مات هذا البطل العظيم الذي حزن لموته كل مسلم وفرح بموته كل كافر ملحد.

مات البطل الذي كان رعباً وكابوساً على اليهود والنصارى حتى إن المرأة في أوروبا كانت إذا أرادت أن تخوف ولدها الصغير تقول له : (جاءك صلاح دين جاءك صلاح دين)!!!

كان صلاح الدين عليه رحمة الله رجل يخافه القريب والبعيد من أعداء الله ويرجوه القريب والبعيد من أولياء الله ولكن هكذا هي الحياة يموت العظماء ويموت القادة ويموت الكبار ويموت الصغار الكل يرحل عن هذه الدنيا .

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].



وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

(٢٧)﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[القصص: ٨٨].^(١)

بعد أن توفي صلاح الدين عليه رحمة الله تولى أمر المسلمين بعده أخوه
واثنان من أبنائه فأما أبنائه فهم علي بن صلاح الدين وهو الملقب بالملك
الأفضل تولى دمشق وبيت المقدس وأما ولده الآخر فهو العزيز وهو عثمان بن
صلاح الدين تولى مصر وأما أخوه فهو الملك العادل وهو عادل كاسمه عابد
عالم تقي ورع -عليه رحمة الله - فإنه تولى الكرك .



(١) انظر عن وفاة صلاح الدين في :

الفتح القسبي (٦٢٧، ٦٢٨)، والنوادر السلطانية (٢٤١)، والكامل (٩٥ - ٩٧)، وتاريخ مختصر الدول
(٢٢٣)، وتاريخ الزمان (٢٢٥، ٢٢٦)، والروضتين (٢ / ٢٤٢)، ووفيات الأعيان (٧ / ١٣٩ - ٢١٨) وسير
أعلام النبلاء (٢١ / ٢٧٨ - ٢٩١ رقم ١٥١)، والإعلام بوفيات الأعلام (٢٤٣)، والعبر (٤ / ٢٧٠)، وتاريخ
ابن الوردي (٢ / ١٠٦، ١٠٧)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤ / ٣٢٥ - ٣٤١)، وأمراء دمشق في
الإسلام (١٠٢ رقم ٣٠٠)، والاجتهاد في طلب الجهاد لابن كثير (٩١)، ومرآة الجنان (٣ / ٤٣٩ - ٤٦٦)،
والبداية والنهاية (١٣ / ٢ - ٦)، وتاريخ ابن خلدون (٥ / ٣٣٠)، ومشارع الأشواق (٢ / ٩٣٤ - ٩٤٩) .
وفي (أعلام/ ١٩٧٦) ترجمة حافلة مهمة .



الحملة الصليبية الرابعة

حصل خلاف بين الأيوبيين بعد وفاة صلاح الدين وحصل ضعف وإذا بنصارى أنطاكية وطرابلس وعكا يرسلون نصارى أوروبا ويستحثونهم لاستخراج حملة صليبية جديدة لاستعادة بيت المقدس فتحرك جيش كبير جداً من ألمانيا وذلك سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (٥٩٣هـ) حتى وصل إلى الشام وحاصر بيروت ثم دخلها بكل سهولة ويسر ولم يجد مقاومة تذكر لما صار إليه أهل الإسلام من ضعف شديد وكاد هذا الجيش الألماني أن يسيطر على فلسطين والأردن ومصر إلا أن الله سبحانه وتعالى صرفه بخلاف جرى بين قادته وبين قادات بعض النصارى في المدن الساحلية الفلسطينية واشتد الخلاف بينهم رحمةً من الله عز وجل بالمسلمين ^(١) الذين دب فيهم الخلاف والضعف بعد صلاح الدين فلما اشتد الخلاف بين قادة الجيش الألماني الغازي وبين قادة النصارى في الشام قرر الجيش الألماني الرجوع من حيث أتى بعد أن جعل على بيروت حاكماً صليبياً يُقال له " **أيموري** " ثم رجع هذا الجيش الغازي إلى أوروبا كانت هذه قصة الحملة الصليبية الرابعة التي كفى الله المؤمنين شرها وعادت خائبة إلى ديارها وبقي الملوك الأيوبيون في شد وجزر وتناحر هذا يهجم على هذا وهذا يريد الفتك بهذا وأصاب المسلمين بلاء

(١) البداية والنهاية (١٧٧/١٦) تحقيق التركي.



بسبب ذلك وضعف وكان أعقل هؤلاء الملك العادل عليه رحمة الله فإنه كان يحاول أن يلم الشمل ويربأ الصدع وكان ينصح لهؤلاء ولهؤلاء ولكن الأمر لله من قبل ومن بعد ثم آلت أكثر البلدان إلى حكم الملك العادل ^(١) أبي بكر أحمد بن أيوب، أخي صلاح الدين الأيوبي واستتب له الأمر في مصر والشام وفي كثير من البلدان فحصل بذلك خير عظيم إلا أنه لم ينعم بهذا الأمر ويركن إليه بل استمر على صهوة جواده ينازل النصارى الصليبيين في كل موقعة قدر عليها في تلك المدة .

(١) قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : «وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي مِنْ خِيارِ الْمُلُوكِ وَأَجْوَدَهُمْ سِيرَةً، وَأَحْسَنَهُمْ سَرِيرَةً، دَيِّناً عَاقِلاً صَبُوراً وَقَوَّراً، أَبْطَلَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْحُمُورَ وَالْمَعَارِيفَ مِنْ مَمَالِكِهِ كُلِّهَا، وَقَدْ كَانَتْ مُمْتَدَّةً مِنْ أَقْصَى بِلَادِ مِصْرَ وَالْيَمَنِ وَالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ إِلَى هَمْدَانَ كُلِّهَا، أَخَذَهَا بَعْدَ أَخِيهِ صَلاحِ الدِّينِ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَسَوَى حَلَبَ، فَإِنَّهُ أَقْرَبَهَا بِيَدِ ابْنِ أَخِيهِ الظَّاهِرِ غَازِيٍّ ؛ لِأَنَّهُ زَوْجُ ابْنَتِهِ صَفِيَّةِ السَّتِّ خَاتُونٍ. وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ حَلِيمًا صَفُوحًا، صَبُوراً عَلَى الْأَذَى، كَثِيرَ الْجَهَادِ بِنَفْسِهِ، وَحَصَرَ مَعَ أَخِيهِ مَوَاقِفَهُ كُلِّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا، وَلَهُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ. وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَاسِكَ الْيَدِ، وَقَدْ أَنْفَقَ فِي عَامِ الْعِلَاءِ بِمِصْرَ أَمْوَالاً عَظِيمَةً جِدًّا، وَتَصَدَّقَ عَلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ مِنْ أُنْبَاءِ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا، ثُمَّ فِي الْعَامِ بَعْدَهُ فِي الْفَنَاءِ كَفَنَ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفِ إِنْسَانٍ مِنَ الْغُرَبَاءِ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ فِي أَيَّامِ مَرَضِهِ، حَتَّى كَانَ يَجْلُعُ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ وَيَتَصَدَّقُ بِهِ وَبِمَرْكُوبِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَكْلِ، مُتَمَتِّعًا بِصِحَّتِهِ وَعَافِيَّتِهِ مَعَ كَثْرَةِ صِيَامِهِ، يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَكْلَاتٍ جَيِّدَةً، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا يَأْكُلُ وَقَتَ النَّوْمِ رَطْلًا بِالدِّمَشْقِيِّ مِنَ الْحُلُوى السُّكَّرِيَّةِ الْيَابِسَةِ، وَكَانَ يَعْتَرِيهِ مَرَضٌ فِي أَنْفِهِ فِي زَمَنِ الْوَرْدِ، وَكَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِقَامَةِ بِدِمَشْقَ حَتَّى يَقْرُعَ زَمَنُ الْوَرْدِ، فَكَانَ يُضْرَبُ لَهُ الْوِطَاقُ بِمَرْجِ الصُّفْرِ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْبَلَدَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَتُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ ثَمَنِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ جَمَاعَةٌ؛ مُحَمَّدٌ الْكَامِلُ صَاحِبُ مِصْرَ وَضَمَّ إِلَيْهِ الْقُدْسَ ، وَعِيسَى الْمُعَظَّمُ صَاحِبُ دِمَشْقَ، وَمُوسَى الْأَشْرَفُ حَاكِمُ الْجَزِيرَةِ وَخِلَاطَ وَحَرَانَ وَالْأُرْدُنَ وَضَمَّ إِلَيْهِ دِمَشْقَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَالْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ ، وَالْأَوْحَدُ أَيُّوبُ وَمَاتَ قَبْلَهُ ... ». «البداية والنهاية» (١٧/ ٧٢ ت التركي) .



الحملة الصليبية الخامسة

وفي عام (٦١٥) من الهجرة النبوية كان تحريك الحملة الصليبية الخامسة وذلك أن بابا النصارى في أوروبا (**أنوسنت**) استغل أحوال المسلمين فأراد أن يسترد القدس فجهز جيشاً ضخماً وحملة صليبية كبيرة وجعل على قيادتها رجل نصراني يُقال له "**جونديبرين**" تحرك هذا الرجل النصراني بالحملة الصليبية الخامسة هذه والتي كانت بتاريخ (٦١٥) للهجرة إلا أنهم قرروا أن يبدأوا بمصر قبل فلسطين فتحركوا حتى وصلوا إلى مشارف دمياط وسيطروا على السلسلة التي في ذلك الموضع والتي هي لمصر بمثابة القفل وكان من سيطر عليها كأنما سيطر على مصر بكاملها فوصل الخبر إلى الملك العادل وكان في مواجهة مع بعض نصارى الشام فلما وصله خبر وصول الحملة الصليبية وسيطرتها على تلك السلسلة التي هي على مدخل مصر حزن حزناً شديداً وضرب بيده على صدره ثم مرض وتتابع به مرضه وأرسل إلى ولده الكامل الذي كان نائباً عنه على مصر أرسل إليه بأمره بالتحرك إلى دمياط ثم مات رحمه الله تعالى .

وتولى الأمر في مصر من بعده ولده الكامل وولده الأشرف كان على بعض مناطق الشام وهكذا ولده الثالث المعظم .



لكن حديثنا الآن عن مصر والذي تولى فيها الأمر بعد الخليفة العادل ولده الملك الكامل.

هذا الملك الكامل كان قد جاءه توجييه من أبيه قبل موته بالتحرك إلى دمياط ومنازلة النصارى هناك فكان هناك في دمياط بين كروفر مع النصارى ووقعت مواجهات كثيرة متعددة بين الجيش المصري بقياده الملك الكامل وبين النصارى وهم محيطون ومحاصرون لدمياط حصاراً شديداً.





سقوط دمياط

و شاء الله عز وجل أن يصل خبر إلى الملك الكامل مفاده أن هناك مؤامرة عليه لسحب الملك منه وتولية غيره فتحرك من دمياط تحركاً سريعاً جهة القاهرة ولم يدر المسلمون ما الذي جرى فتخوف المسلمون وظنوا أن أمراً عظيماً قد حصل فتحرك كثير منهم بعده إلى القاهرة^(١) وفي تلك اللحظات استغل النصارى الضعف الحاصل في دمياط فاقتحموها بعد حصار دام سبعة عشر شهراً وكان قد أصيب أهل دمياط بمجاعة شديدة وارتفعت الأسعار في دمياط إلى حد كبير حتى بيعت البيضة بدينار ذهب وذلك من شدة الجوع بسبب الحصار الذي نزل بهم من قبل أولئك الكفار الصليبيين قاتلهم الله أنى يؤفكون .

بعد أن تحرك الملك العادل إلى القاهرة سهل على النصارى اقتحام دمياط وسيطروا على معسكرات المسلمين وعلى أسلحتهم وأمتعتهم فكان مغنماً كبيراً بالنسبة للنصارى وقتلوا وأهانوا المسلمين إهانة شديدة في دمياط^(٢) ثم عزموا على التحرك إلى القاهرة لإسقاطها وللقضاء على مصر عموماً ثم يكون بعد ذلك التحرك إلى فلسطين والسيطرة على بيت المقدس شعر الملك الكامل بالخطر العظيم فجعل يرسل الملوك والزعماء وكان كثير من ملوك أهل الإسلام

(١) البداية والنهاية (٧٣/١٧) تحقيق التركي.

(٢) البداية والنهاية (٧٣/١٧) تحقيق التركي.



قد جاءهم ما يشغلهم وذلك أنه في هذه المدة ظهر المغول التتر وهددوا البلدان الإسلامية وسيطروا على كثير من البلدان في الشرق ووصلوا إلى مشارف العراق وجعلوا يهددون الخلافة العباسية في بغداد فانشغل جزء كبير من المسلمين بالمصيبة التي جاءت من جهة الشرق وهي مصيبة المسلمين بالتتار وأما أهل الشام فهم في ضعف وفي تقاتل فيما بينهم ومع ذلك لما جاءتهم الرسائل من الملك الكامل وطلب النجدة تحركت بعض الجيوش الصغيرة لنجدة أهل مصر ورد الحملة الصليبية إلا أنها لم تف بالغرض فالجيوش الصليبية كانت أعداد كبيرة وأيضاً عندهم من الاستعداد والإمداد شيء كبير.

تحرك الجيش الصليبي باتجاه القاهرة وأراد السيطرة عليها وشعر الملك الكامل بالضعف فبدأ يفاوضهم وعرض عليهم أمراً كبيراً هذا العرض هو: أن الملك الكامل طلب منهم أن يكفوا عن الهجوم على مصر وهو سيتنازل لهم عن المدن الساحلية الشامية وعن كل موقع سيطر عليه صلاح الدين في الشام وأنه سيقوم بتسليم بيت المقدس بدون أي شيء!! كان هذا العرض مغرياً إلا أن النصارى في الغالب لا يقطعون أمراً حتى يرجعوا فيه إلى صاحب التوجيه الديني وهو البابا زعيم الكنيسة الكاثوليكية فراسلوه وعرضوا عليه الأمر وكان قد أصيب هذا البابا بنشوة كبيرة وغرور كبير وظن أن مصر والشام صارت في ملكه وفي قبضته فقال لهم: (لا تقبلوا هذا العرض واستمروا في مداومة مصر



فإن مصر قد صارت ضعيفة وقريبة السقوط وهي في متناول اليد وفلسطين بعدها فلا تقبلوا هذا العرض من ملك المسلمين الملك الكامل).

وهذا لشيء أراد الله سبحانه وتعالى فرفض النصارى هذا العرض واستمروا في التوجه جهة القاهرة مما جعل المصريين يفكرون في أمور يعيقون بها هذا الجيش الغازي فقاموا بكسر القناطر التي تحبس مياه النيل فتفجرت المياه حول دمياط وتلك الجهات فعادت تحرك الجيش الصليبي إعاقةً كبيرة وبقيت المناوشات والمواجهات وعجز الجيش الصليبي عن السيطرة على القاهرة والوصول إليها وطالت المدة ووصلت إلى ثلاث سنوات من عام (٦١٥) للهجرة إلى عام (٦١٨) للهجرة وهم لا يزالون في مصر ما بين دمياط والقاهرة حينئذ قرروا الرجوع إلى دمياط والتمركز فيها لكنهم تفاجئوا بكماثن ومواجهات وحرب أشبه ما تكون بحرب العصابات من قبل كثير من المسلمين فما كان منهم إلا أن قرروا الانسحاب فانسحبوا انسحاباً كلياً من مصر وبدون أي مقابل وبدون أي تعويض وكان هذا من تفريغ الله عز وجل للمسلمين ولعباده الصالحين هذا ما يتعلق بهذه الأحداث ما بين سنة ٨٩ هـ من الهجرة إلى ٦١٨ هـ من الهجرة النبوية.

ويأتي إن شاء الله الكلام على بقية الأحداث والحمد لله .



الحلقة الخامسة عشرة



الحملة الصليبية السادسة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لاني بعدة نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

في هذا اليوم يوم الجمعة السادس عشر من شهر رمضان لعام ١٤٤٤ للهجرة النبوية نواصل في دروسنا وسلسلتنا " تحفة الأخيار بذكر أهم معارك المسلمين مع عباد الصليب الأشرار " وهذه هي الحلقة الخامسة عشرة وقد تكلمنا في الحلقة الماضية عن الحملة الصليبية الخامسة والتي كان انطلاقها إلى مصر واستمرت ثلاث سنوات وانتهت بالفشل الذريع رغم كل التضحيات التي حصلت من قادة الحملة ومن بابوات النصارى في أوروبا والفضل في هذا لله سبحانه وتعالى ثم لرجال بذلوا جهداً كبيراً وفي مقدمتهم الملك الكامل محمد بن الملك العادل محمد ابن أيوب الأيوبي عليه رحمة الله .

انتهت الحملة الخامسة واتجه قائدها "جندبيرين" ويقال "جان دو برين" اتجه إلى الممالك النصرانية في الشام وأعلن نفسه ملكاً عليها وعلى نصارى الشام واستمر إلى أن توفي عام ٦٢٤ من الهجرة النبوية لعنه الله ولعن الله الكافرين أجمعين وخلفته على ملك النصارى في الشام ابنته "إيزابيلا" هذا فيما يتعلق بقائد الحملة الصليبية الخامسة.

أما الحملة الصليبية السادسة سأحدث عنها هنا بما يسر الله.



وبدايتها:

حصل خلاف بين الملك الكامل ملك مصر وبين إخوانه المعظم والأشرف ملكي الشام والأردن واشتد الخلاف بينهم فخشي الملك الكامل ملك مصر على سلطانه فأقدم على أمر عظيم وخطأ جسيم وهو أنه تواصل مع ملك ألمانيا (**فردريك الثاني**) وطلب منه النجدة بأن يمدّه بجيش ووعدّه على أن يسلم له القدس كان هذا عرضاً مغرياً بالنسبة لأوروبا بكاملها فتحرك ملك ألمانيا بمجموعة من جيشه وأبحر من جنوبي إيطاليا فلما كان في الطريق كسل فقرّر الرجوع إلى دولته متظاهراً بالمرض فلما رجع غضب عليه بابا النصارى قائد الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا وتحديداً في روما فأصدر قراراً بحرمانه من اللجنة فصار يسمى طريد الكنيسة فعُرف بهذا وهذا شكّل ضغطاً نفسياً على ملك ألمانيا الثاني إضافة إلى ذلك أنه حينما مات "**جون ديبيرين**" وخلفته ابنته طمع هذا الألماني بالزواج من هذه النصرانية التي في الشام فراسلها على أن يتزوج بها فوافقت فاجتمعت أسباب ودوافع عند هذا الملك الألماني ليقود حملة صليبية على الشام من جديد.

الدافع الأول: أراد أن يتخلص من غضب الكنيسة وغضب البابا ويمسح عن نفسه عار الخذلان الذي حصل منه .

الدافع الثاني: أراد أن يتزوج بهذه المرأة فأعد جيشاً يسيراً جداً لا يزيد عن (٥٠٠) مقاتل هذا هو عدد أفراد الحملة الصليبية السادسة (٥٠٠)



مقاتل وبعض المؤرخين قال ٦٠٠ مقاتل وهذا أكبر عدد ذكره بعضهم يعني ٥٠٠ أو ٦٠٠ مقاتل عدد يسير وأسطول هزيل تحرك به هذا القائد الألماني حتى وصل إلى الشام إلى عكا وتزوج بهذه المرأة النصرانية وأطلق على نفسه لقب " **ملك القدس المرتقب** " يحدث نفسه بأخذ القدس من أيدي المسلمين .

وبدأ يرسل الملك الكامل ملك مصر الذي كان قد تغلب على أخيه في الشام وسيطر على القدس فصارت تابعه لحكم الملك الكامل ملك مصر فإذا بهذا الملك الألماني يتفاوض معه وشعر الملك الكامل بالضعف وأنه لا يستطيع أن يواجه النصارى ولا سيما إذا تجمع إلى جانب هذا الرجل نصارى الشام إضافة إلى الضعف النفسي الذي حصل لبعض المسلمين في هذه المدة كانت هذه المسببات وإن كانت لا تقوى على تسويغ الموقف الذي أقدم عليه الملك الكامل لكن حصل ذلك الأمر كما قدر الله وشاء فتنازل الملك الكامل لهذا النصراني الصليبي " **فردريك بربروس أمبراطور الدولة الغربية** " تنازل له عن القدس وتنازل له عن بيت لحم واللد وبعض المناطق أو بعض البلدان الفلسطينية واستلمها بدون عناء فدخل هذا النصراني القدس وجعل نصارى القدس يرمونه بالقاذورات لأنه في نظرهم طريد الكنيسة والبابا غير راضي عنه وقد منعه وحرمه من الجنة فكان يلتفت إليهم ويقول لهم : (أنا استرددت لكم القدس وجعلتها تحت سيطرتكم رغم عجز الحملات الصليبية الأولى بكاملها) فلم يشفع له ذلك عند نصارى القدس حتى جاء صك الغفران من



بابا الكنيسة الكاثوليكية فغفر له وعفى عنه ما حصل منه من ذنب سابق وهذه تعتبر مأساة في تاريخ الإسلام والمسلمين أن يأتي قائد صليبي بعدد يسير جداً ويستلم القدس بما في ذلك المسجد الأقصى ويستلم أيضاً بلدان أخرى من الشام بدون أدنى قتال أو دون أدنى تعب لقد حقق هذا الملك الألماني — (٥٠٠) جندي ما لم يحققه الملك البريطاني " ريتشارد الملقب بقلب الأسد " بقوه تصل إلى (٥٠٠٠٠) مقاتل لكن ذاك كان أيام صلاح الدين وما أدراك ما صلاح الدين؟ أما بعده فقد حصل الضعف إلى حد كبير فها هو الملك الكامل رغم ما كان فيه من الخير ورغم أنه قد أثنى عليه العلماء ثناءً كبيراً لكن وقع منه هذا الخطأ وحصلت منه هذه الزلة والتي ليست باليسيرة وعقد هدنة بينه وبين زعيم النصارى هذا المسمى " فردريك الثاني " على أن يوقف الحرب بين المسلمين والنصارى عشر سنوات ويستلم النصارى القدس ويستلمون بعض البلدان الشامية التي سبق ذكرها قبل وبشرط ألا يحدث النصارى بناية أي قلعة من القلاع في بيت المقدس وإنما تبقى مدينة مفتوحة يأتيها المتدينون من النصارى والمسلمين ويغلب عليها الطابع الديني ولا يحصل لها شيء من التحصين أو القلاع لكن النصارى لم يوفوا بهذا الشرط لاسيما لما اشتد الضعف في الأيوبيين وحصل التنازع بين الملوك والأمراء الأيوبيين فطمع النصارى بأمور كثيرة ونقضوا العهد وبنوا قلعة كبيرة في بيت المقدس سموها قلعة " برج داوود " وكان هذا منهم نقضاً للعهد ولم يحرك المسلمون ساكناً .



توفي الملك الكامل عام (٦٣٥) للهجرة واستمرت القدس تحت النصارى من عام (٦٢٧) للهجرة إلى عام (٦٣٧) أي عشر سنوات كاملة وهي تحت الحكم الصليبي بعد أن كان قد حررها القائد البطل العظيم صلاح الدين الأيوبي .

وبعد انتهاء مدة الصلح وبعد نقض النصارى للعهد وبنائهم لقلعة برج داود قام الملك الناصر داود بن المعظم ابن الملك العادل فاستعان بالخوازميين وجهاز جيشاً يصل إلى ١٠,٠٠٠ مقاتل ثم اتجه بهم إلى بيت المقدس فحاصرها واستردها من أيدي الصليبيين بعد أن بقيت في أيديهم عشر سنين وعادت بيت المقدس بما فيها المسجد الأقصى إلى سيطرة المسلمين وذلك عام ٦٣٧ من الهجرة النبوية.

فهل بقيت تحت سيطرة المسلمين أم رجعت إلى النصارى وإلى قبضة الصليبيين مرة أخرى ؟ .

لم تبق القدس طويلاً في أيدي المسلمين فبسبب الضعف والخلاف الذي حصل بين المسلمين بين مدة وأخرى فقد حصل خلاف بين الملك الصالح نجم الدين أيوب وهو ابن الملك الكامل وبين عمه الملك الصالح إسماعيل وبين ابن عمه الملك الناصر داود فلما حصل هذا الخلاف بين الملك نجم الدين الذي كان يسيطر على مصر وبين هذين المذكورين الذين كانا يسيطران على



الشام خشي هذان من نجم الدين فاستعانا بالنصارى على الملك نجم الدين أيوب الذي في مصر!!

وهنا تعود المأساة فيشترط النصارى على هذين الرجلين شرطاً وهو: (إذا أردتما أن نجهز جيوشنا تقاتل معكما وتحت أمركما فلا بد أن تسلما لنا القدس ووافق هذان الملكان - للأسف الشديد - على تسليم القدس) وعادت القدس إلى النصارى في نفس العام الذي تم تحريرها من أيديهم وعلى يد نفس الرجل إضافة إلى رجل آخر وهو الملك الصالح إسماعيل وهو الذي تولى كبر القضية بل الجريمة وهي تسليم القدس للنصارى وحزن المسلمون حزناً شديداً ومقتوا هذا الفعل لا سيما حينما دخل النصارى بيت المقدس واحتفلوا وابتهجوا بهذا الانتصار وشربوا الخمر ^(١) فاستاء المسلمون استياءً كبيراً من هذه الفعلة وكان من أعظم من وقف في وجه الملك الصالح إسماعيل العز ابن عبد السلام فقيه تلك المدة وشيخ تلك البلدة فقام وخطب في مسجد دمشق وتكلم بشدة على تصرفات الملك الصالح إسماعيل فألقى عليه القبض ثم تعرض هذا الملك لانتقادات شديدة وكادت أن تحصل فتنة عظيمة فأفرج عن العز بن عبد السلام ونفاه من دمشق فتحرك إلى مصر إلى الملك نجم الدين أيوب ^(٢) وحرّضه على الشام وأخبره بأن أهل الشام من أهل الإسلام في خطر

(١) الأنس الجليل (٦/٢).

(٢) البداية والنهاية (٢٥١/١٧) تحقيق التركي.



فجهز نجم الدين أيوب جيشه المصري وتحرك نحو الشام واستعد الملك الصالح
إسماعيل والملك الناصر داود لمواجهة ومعهما جيش كبير من النصارى !!
سبحان الله !! كيف تحولت المعركة من حرب ضد النصارى إلى حرب مع
النصارى ضد المسلمين !!





معركة حطين الثانية

استعد هذان الملكان لمواجهة الملك نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل الذي تولى الملك في مصر والتقى الجيشان الجيش الشامي بما فيه من أعداد كبيرة من النصارى والجيش المصري وكان الجيش المصري أقل بكثير من هذا الجيش الشامي ولكن شاء الله أن يحصل في بداية المعركة أمر لم يكن بالحسبان انقلبت بسببه الموازين وتغيرت الأمور ولهذا صار كثير من المؤرخين يطلقون على هذه المعركة "معركة حطين الثانية".

فما الذي حصل فجأة؟

الذي حصل فجأة هو أنه حينما تقارب الجيشان وكادت أن تقع المعركة بين الجيش المصري والجيش الشامي أعلن كثير من أفراد الجيش الشامي عصيان أوامر قيادته والانشقاق عن الجيش الشامي والانضمام إلى الجيش المصري وكان هذا التصرف تصرف موفق من هؤلاء الجنود ، إذ كيف يقاتلون مع النصارى إخوانهم المسلمين ؟ ! كيف يتحدثون مع أعدائهم النصارى الكفار لقتال إخوانهم المسلمين لقتال لجيش المصري الذي كان كثيراً ما يتحرك من مصر لإنقاذ إخوانه في الشام كيف تنقلب هذه الأمور بهذه الصورة المرفوضة شرعاً وعقلاً ؟!

لقد حصل ذلك بسبب الخلافات والنزاعات التي تحصل بين المسلمين بين مدة وأخرى فيتسلق على أكتافهم أعدائهم من يهود ونصارى .



حينما انضم كثير من أفراد الجيش الشامي إلى الجيش المصري ارتفعت معنويات الجيش المصري وهبطت معنويات الجيش الشامي ودارت المعركة فكانت دائرة السوء على النصارى ومن قاتل تحت رايتهم فُقتل من النصارى في تلك المعركة (٣٠٠،٣٠٠) ألفا وفرّ كثير منهم وأسر كثير منهم^(١).

القتلى فقط حدود (٣٠٠،٣٠٠) قتيل من نصارى الشام وانتصر الملك الصالح نجم الدين أيوب انتصاراً عظيماً ثم تحرك بجيشه فحاصر كثيراً من البلدان الشامية وسيطر عليها ثم تحرك إلى القدس فحاصرها وبعد حصار ليس بالكبير أعلن النصارى استسلامهم وفتحوا أبواب بيت المقدس فدخلها الملك الصالح نجم الدين أيوب^(٢) وأسر فيها (٦٠٠٠) صليبي أسرهم المسلمون ثم توسط الملك الناصر داود بفكهم ففكوا وأطلق سراحهم ثم لحق بهم الخوارزميون قبل أن يصلوا إلى عكا فقتلوا منهم (٥٧٠٠) جندي وفرّ الباقيون وهم (٣٠٠) فكان ذلك نصراً مؤزراً للإسلام والمسلمين .

ومن تلك المدة والقدس بما فيها المسجد الأقصى تحت سيطرة المسلمين واستمرت كذلك سبعة قرون حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري وبداية القرن العشرين للميلاد وتحديداً عام (١٩١٧) م بعد الحرب العالمية الأولى حينما دخل الإنجليز البريطانيون فلسطين ثم خلفهم بعد ذلك اليهود

(١) البداية والنهاية (٢٧٣/١٧) تحقيق التركي، وخطط الشام (٩٨/٢).

(٢) الأنس الجليل (٧/٢).



الصهاينة المجرمون الذين عاثوا فساداً في الشام في فلسطين وسوريا ولبنان ولم يقتصر فسادهم على فلسطين و سوريا ولبنان بل تعدى إلى الأردن ومصر فحصلت كثير من المواجهات وذبح لكثير من الأسرى المصريين لا سيما بعد تلك المأساة التي أطلق عليها كثير من المؤرخين العصريين " **النكسة** " والتي لعلنا نأتي على بعض تفاصيلها فيما بعد واستمرت القدس في يد اليهود إلى يومنا هذا.

ونحن في هذه الأيام نتحدث عن القدس وعن المراحل التاريخية التي مر بها المسجد الأقصى و اليهود إخوان الحنازير والقرود المجرمون في هذه الأيام يعيشون فساداً في الأقصى فيقتلون الرجال والنساء والأطفال ويهتكون الأعراض ويأسرون ويسجنون ويدمرون ويحرقون المزارع ويفعلون الأفاعيل البشعة على مرأى ومسمع من العالم والمنظمات الحقوقية لا تحرك ساكناً ولا تتكلم أما إذا جرى أدنى شيء من بعض المسلمين ضد اليهود إذا بهذه المنظمات الفاجرة الجائرة ترتفع أصواتها وأصوات أبواقها وتحدث عن ذلك على مستوى العالم مع المبالغة والتضخيم والتهويل والتفخيم بل إن هذه المنظمات تئن وتبكي حتى على الحيوانات فيما تزعم ولا ترضى أن يتعرض كلب أو خنزير للأذية فحينما أطلقت روسيا أول قمر فضائي جعلت على هذا القمر الفضائي كلبة من باب التجربة وكان اسم تلك الكلبة " **لايكا** " حينئذ خرج المتظاهرون البريطانيون وخرج معهم وزراء وجعلوا يتباكون على الكلبة



لايكا لماذا تتعرض للظلم ويُطلق بها إلى الهواء وإلى الغلاف الخارجي الجوي ؟
أين العدل ؟ أين الرحمة ؟ أين حقوق الحيوان ؟

هذه الأفواه القذرة والأفواه النجسة المنافقة تصمت ولا يُسمع لها كلام
حينما تحصل المعارك الدامية والمجازر المؤلمة والبطش الشديد ضد المسلمين
من قِبَل إخوان القردة والخنازير اليهود في فلسطين فلا يحرك أحد منهم ساكنا
وليس هذا بغريب ولا بعجيب فالكفر ملة واحدة لكن المؤسف والمؤلم أن
يحصل صمت وسكوت من قبل كثير من المسلمين ومن قبل كثير من حكام
المسلمين ألا من رحم الله.

اليهود يذبحون المسلمين ويهتكون أعراض المسلمين ويدمرون البيوت
ويحرقون المزارع ويبنون المستوطنات ويدهمون النساء إلى بيوتهن وكثير منا
يفتح أرض دولته وحدوده الجوية والبحرية لهؤلاء الملاحين الخبثاء الكفار !!

ووقع كثير منهم في التطبيع مع اليهود الذين يفعلون بالمسلمين كل هذه
الأفاعيل وكثير من الدول الإسلامية تعلن اليوم عن استعدادها لفتح مكتب
سفارة لدولة اليهود في أرضها !!

هذا يدل دلالة واضحة على أن أهل الإسلام وصلوا إلى مرحلة من الضعف
ليس لها نظير ومع ذلك فالأمل بالله كبير ولا مجال لليأس فإن الله سبحانه



وتعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) ﴾ . [هود: ٤٩] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾ . [النور: ٥٥] .

في هذه الظروف الصعبة والأوقات الحرجة تتفطر أكبادنا لما نراه من بطش من قبل أعدائنا من اليهود على إخواننا المسلمين في فلسطين ولا يسعنا إلا أن ندعو الله عز وجل وبهذا نوصي إخواننا ومعاشر السامعين أجمعين أن يكثرُوا من الضراعة واللجوء إلى الله ولا سيما في هذا الشهر الكريم أن يدفع عن المسلمين الكربة وأن يفرج عنهم وأن يكتب أعدائهم وأن يمكن للمسلمين إنه على كل شيء قدير والحمد لله .



الحلقة السادسة عشرة



الحملة الصليبية السابعة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
أما بعد:

فهذه هي الحلقة السادسة عشرة من **(تحفة الأخيار بذكر أهم معارك المسلمين مع عباد الصليب الأشرار)**، وسأتكلم فيها - إن شاء الله تعالى - عن حملة هي من أشهر إن لم تكن أشهر الحملات الصليبية وهي الحملة الصليبية السابعة التي كانت في سنة سبع وأربعين وستمائة (٦٤٧) هـ / الخامس والعشرين من أغسطس لعام (١٢٤٩) للميلاد.

هذه الحملة الصليبية لها شهرة كبيرة ولها ذكر كثير في كتب التواريخ العربية والأجنبية وكان لها مقدمات .

❖ من هذه المقدمات :

- أن بطريق القدس أرسل وفداً إلى بابا الكنيسة الكاثوليكية **(أنوشنت)** يقص عليه ما حصل لنصارى الشام ويطلب منه أن يعد حملة لتحرير بيت المقدس. ومعلوم أن بيت المقدس استردها المسلمون مؤخراً بقيادة الملك الصالح نجم الدين أيوب كما ذكرنا ذلك في الحلقة السابقة فكانت آخر



مراحلها أنها آلت في تلك المدة إلى المسلمين واستمرت على تلك الحال إلى بداية القرن العشرين .

بعد استردادها من أيدي الصليبيين بقيادة الملك الصالح نجم الدين أيوب بعد ذلك بمدة أرسل ذلك البطريق النصراني من الشام وفداً إلى بابا الكنيسة الكاثوليكية يستنصره ويطلب منه الوقوف إلى جانب نصارى الشام ويشكو إليه أموراً غير حقيقية أنهم يعانون من بطش المسلمين وأنهم يتعرضون لإذلال ومهانة إلى غير ذلك من الكذب الذي هو بضاعة المجرمين والكافرين .

- فلما وصل الوفد إلى بابا الكنيسة الكاثوليكية عقد مجمعاً أو مؤتمراً كبيراً حضره كثير من نصارى أوروبا وكان من المتحمسين لهذا الأمر جداً رئيس فرنسا (**لويس التاسع**) (**St. Louis**) ^(١) هذا الرجل الحقود على الإسلام والمسلمين كأجداده وأحفاده إلى يومنا هذا .

كان يُطلق عليه " **الملك التقي** " ريد افرنس ^(٢)

(١) لويس التاسع ملك فرنسا من سنة ١٢٢٦م-١٢٧٠م قاد الحملة الصليبية السابعة عام ١٢٤٩م، التي توجهت إلى مصر والتي باءت بالفشل، وأُسر فيها لويس، وسُجن في المنصورة بمصر، وأُطلق سراحه بفضية كبيرة، ثم قاد في آخر حكمه حملة أخرى سنة ١٢٧٠م، توجهت إلى تونس حيث فشلت أيضاً ومات فيها لويس.

انظر: أوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، (٢٦٠/١-٢٦٥)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط السادسة، ١٩٧٥م .

(٢) يقول المقرئى: لقب بلغة الفرنج معناه ملك افرنس، السلوك (ج ١ ص ٣٣٣).



وهو والله شقي بن شقي كافر بالله رب العالمين لكن لشدة تدينه على الطريقة النصرانية أُعطي هذا اللقب " الملك التقي " وعدّوه قديساً أو قسيساً فحضر هذا المجمع وكان القرار بالإجماع أنه لا بد من إعداد حملة صليبية كبيرة تقوم بتأديب المسلمين في الشرق وتقوم بتحرير بيت المقدس من أيدي المسلمين وفرضت الكنيسة ضرائب كبيرة على رجال وأهالي تلك البلدان الأوروبية استعداداً لهذه الحملة .

- ويرى هذا الرجل " **لويس التاسع** " رؤيا في منامه! رأى رجلاً عربياً يضرب رجلاً نصرانياً فأول الرؤيا : بأن نصارى الشام يتعرضون لاضطهاد كبير من قبل المسلمين .

- وأيضاً مرض مرضاً شديداً فنذر إن عافاه الله أنه سيقود حملة صليبية يُحمل فيها الصليب بين يديه فيصل إلى بلاد الشرق وإلى بلاد المسلمين في مصر والشام وينتزع بيت المقدس من أيديهم كل هذه كانت مقدمات لهذه الحملة الصليبية المعروفة بالسابعة ثم أُعلنت التعبئة العامة في فرنسا وتحمّس كثير من رجال تلك البلاد حتى استعد للخروج في هذه الحملة إلى جانب ملك فرنسا ثلاثة من إخوانه ^(١)

(١) هم: روبرت كونت أرتوا Count Of Artois Ropert . الذى قتل بالمنصورة، ألفونسو كونت بواتو Alphonse Of Poitou وشارل كونت أنجو، Charles of Anjou وقد أسر المسلمون الثانى والثالث، ثم أبقوا الثانى فى الأسر حتى تدفع الفدية.
انظر رنسيما: تاريخ الحروب الصليبية (ج ٣ ص ٤٤٣ - ٤٥٣ - ٤٦٠ - ٤٦٦ - ٤٧١) .



وجعل ملك فرنسا المُلْك إلى أمه وأخذ على القادة في تلك البلاد العهود على السمع والطاعة لأمه حتى يرجع من حملته ثم بدأ يستعد للخروج وبدأت الكتائب تتهاى ثم تحرك هو وكتائبه إلى البابا " **اونسينت** " بابا الكنيسة الكاثوليكية فودعوه وبارك لهم سفرتهم ثم ركبوا سفناً من ميناء " **مرسيليا** " باتجاه قبرص^(١)

ووصلوا إلى جزيرة قبرص فعسكروا في تلك الجزيرة وبدأوا ينتظرون بقية الإمدادات وبقية الكتائب التي لا تزال في استعداد وتجهز لأجل الانطلاق في هذه الحملة والمشاركة فيها فعسكر " **لويس التاسع** " في جزيرة قبرص وكانوا قد صحبوا معهم مؤرخ الرحلة " **جوانفيل** " وكانت مدة البقاء في قبرص ثمانية أشهر ووصل الخبر إلى المسلمين بأن نصارى أوروبا قد تحركوا بحملة صليبية كبيرة يريدون مصر والشام وكان ملك مصر في تلك المدة هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل محمد بن نجم الدين أيوب بن شادي بن أيوب المعروف بـ " نجم الدين أيوب الأيوبي " هذا الملك كان ملكاً مهيباً غيوراً على الإسلام وعلى بلاد المسلمين وقد مر بنا شيء من ذكره في الحلقة الماضية وكيف واجه النصارى في معركة أطلق عليها بعض

(١) قبرص: جزيرة كبيرة في شرق البحر الأبيض المتوسط، وهي قريبة من جنوب تركيا وشمال ساحل الشام فتحها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عن الجميع ثم في الحروب الصليبية صارت مركزاً للنصارى يتقون منه على المسلمين.. وهي في هذا الزمن قسمان قبارصة أترك مسلمون في الجملة، وقبارصة يونانيون نصارى في الجملة وكانت قد بقيت بيد المسلمين إلى المائة الرابعة من الهجرة.



المؤرخين معركة "حطين الثانية" وكيف استرد قلاع الشام أو كثيراً من قلاع الشام من أيدي النصارى وكيف استرد بيت المقدس وأرجعها إلى حكم المسلمين .

هذا الملك كان في تلك المدة التي تحركت فيها الحملة الصليبية السابعة ووصلت إلى قبرص كان مريضاً في حلب فتحرك سريعاً إلى مصر وبدأ بالاستعداد والتحصين لا سيما لمدينة دمياط فقد كان يعلم جيداً أن النصارى إذا تحركوا جهة مصر أن دمياط هي منزلهم الأول فهي التي سينزلون فيها قبل غيرها لأنها تقع على الساحل وهي مدينة ذات أهمية كبيرة فقدم السلطان من دمشق وهو مريض في محفة لما بلغه من حركة الفرنج. فنزل بأشموم طنّاح في المحرم وجمع في دمياط من الأقوات والأسلحة شيئاً كثيراً وبعث إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي نائبه بالقاهرة أن يُجهز الشواني من صناعة مصر فشرع في تجهيزها وسيرها شيئاً بعد شيء. وأمر السلطان الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ أن ينزل على جيزة دمياط بالعساكر ليصير في مقابلة الفرنج إذا قدموا فتحول الأمير فخر الدين بالعساكر فنزل بالجيزة تجاه دمياط وصار التل بينه وبينها ولم يقدر السلطان على الحركة لمرضه ^(١) ونودي في مصر (بالجهاد وتم تحصين دمياط تحصيناً كبيراً) .

(١) الموسوعة التاريخية (٤٤٢/٥).



وأما الجيش الصليبي لما مكث في قبرص بدأ يدرس مرحلة الانطلاق
أتكون إلى الشام مباشرة أم إلى مصر ثم إلى الشام فقرر ملك فرنسا أن
البدء يكون بمصر لأن مصر ذات أهمية كبيرة ولأن جيوش مصر كلما ضيق
الحناق على المسلمين في الشام يأتون فيعملون على نصرته إخوانهم المسلمين في
الشام فكان الأمر في نظره يستدعي البدء بمصر قبل الشام ثم بدأ يبحر من
قبرص جهة مصر وكان قد حصل بينه وبين ملك التار مراسلة وهو في قبرص
ووعده ملك المغول التتاري أن يقف إلى جانبه لاسترداد بيت المقدس من أيدي
أهل النجس - يقصد المسلمين - ولما كان يوم الجمعة لسبع بقين من صفر
من هذه السنة - سنة سبع وأربعين وستمائة - وصل ملك فرنسا لويس التاسع
الفرنسي (ريد افرنس) (France Roide) - لعنه الله - إلى دمياط بجموع
ومراكب سدت البحر كثرةً، ولما وصل البر بالفم لم يعبره حتى نفذ رسول، وعلى
يده كتاب فيه رسالة تهديدية شديدة اللهجة إلى الملك نجم الدين أيوب قال له
فيها : بعد كلمة كفرهم (أما بعد فَإِنَّهُ لم يخف عَنكَ أَنِّي أَمِينُ الأُمَّةِ
العيسوية كَمَا أَنِّي أَقُولُ إِنَّكَ أَمِينُ الأُمَّةِ المحمدية. وَإِنَّهُ غير خَافَ عَنكَ أَن
أهل جزائر الأندلس يحملون إِلَيْنَا الأَمْوَالِ والهدايا وَنَحْنُ نسوقهم سوق البقر
ونقتل مِنْهُمْ الرجال ونرمل النِّسَاء ونستأسر البَنَات وَالصبيان ونخلي مِنْهُمْ
الديار وَقَدْ أَبَدِيتْ لَكَ مَا فِيهِ الكِفَايَةُ ونجّلتْ لَكَ النصحَ إِلَى التَّهْيَاةِ فَلَوْ
حَلَفْتُ لي بِكُلِّ الأَيِّمَانِ وَدَخَلْتُ على القسوس والرهبان وحملت قدامي الشمع



طَاعَةَ لِلصُّلْبَانِ مَا رَدْنِي ذَٰلِكَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْكَ وَقَتْلِكَ فِي أَعَزِّ الْبَقَاعِ عَلَيْكَ
فَإِنْ كَانَتْ الْبِلَادُ لِي فَهِيَ هَدِيَّةٌ حَصَلَتْ فِي يَدِي وَإِنْ كَانَتْ الْبِلَادُ لَكَ وَالْعَلْبَةُ
عَلَيَّ فِيدَكَ الْعُلِيَا مَمْتَدَةً إِلَيَّ. وَقَدْ عَرَفْتُكَ وَحَذَرْتُكَ مِنْ عَسَاكِرٍ قَدْ حَضَرَتْ فِي
طَاعَتِي تَمْلَأُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ وَعَدَدُهُمْ كَعَدَدِ الْحَصَى وَهُمْ مَرْسَلُونَ إِلَيْكَ بِأَسْيَافٍ
الْقَضَا).

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى السُّلْطَانِ وَقُرِئَ عَلَيْهِ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالْدمُوعِ
وَاسْتَرْجَعَ. فَكَتَبَ الْجَوَابَ بِحَظِّ الْقَاضِي بِهَاءِ الدِّينِ زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ كَاتِبِ الْإِنْشَاءِ
وَنَسَخْتَهُ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ وَصَلَوَاتِهِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ وَصَلَ كِتَابَكَ وَأَنْتَ تَهْدِدُ فِيهِ بِكَثْرَةِ جِيُوشِكَ وَعَدَدِ
أَبْطَالِكَ. فَنَحْنُ أَرْبَابُ السُّيُوفِ وَمَا قَتَلَ مِنْ قَرْنٍ إِلَّا جَدَدْنَاهُ وَلَا بَغَى عَلَيْنَا بَاغٌ
إِلَّا دَمَرْنَاهُ. فَلَوْ رَأَتْ عَيْنَاكَ - أَيُّهَا الْمَغْرُورُ - حَدَّ سَيْوفِنَا وَعَظَمَ حُرُوبِنَا وَفَتَحْنَا
مِنْكُمْ الْخُصُوفَ وَالسَّوَاخِلَ وَأَخْرَبْنَا مِنْكُمْ دِيَارَ الْأَوَاخِرِ وَالْأَوَائِلَ لَكَانَ لَكَ
أَنْ تَعُضَ عَلَى أَنْامِكَ بِالنِّدَمِ وَلَا بَدَّ أَنْ تَزَلَ بِكَ الْقَدَمُ فِي يَوْمٍ أَوَّلُهُ لَنَا وَآخِرُهُ
عَلَيْكَ. فَهَنَالِكَ تَسِيءُ بِكَ الظُّنُونُ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾
فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَٰذَا فَكُنْ فِيهِ عَلَى أَوَّلِ سُورَةِ التَّحْلِ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا
تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وَكُنْ عَلَى آخِرِ سُورَةِ ص: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ وَنَعُودُ إِلَى
قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً



يُأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ وَإِلَى قَوْلِ الْحُكَمَاءِ: إِنَّ الْبَاغِيَ لَهُ مَصْرَعٌ وَبَغِيكَ
يَصْرَعُكَ وَإِلَى الْبَلَاءِ يَقْلِبُكَ وَالسَّلَامُ ^(١).



(١) (السلوك لمعرفة دول الملوك) (١/ ٤٣٨).



سقوط دمياط

وصل الأسطول الفرنسي من قبرص إلى مشارف دمياط وكان الملك نجم الدين أيوب الملك الصالح عليه رحمة الله قد أعدّ جنودًا حامية واستدعى رجالاً من أشرس وأشجع الرجال من بني كنانة وكلفهم بحراسة المدينة والقيام على أبوابها ومداخلها لكن لشيء أراداه الله سبحانه وتعالى ما إن شعر هؤلاء الحرس والجيش المكلف بحماية دمياط ما إن شعروا بقدوم الأسطول الفرنسي إلا وولوا الفرار وانسحبوا انسحاباً كلياً من دمياط ورحلوا في الليل المظلم وخرج بعضهم حافياً وعرضوا أنفسهم للتلف وللخوف الشديد وكانوا في مأمن وكانوا في غنى عن ذلك لكن لشيء أراداه الله حصل لهم رعب وحصل لهم خوف من غير ما سبب مع أنها مدينة حصينة وقد وقفت في وجه " **جونديبرين** " سبعة عشر شهراً أيام الحملة الصليبية الخامسة - كما مر بنا - وكانوا يستطيعون أن يواجهوا وأن يمكثوا مدة حتى تأتيهم الإمدادات ويتحرك بقية الجيش المصري لكن لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى أصيب الناس بذعر شديد وهربوا هروباً مؤلماً في الصحاري والقفار في الليالي المظلمة لا يلوون على شيء كأنما جاءتهم الوحوش الضارية والأسود الكاسرة التي لا يستطيع أحد أن يقف في وجوها .



(فَلَمَّا رَأَى أَهْلَ دَمِيَاطَ رَحِيلَ الْعَسْكَرِ خَرَجُوا كَأَنَّمَا يَسْحَبُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ طُولَ اللَّيْلِ وَلَمْ يَبْقَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدُ الْبَتَّةِ وَصَارَتْ دَمِيَاطُ فَارِغَةً مِنَ النَّاسِ جَمْلَةً. وَفَرُّوا إِلَى أَكُومٍ مَعَ الْعَسْكَرِ وَهُمْ حُفَاةُ عُرَاةٍ جِيَاعَ فَقَرَاءٍ حَيَارَى بَيْنَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَطْفَالِ النِّسَاءِ وَسَارُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ فَنَهَبَهُمُ النَّاسُ فِي الطَّرِيقِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مَا يَعِيشُونَ بِهِ وَأَصْبَحَ الْفَرَنْجُ يَوْمَ الْأَحَدِ لِسَبْعِ بَقِيَّةٍ مِنْ صَفَرٍ سَائِرِينَ إِلَى مَدِينَةِ دَمِيَاطَ. فَعِنْدَمَا رَأَوْا أَبْوَابَهَا مَفْتُوحَةً وَلَا أَحَدًا يَحْمِيهَا خَشَوْا أَنْ تَكُونَ مَكِيدَةً فَتَمَهَّلُوا حَتَّى ظَهَرَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَرُّوا وَتَرَكُوهَا. فَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ بِغَيْرِ كَلْفَةٍ وَلَا مُؤَنَةٍ حِصَارَ وَاسْتَوْلُوا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَلَاتِ الْحَرَبِيَّةِ وَالْأَسْلِحَةِ الْعَظِيمَةِ وَالْعَدَدِ الْكَثِيرَةِ وَالْأَقْوَاتِ وَالْأَزْوَادِ وَالذَّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأُمُتَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ صَفْوًا عَفْوًا. وَبَلَغَ ذَلِكَ أَهْلَ الْقَاهِرَةِ وَمَصْرَ فَانْزَعَجَ النَّاسُ انْزِعَاجًا عَظِيمًا وَيَتَسَوَّاهُ مِنْ بَقَاءِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ بِدِيَارِ مِصْرَ؛ لِتَمْلِكِ الْفَرَنْجُ مَدِينَةَ دَمِيَاطَ وَهَزِيمَةَ الْعَسَاكِرِ وَقُوَّةَ الْفَرَنْجِ بِمَا صَارَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَزْوَادِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْحَصْنِ الْجَلِيلِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِ بِقُوَّةٍ مَعَ شِدَّةِ مَرَضِ السُّلْطَانِ وَعَدَمِ حَرَكَتِهِ وَعِنْدَمَا وَصَلَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى أَشْمُومِ طَنَاحٍ وَمَعَهُمْ أَهْلُ دَمِيَاطَ اشْتَدَّ حَنَقُ السُّلْطَانِ عَلَى الْكِنَانِيِّينَ وَأَمَرَ بِشَنْقِهِمْ فَقَالُوا: وَمَا ذَنْبُنَا إِذَا كَانَتْ عَسَاكِرُهُ جَمِيعَهُمْ وَأَمْرَاؤُهُ هَرَبُوا وَأَحْرَقُوا الزَّرْدَخَانَةَ فَأَيُّ شَيْءٍ نَعْمَلُ نَحْنُ فَشَنْقُوا لَكُونَهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ بِغَيْرِ إِذْنٍ حَتَّى تَسْلَمَهَا الْفَرَنْجُ فَكَانَتْ عِدَّةٌ مِنْ شَنْقِ زِيَادَةِ عَلَى خَمْسِينَ أَمِيرًا مِنَ الْكِنَانِيِّينَ. وَكَانَ فِيهِمْ أَمِيرٌ حَشِيمٌ وَلَهُ ابْنٌ جَمِيلٌ الصُّورَةِ.



فَقَالَ أَبُوهُ: يَا لَهِ اشْنَقُونِي قَبْلَ ابْنِي. فَقَالَ السُّلْطَانُ: لَا بَلْ اشْنَقُوهُ قَبْلَ أَبِيهِ. فَشْنَقَ الْإِبْنُ ثُمَّ شْنَقَ الْأَبَ مِنْ بَعْدِهِ بَعْدَ أَنْ اسْتَفْتَى السُّلْطَانُ الْفُقَهَاءَ فَأَفْتَوْا بِقَتْلِهِمْ. وَتَغَيَّرَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ فَخَرَّ الدِّينُ بْنُ شَيْخِ الشُّيُوخِ وَقَالَ: أَمَا قَدَرْتُمْ تَقْفُونَ سَاعَةَ بَيْنَ يَدَيِ الْفَرَنْجِ. هَذَا وَمَا قَتَلَ مِنْكُمْ إِلَّا هَذَا الضَّيْفَ الشَّيْخَ نَجْمَ الدِّينِ. وَكَانَ الْوَقْتُ لَا يَسَعُ إِلَّا الصَّبْرَ وَالتَّغَاضِيَّ وَقَامَتِ الشَّنَاعَةُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى الْأَمِيرِ فَخَرَّ الدِّينُ فَخَافَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْراءِ وَغَيْرِهِمْ سَطْوَةَ السُّلْطَانِ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِ فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ فَخَرَّ الدِّينُ بِالصَّبْرِ^(١).

ولما سيطر النصارى على دمياط رأوا أنهم بحاجة إلى التمرکز والتريث وعدم التعجل بالتوجه جهة القاهرة ولا بد من أخذ الترتيبات اللازمة وكان من أعمالهم التي قاموا بها في دمياط -لعنهم الله - أنهم حولوا مسجد دمياط إلى كنيسة وأفسدوا فيها فساداً عريضاً.

أكتفي بهذا القدر وبارك الله في الجميع والحمد لله .



(١) (السلوك لمعرفة دول الملوك) (١/ ٤٣٨) .

الحلقة السابعة عشرة



تابع الحملة الصليبية السابعة

الحمد لله وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

تكلّمنا في الحلقة الماضية عن الحملة الصليبية السابعة والتي تحرّكت بقيادة ملك فرنسا " لويس التاسع " وكيف سيطرت على دميّاط دون أي مقاومة من أهلها ومن المكلفين بجراستها ونواصل الحديث عن هذه الحملة التي هي من أشهر وأكبر الحملات الصليبية على البلاد الإسلامية .

التحرّك إلى المنصورة

بعد أن تمت السيطرة على دميّاط عمل قائد الحملة على تحصينها وجعلها قلعة تابعة له ثم تحرّك بجيشه جهة القاهرة وكان قد خرج لمواجهة ملك مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب عليه رحمة الله وعسكر بجيشه في المنصورة ؛ لأنه رأى أنه ليس من العقل ولا من الحزم الانتظار لهم حتى يصلوا إلى القاهرة وعلم أنهم إن تحرّكوا من دميّاط لن يتحرّكوا على الطريق التي تحرّك منها الجيش في الحملة الصليبية الخامسة والتي حصل لها عرقلة كبيرة بسبب مياه النيل حينما كسرت القناطر فعلم أن الجيش الصليبي الجديد هذا سيغيّر



الطريق وأنه سيتخذ من طريق المنصورة متجهاً له : فأمر السلطان بالرحيل إلى المنصورة ومُحمّل في حراقة^(١).

حَتَّى أَنْزَلَ بِقَصْرِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى بَحْرِ النَّيْلِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لِحَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ صَفَرٍ فَشَرَعَ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْعَسْكَرِ فِي تَجْدِيدِ الْأَبْنِيَةِ لِلسُّكْنَى بِالْمَنْصُورَةِ وَنَصَبَتْ بِالْأَسْوَاقِ وَأَبْرَاجِ السُّورِ الَّذِي عَلَى الْبَحْرِ وَسْتَرٌ بِالسَّائِرِ. وَقَدِمَتْ الشَّوَانِي الْمِصْرِيَّةُ بِالْعَدَدِ الْكَامِلَةِ وَالرَّجَالَةَ وَجَاءَتْ الْعُزَاةُ وَالرَّجَالُ مِنْ عَوَامِ النَّاسِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْجِهَادَ مِنْ كُلِّ النُّوَاحِي وَوَصَلَتْ عَرَبَانِ كَثِيرَةً جَدًّا وَأَخَذُوا فِي الْعَارَةِ عَلَى الْفَرَنْجِ وَمَنَاوَشْتَهُمْ. وَحَصَّنَ الْفَرَنْجُ أَسْوَارَ دِمِيَاطَ وَشَحَنُوهَا بِالْمَقَاتِلَةِ.^(٢)

ولما سبقهم الملك نجم الدين أيوب - عليه رحمة الله تعالى - إلى المنصورة بدأ بالترتيب والتحصين وإعداد ما يحتاجه الجيش من خنادق وغير ذلك ومكثوا مدة أشهر والمسلمون يستعدّون والنصارى يستعدّون، وقد ارتفعت معنويات النصارى جداً.



(١) الحراقة: نوع من السفن الصغيرة فيها مراحي نيران يرمى بها العدو، ومنهم من كان يستعملها للنزهة.

المواظ والاعتبار (١٩٤/٢-١٩٥).

(٢) (السلوك لمعرفة دول الملوك) (٤٣٩).



وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب

و في تلك الظروف الصعبة الشديدة وبينما الجيش الفرنسي يستعد للتحرك من دمياط إلى القاهرة عن طريق المنصورة شاء الله عز وجل أن يموت في تلك الأيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان قد كبرت سنه ورق عظمه وأصابه مرض السل فمات في خيمته وهو مرابط في وجه العدو مات ميتة طبيعية في (لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ - لعام (٦٤٧) من الهجرة النبوية - وَهُوَ فِي مُقَابَلَةِ الْفَرَنْجِ عَنْ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بَعْدَ مَا عَهِدَ لَوْلَاهُ الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ تَوْرَانِشَاهُ وَحَلَفَ لَهُ فَخْرُ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ وَمُحْسِنُ الطَّوَاشِي وَمَنْ يَثِيقُ بِهِ وَبَعْدَ مَا عَلِمَ قَبْلَ مَوْتِهِ عَشْرَةَ آلَافِ عَلاَمَةٍ. يَسْتَعَانُ بِهَا فِي الْمَكَاتِبَاتِ عَلَى كِتْمَانِ مَوْتِهِ حَتَّى يَقْدَمَ ابْنُهُ تَوْرَانِشَاهُ مِنْ حِصْنٍ كَيْفَا وَكَانَتْ أُمُّ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ أُمٌ وَلَدَ اسْمُهَا وَرْدُ الْمَنَى. وَكَانَتْ مُدَّةَ مُلْكِهِ بِمَضْرُوعِ عَشْرِ سِنِينَ إِلَّا خَمْسِينَ يَوْمًا فَغَسَلَهُ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا عِلاَجَهُ لَكِي يَخْفَى مَوْتُهُ. وَحَمَلَ فِي تَابُوتٍ إِلَى قَلْعَةِ الرُّوْضَةِ وَأَخْفَى مَوْتَهُ فَلَمْ يَشْتَهَرْ إِلَّا ثَانِي عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ نَقَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ إِلَى تَرْبَتِهِ بِجَوَارِ الْمَدَارِسِ الصَّالِحِيَةِ بِالقَاهِرَةِ. وَالْمَلِكُ الصَّالِحُ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْمَمَالِيكَ الْبَحْرِيَّةَ بِدِيَارِ مِصْرَ: وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا مَرَّ بِهِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي زَالَ عَنْهُ مُلْكُهُ بِتَفَرُّقِ الْأَكْرَادِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَسْكَرِ عَنْهُ حَتَّى لَمْ يَثْبِتْ مَعَهُ سِوَى مَمَالِيكِهِ رَعِي لَهُمْ ذَلِكَ. فَلَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى مَمْلَكَةِ مِصْرَ أَكْثَرَ مِنْ شِرَاءِ



المماليك وجعلهم مُعظم عسكره وَقَبْضَ عَلَى الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ وَاعْتَقَلَهُمْ وَقَطَعَ أَخْبَازَهُمْ وَأَعْطَى مَمَالِيكَهُ الْإِمْرِيَّاتِ فَصَارُوا بَطَانَتَهُ وَالْمَحِيطِينَ بِدَهْلِيزِهِ وَسَمَّاهُمْ بِالْبَحْرِيَّةِ لِسُكْنَاهُمْ مَعَهُ فِي قَلْعَةِ الرَّوْضَةِ عَلَى بَحْرِ النَّيْلِ وَكَانَ مُلْكًا شَجَاعًا حَازِمًا مُهَيِّبًا لَشِدَّةِ سَطْوَتِهِ وَفَخَامَةِ مَعَ عِزَّةِ النَّفْسِ وَعِلْوِ الْهَمَةِ وَكَثْرَةِ الْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ وَطَهَارَةِ عَنِ الْخَنَاءِ وَصِيَانَةِ اللِّسَانِ مِنَ الْفُحْشِ فِي الْقَوْلِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْهَزْلِ وَالْعِبْثِ بِالْكَلِمَةِ وَشِدَّةِ الْوَقَارِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ حَتَّى إِنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ حَرَمِهِ إِلَى مَمَالِيكَهُ أَخَذَتْهُمْ الرُّعْدَةُ عِنْدَمَا يَشَاهِدُونَهُ - خَوْفًا مِنْهُ - وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ أَحَدٍ. وَكَانَ إِذَا جَلَسَ مَعَ نَدَمَائِهِ كَانَ صَامِتًا لَا يَسْتَفْزُهُ الطَّرْبُ وَلَا يَتَحَرَّكُ وَجَلِيسًا لَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ. وَإِذَا تَكَلَّمَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ خَوَاصِهِ كَانَ مَا يَقُولُهُ كَلِمَاتٍ نَزْرَةٍ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْوَقَارِ وَتِلْكَ الْكَلِمَاتُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي مُهِمٍّ عَظِيمٍ مِنْ اسْتِشَارَةٍ أَوْ تَقَدُّمٍ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ لَا يَعْدُو حَدِيثَهُ قَطُّ هَذَا النَّحْوُ وَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا جَوَابًا. وَمَا عَرَفَ أَبَدًا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَوَاصِهِ أَنْ تَكَلَّمَ فِي مَجْلِسِهِ ابْتِدَاءَ الْبَتَّةِ وَلَا أَنَّهُ جَسَرَ عَلَى شَفَاعَةٍ وَلَا مَشُورَةٍ وَلَا ذَكَرَ نَصِيحَةٍ مَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِابْتِدَاءٍ مِنَ السُّلْطَانِ فَإِذَا انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ. وَكَانَتْ الْقَصَصُ تَرِدُ إِلَيْهِ مَعَ الْخُدَّامِ فَيُوقِعُ عَلَيْهَا وَيُخْرِجُ بِهَا الْخُدَّامَ إِلَى كَاتِبِ الْإِنْشَاءِ وَلَا يَسْتَقِلُّ أَحَدٌ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ بِأَمْرٍ بَلْ يُرَاجِعُ الْقَصَصَ مَعَ الْخُدَّامِ. وَمَعَ هَذِهِ الشَّهَامَةِ وَالْمَهَابَةِ لَا يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى مَنْ يَحَادِثُهُ حَيَاءً مِنْهُ وَخُفْرًا وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ



قَطَّ فِي حَقِّ أَحَدٍ مِنْ خَدَمِهِ لَفْظَةً فَحَشَ وَأَكْثَرَ مَا يَقُولُ إِذَا شَتَمَ أَحَدًا: مُتَخَلَفٌ وَلَا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَلَا عَرَفَ قَطَّ مِنَ التَّكَاحِ سِوَى زَوْجَتِهِ وَجَوَارِيهِ. وَكَانَتْ الْبِلَادُ فِي أَيَّامِهِ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً وَالطَّرِيقُ سَابِلَةً ... وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَ ذَلِكَ مِيلٌ إِلَى الْعِلْمِ وَلَا مِطَالَعَةُ الْكُتُبِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُجْرِي عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ الْمَعَالِيمِ وَالْجَرَائِدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخَالِطَهُمْ. وَلَمْ يَخَالِطْ غَيْرَهُمْ لِمَحَبَّتِهِ فِي الْعُزْلَةِ وَرَغْبَتِهِ فِي الْإِنْفِرَادِ وَمِلَازِمَتِهِ لِلصَّمْتِ وَمِدَاوِمَتِهِ عَلَى الْوَقَارِ وَالسَّكُونِ وَكَانَ يُحِبُّ الْعِمَارَةَ وَيُبَاشِرُ الْأَبْنِيَةَ بِنَفْسِهِ وَعَمَرَ بِمَضْرْمَا لَمْ يَعْمُرْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ بَنِي أَيُّوبَ: فَأَثْنُ شَأْنِ قَلْعَةِ الرُّوْضَةِ تَجَاهَ مَدِينَةِ فُسْطَاطِ مِصْرَ وَأَنْفَقَ فِيهَا أَمْوَالًا جَمَّةً وَهَدَمَ كَنِيسَةً كَانَتْ هُنَاكَ لِلْعِاقِبَةِ مِنَ النَّصَارَى وَأَسْكَنَ بِهَذِهِ الْقَلْعَةِ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِنَ التُّرْكَ - وَقِيلَ ثَمَانِيًا - سَمَاهُمُ الْبَحْرِيَّةُ ... وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ الْمَلِكُ الْمَغِيثُ فَتَحَ الدِّينَ عَمْرَ وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ مَاتَ فِي سَجْنِ قَلْعَةِ دِمَشْقَ وَالْمَلِكُ الْمُعْظَمُ غِيَاثُ الدِّينِ تَوْرَانِشَاهُ مَلِكُ مِصْرَ بَعْدَهُ وَالْمَلِكُ الْقَاهِرُ وَمَاتَ فِي حَيَاتِهِ أَيْضًا وَوُلِدَ لَهُ أَيْضًا مِنْ شَجَرِ الدَّرِّ وَلَدٌ سَمَاهُ خَلِيلًا مَاتَ صَغِيرًا. وَلَمَّا طَالَ مَرَضُهُ مِنَ الْجُرَاحَةِ النَّاصُورِيَّةِ - وَفَسَدَ مَخْرَجُهُ وَامْتَدَّ الْجُرْحُ إِلَى فَخْذِهِ الْيَمِينِ وَأَكَلَ جِسْمَهُ - اجْتَهَدَ فِي مِدَاوَاتِهَا وَحَدَّثَ لَهُ مَرَضُ السَّلِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْطَنَ بِهِ ^(١).



(١) «السلوك لمعرفة دول الملوك» (١/٤٤٣).



دور شجر الدر العظيم

وإن مما لا شك فيه أن هذا الحدث وهو موت هذا الملك في هذه الظروف الصعبة حدث خطير له ما بعده وأن له آثاره النفسية على نفوس المسلمين وعلى نفوس النصارى الغازين لكن الله عز وجل هياً لأهل الإسلام تلك المرأة العاقلة الرشيدة - عليها رحمة الله - وهي زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب وهي امرأة أرمينية كانت من الجواري اشتراها قبل مدة طويلة فأعجب بها وأحبها فاعتقها وتزوجها وأطلق عليها لقب " شجر الدر " فلازمت شجرة الدر هذه زوجها في مواقعه وأحواله وظروفه كلها حتى اللحظة الأخيرة وهو في خيمته في المنصورة يتلقى العلاج ويدخل عليه الأطباء فساءت حالته جداً " فَلَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ أَحْضَرَتْ زَوْجَتَهُ شَجَرَ الدَّرِّ الْأَمِيرَ فَخَرِ الدِّينَ بْنِ شَيْخِ الشُّيُوخِ وَالطَّوَّاشِي جَمَالَ الدِّينِ مُحْسِنًا - وَكَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى السُّلْطَانِ وَإِلَيْهِ الْقِيَامُ بِأَمْرِ مَمَالِيكِهِ وَحَاشِيَتِهِ - وَأَعْلَمْتُهُمَا بِمَوْتِ السُّلْطَانِ وَوَصَّتُهُمَا بِكُتْمَانِ مَوْتِهِ خَوْفًا مِنَ الْفَرَنْجِ. وَكَانَ الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ عَاقِلًا مُدْبِرًا خَلِيقًا بِالْمَلِكِ جَوَادًا مُحْبُوبًا إِلَى النَّاسِ فَاتَّفَقَا مَعَ شَجَرَ الدَّرِّ عَلَى الْقِيَامِ بِتَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ إِلَى أَنْ يَقْدُمَ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ تَوْرَانِشَاهُ فَأَحْضَرَتْ شَجَرَ الدَّرِّ الْأَمْرَاءَ الَّذِينَ بِالْمَعْسَكِ وَقَالَتْ لَهُمْ: إِنَّ السُّلْطَانَ قَدْ رَسَمَ بِأَنْ تَحْلِفُوا لَهُ وَلابْنِهِ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ غِيَاثُ الدِّينِ تَوْرَانِشَاهُ صَاحِبُ حَصْنٍ كَيْفَا أَنْ يَكُونَ سُلْطَانًا بَعْدَهُ وَلِلْأَمِيرِ فَخْرِ الدِّينِ



يُوسُف بن شيخ الشُّيوخ بالتقدمة على العساكر وَالْقِيَام بِالْأَتَابِكِيَّة وتدبير المملكة فَقَالُوا كُلُّهُمْ سَمْعًا وَطَاعَةً ظَنَّا أَنَّ السُّلْطَانَ حَيٍّ وحلفوا بِأَسْرَهُمْ وحلفوا سَائِرَ الْأَجْنَادِ وَالْمَمَالِيكَ السُّلْطَانِيَّة. وَكُتِبَ عَلَى لِسَانِ السُّلْطَانَ إِلَى الْأَمِيرِ حَسَامِ الدِّينِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ الْهَذْبَانِيِّ بِالْقَاهِرَةِ أَنَّ يَحْلِفُ أَكْبَارُ الدَّوْلَةِ وَأَجْنَادُهَا بِالْقَاهِرَةِ فَحَضَرَ إِلَى دَارِ الْوِزَارَةِ قَاضِي الْقَضَاءِ بَدْرُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ الْحَسَنِ قَاضِي سِنْجَارٍ وَالْقَاضِي بِهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ - وَكَانَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ قَدْ أَبْعَدَهُ لِأَمْرِ نَقْمِهِ عَلَيْهِ - وحلفا من حضر من الْأَعْيَانِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ وَكَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْحَمِيسِ ثَامِنِ عَشَرَ شَعْبَانَ. وَاسْتَدْعَى الْقَاضِي بِهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرُ بْنُ الْقَاهِرَةِ إِلَى الْمَعْسَكِ بِالْمَنْصُورَةِ. وَقَامَ الْأَمِيرُ فَخَرُ الدِّينِ بِتَدْبِيرِ الْمَمْلُوكَةِ وَاقْطَعَ الْبِلَادَ بِمَنَاشِيرِهِ وَأَعَادَ إِلَيْهَا زُهَيْرًا إِلَى مَنْصِبِهِ فَكَانَتْ الْكُتُبُ تَرِدُ مِنَ الْمَعْسَكِ وَعَلَيْهَا عَلَامَةُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ فَقِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ بِحِطِّ خَادِمٍ يُقَالُ لَهُ سُهَيْلٌ وَلَا يَشْكُ مَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ خَطَّ السُّلْطَانَ وَمَشَى هَذَا عَلَى الْأَمِيرِ حَسَامِ الدِّينِ نَائِبِ السُّلْطَانَةِ مُحَقِّقًا إِلَى أَنَّ أَوْقَفَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَلَى اضْطِرَابٍ فِي الْعَلَامَةِ يُخَالِفُ عَلَامَةَ السُّلْطَانِ فَفَحَصَ عَنْ خَبَرِ السُّلْطَانِ مِنْ بَعْضِ خَوَاصِهِ الَّذِينَ بِالْمَعْسَكِ حَتَّى عَرَفَ مَوْتَهُ فَاشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنَ الْأَمِيرِ فَخَرُ الدِّينِ وَخَشِيَ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَى الْمَلِكِ فَاحْتَاطَ لِنَفْسِهِ .

وَأَخَذَ الْأَمِيرُ فَخَرُ الدِّينَ يُطْلِقُ الْمَسْجُونِينَ وَيَتَصَرَّفُ فِي إِطْلَاقِ الْأَمْوَالِ وَالْخُلْعِ عَلَى خَوَاصِ الْأُمَرَاءِ وَأَطْلَقَ السُّكْرَ وَالْكُتَانَ إِلَى الشَّامِ فَعَلِمَ النَّاسُ



بِمَوْتِ السُّلْطَانِ مِنْ حِينِيذٍ غَيْرَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَجْسُرُ أَنْ يَتَفَوَّهُ بِهِ. وَسَارَ مِنَ الْمَعْسَكَرِ الْفَارِسِ أَقْطَايَ وَهُوَ يَوْمِيذٍ رَأْسَ الْمَمَالِيكِ الْبَحْرِيَّةِ لِإِحْضَارِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ مِنْ حَصْنِ كَيْفَا وَبَعَثَ الْأَمِيرَ حَسَامَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عَلِيٍّ نَائِبَ السُّلْطَانَةِ بِالْقَاهِرَةِ مِنْ عِنْدِهِ قَاصِدًا مِنْ قَبْلِهِ أَيْضًا. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِشِمَانِ بَقِيْنَ مِنْ شُعْبَانَ أَمَرَ الْأَمِيرَ حَسَامَ الدِّينِ الْخُطْبَاءَ بِأَنْ يَدْعُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِلْمَلِكِ الْمُعْظَمِ بَعْدَ الدُّعَاءِ لِأَبِيهِ وَأَنْ يَنْقُشَ اسْمُهُ عَلَى السَّكَّةِ بَعْدَ اسْمِ أَبِيهِ ... وَوَصَلَ قَاصِدُ الْأَمِيرِ حَسَامَ الدِّينِ إِلَى حَصْنِ كَيْفَا - فِي تَرْكِيَا - وَطَالَعَ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ بِأَنْ الْمَصْلَحَةَ فِي السَّرْعَةِ وَمَتَى تَأَخَّرَ فَاتِ الْفُوتِ وَتَغْلِبَ الْأَمِيرُ فَخَرَّ الدِّينَ عَلَى الْبِلَادِ ثُمَّ وَصَلَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ قَصَادُ فَخَرِ الدِّينِ وَشَجَرِ الدَّرِّ. فَخَرَجَ الْمُعْظَمُ مِنْ حَصْنِ كَيْفَا لَيْلَةَ السَّبْتِ لِأَحَدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا مِنْ إِيْرَامِهِ. وَقَصَّ عَانَهُ لِيَعْدِيَ الْفُرَاتَ وَقَدْ أَقَامَ لَهُ بَدْرُ الدِّينِ لُؤْلُؤُ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ جَمَاعَةً وَأَقَامَ لَهُ الْحَلْبِيُّونَ أَيْضًا جَمَاعَةً يَقْبِضُونَ عَلَيْهِ فَتَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ وَعَدَى الْفُرَاتَ مِنْ عَانَةٍ وَسَلَكَ الْبَرِّيَّةَ فَخَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَكَادَ يَهْلِكُ مِنَ الْعَطَشِ. هَذَا وَشَجَرُ الدَّرِّ تَدْبِرُ الْأُمُورَ حَتَّى لَمْ يَتَغَيَّرْ شَيْءٌ وَصَارَ الدَّهْلِيْزُ السُّلْطَانِي عَلَى حَالِهِ وَالسَّمَاطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَمْدُ وَالْأَمْرَاءُ تَحْضُرُ الْخِدْمَةَ وَهِيَ تَقُولُ:

السُّلْطَانُ مَرِيضٌ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ^(١).

(١) (السلوك لمعرفة دول الملوك) (١/ ٤٤٥).



ولا شك أن المسافة كبيرة وأنها تستغرق وقتاً لذهاب الرسول ومجيء " تورا نشاه " هذه المدة تحتاج إلى ترتيبات لاسيما وجيش النصارى على مشارف المنصورة فاستدعت شجر الدر القائدين العسكريين الكبيرين في الدولة الأيوبية في تلك المدة وهما " فارس الدين أقطاي " و " ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي " ^(١).

وهما من الممالك البحرية وأوكلت إليهما ترتيب الجيش وإعداد الخطة اللازمة للدفاع عن المنصورة ومهاجمة جيش النصارى ومواجهته فأعدّ هذان القائدان العسكريان خطة قوية ناجحة وقاما بعرضها على شجرة الدر فاستحسنّت هذه الخطة العسكرية التي تبشر بالنجاح والفوز بإذن الله عز وجل.

بدأت مقدمات الجيش النصراني تتدفق من جهة البحر الصغير إلى جهة المنصورة فانقضّ فخر الدين يوسف هو ومجموعة من الأبطال والرجال واتجهوا لمواجهة هذا العدو الغازي الغاشم فاقتتلوا معه اقتتالاً شديداً وشاء الله أن

(١) هو: السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بن عبد الله العلائي البندقداري الصالحي، مولده سنة (٦٢٥ هـ) ولد بأرض القبيجاق وأسر فبيع في سيواس ثم انتقل إلى حلب ثم القاهرة، واشترى هناك، ثم صار للملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم أعتقه، ثم كان أتابك العساكر بمصر في أيام الملك قطز، ثم دبر مقتل الملك وتولى السلطة.

وانتقلت الخلافة في أيامه إلى الديار المصرية سنة (٦٥٩ هـ) وتوفي في دمشق سنة (٦٧٦ هـ).
انظر: النجوم الزاهرة (٧ / ٩٤)، وفوات الوفيات (١ / ٢٣٥ - ٢٤٧)، والبداية والنهاية (٣ / ٢٧٤)، والإعلام للزركلي (٧٩/٢).



تنتهي المعركة التي هي على مشارف المنصورة بمقتل هذا الوزير الكبير" فخر الدين يوسف " وبانتصار نسي للجيش النصراني كانت هذه المعركة مقدمة لمعركة أخرى تقع في المنصورة .





معركة المنصورة

بعد أن انتصرت مقدمات الجيش الفرنسي على هذه الكتيبة التي كان يتقدمها وزير الدولة الأكبر " **فخر الدين يوسف** " وانتهت بمقتله حصلت للجنود الفرنسيين نشوة وتطلعوا إلى انتصار أكبر وعزموا على مهاجمة المنصورة ولم ينتظروا بقية كتائب جيشهم وكانوا قد بدأوا التحرك نحو المنصورة وإذا بركن الدين بيبرس يعطي توجيهاته لجميع قواته العسكرية ولجميع المقاتلين بتنفيذ الخطة التي ستملى عليهم حرفياً وهي أن يتم فتح أبواب مدينة المنصورة ولا يقف أحد من الجنود المصريين ولا أحد من المقاتلين في وجه الجيش الفرنسي وأن يقوم الجيش المصري بالترس وراء الأسوار ووراء الجدران والاستعداد لساعة الصفر ساعة الانقضاض حينما يكون قد تشعب الجيش الفرنسي وتوزع في أزقة المنصورة وشوارعها ومداخلها وقام الجيش الإسلامي بالعمل بهذا التوجيه ووصل الجيش الفرنسي إلى أبواب المنصورة فوجدها مفتوحة ولعله ظن أنها كدمياط وأن الأبواب صارت تُفتح له يدخل من حيث شاء بدون أي مقاومة لا سيما وقد حصلت مواجهة يسيرة كما سبق في مداخل المنصورة أو على مشارفها والتي انتهت بانتصار نسبي لأولئك الكفرة هذا يقوي عزائمهم على اقتحام المدينة والتوغل داخل شوارعها لكنهم ما إن توغلوا داخل شوارع المدينة إلا وانقض عليهم الجيش الإسلامي من كل مدخل من مداخل المدينة ومن كل طريق من طرقها ومن كل شارع من



شوارعها وإذا بالجيش الفرنسي يسقط في يده ويقاقل قتال المرتبك فتناولتهم سيوف رجال الله عز وجل وتناولهم الأبطال الذين يذبون عن الدين أولاً وعن العرض والأرض ثانياً فإذا بهم يتناولون الجيش الفرنسي بكل مكان ويوسعونهم قتلاً وأسراً فلم ينجوا من الجيش الفرنسي داخل المنصورة إلا من فر فلم يلوي على شيء أو من ألقى بنفسه في نهر النيل فهرب من موت ووقع في موت آخر عن طريق الغرق وشعر ملك فرنسا بعظم الخطب فبدأ ينسحب انسحابات متتالية وبدأ يرتب جيشه ترتيباً جديداً واضطره الأمر إلى أن يقاتل هو بنفسه وإذا بالجيش المصري يلاحق أولئك المجرمين ويقتل معهم اقتتالاً شديداً حتى بعدوا عن المنصورة مسافة لا بأس بها ثم قرر كل من الجيشين أن يعود إلى مواقعه الأصلية ويبدأ بترتيبات جديدة .

هذه المعركة التي جرت وانتصر فيها المسلمون في المنصورة انتصاراً عظيماً لم يكن حينها قد وصل الرجل الذي سيخلف الملك نجم الدين أيوب وهو ولده " **تورا نشاه** " لكنه وصل بعد هذه المعركة بيسير ووقف على الأمور ونظر في بؤادر النصر وأسبابه ورأى أنه لا بد من اتخاذ إجراءات عديدة لمواجهة هذا الجيش النصراني الذي لا يزال يعسكر على حدود المنصورة رغم كثرة القتل الذي نزل به لكنه لكثرة أعداده لا يزال متماسكاً وإن كانت قد أصابته أنواع من الضعف وأصابت كثيراً من الجيش الأمراض فحصل لهم نوع من الانهزامات النفسية لكن لا يزالون يمنون بأنفسهم بانتصار آخر.



كانت أول خطة قام بها "تورا ن شاه" أنه أمر بإنشاء أسطول بحري مكون من مجموعة سفن خفيفة ويتم إنزالها الى فروع نهر النيل وهذه السفن تكون مهمتها مقاتلة أي سفينه تأتي من دمياط لإمداد الجيش الفرنسي على حدود المنصورة "وكانت الميرة ترد إلى الفرنج في منزلةتهم من دمياط في بحر النيل فصنع المسلمون عدة مراكب وحملوها وهي مفصلة على الجمال إلى بحر المحلة وطرحوها فيه وشحنوها بالمقاتلة وكانت أيام زيادة النيل فلما جاءت مراكب الفرنج لبحر المحلة وهذه المراكب مكمنة فيه خرجت عليها بغتة وقاتلتها وللحال قدم أسطول المسلمين من جهة المنصورة فأخذت مراكب الفرنج أخذا وبيلا وكانت اثنتي عشرة وخمسين مركبا وقتل منها وأسر نحو ألف إفرنجي وغنم سائر ما فيها من الأزواد والأقوات وحملت الأسرى على الجمال إلى العسكر. فانقطع المدد من دمياط عن الفرنج ووقع الغلاء عندهم وصاروا محصورين لا يطيقون المقام ولا يقدرون على الذهاب واستصرى المسلمون عليهم وطمعوا فيهم... وفي يوم عرفة: وصلت مراكب فيها الميرة للفرنج فالتقت بها شواني المسلمين عند مسجد النصر فأخذت شواني المسلمين منها اثنتي عشرة وثلاثين مركبا منها تسع شواني. فاشتد الغلاء عند الفرنج وشرعوا في مراسلة السلطان يطلبون منه الهدنة فاجتمع برسلهم الأمير زين الدين أمير جاندار وقاضي القضاة بدر الدين السنجاري فسألوا أن يسلموا دمياط ويأخذوا عوضا عنها مدينة القدس وبعض الساحل فلم يجابوا إلى ذلك. وفي



يَوْمَ الْجُمُعَةِ لثَلَاثَ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ: أَحْرَقَ الْفَرَنْجُ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْخَشَبِ وَأَتْلَفُوا مَرَكَبَهُمْ لِيَفْرُوا إِلَى دَمِيَاطَ وَخَرَجَتِ السَّنَةُ وَهُمْ فِي مَنَزِلَتِهِمْ^(١) .

فكانت هذه الخطة خطه ناجحة من أروع الخطط وكانت موجعة للعدو إلى حدٍ كبير إذ صار الجيش الفرنسي محصورًا لا يستطيع أن يزود نفسه أو أن تأتيه التزويدات والإمدادات من قلعته التي استحدثها في دمياط ولا هو بالذي يستطيع التخلي عن مواجهة الجيش الإسلامي إلا أن دهاء الملك الفرنسي وخبثه أملا عليه أنه يفتح باب التفاوض مع " تورنشاه " ومع رجال الدولة الأيوبية هذا التفاوض مفاده أنه يُسلم دمياط للمصريين مقابل أن يُسلم المصريون له ولمن معه القدس فكانت عملية مفاوضة تدل على خطورة وخبث في هذا الرجل .

إلا أن هذا العرض لم يقابل بالموافقة من قبل القيادة الأيوبية والمتمثلة بالملك الجديد " **تورانشاه** " ورأى أن وضع الجنود الفرنسيين وضع حرج وأنهم إنما يفاوضون مفاوضات المنهزم وأن دمياط إنما هي أيام ويستلمها المسلمون دون أن يعرضوا القدس لخطر التسليم للنصارى فرفضت القيادة الأيوبية هذا العرض وكان لا بد من المواجهة ولم يجد الملك الفرنسي ومن معه بداً من ذلك .



(١) (السلوك لمعرفة دول الملوك) (١/٤٥١) .



معركة فارسكور الفاصلة (١)

نزا الفرنج فارسهم وراجلهم على فارسكور وشوانيههم في بحر النيل تحاذيهم ورحلوا من فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد في يوم الجمعة إلى القاهرة من المعسكر كتاب فيه حض الناس على الجهاد أوله: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ وكان كتاباً بليغاً فيه مواعظ جمّة فقرئ على الناس فوق منبر جامع القاهرة وحصل عند قراءته من البكاء والنحيب وارتفاع الأصوات بالضجيج ما لا يُوصف. وارتجت القاهرة ومصر لكثرة انزعاج الناس وحركتهم للمسير فخرج من البلاد والنواحي لجهاد الفرنج عالم عظيم وقد اشتدّ كرب الخلائق من تمكن الفرنج وقوتهم وأخذهم البلاد مع موت السلطان (٢).

وبدأت المواجهات رغم أن الملك الفرنسي كان قد حاول الانسحاب حيث أعدّ جسراً على البحر وركب على بعض سفنه المعدّة وحاول أن ينسحب إلى جهة دمياط فلاحقته الجيوش المصرية في منطقة "فارسكور" وهي لا تزال بهذا الاسم إلى يومنا هذا وهي تتبع محافظة دمياط هذه البلدة بلدة فارسكور وقعت فيها الهجمة الشرسة على الفرنسيين وانتصر المسلمون انتصاراً ساحقاً

(١) فارسكور "بضم الكاف" مدينة على ساحل النيل.

(٢) (السلوك لمعرفة دول الملوك) (١/ ٤٤٦).



على الحملة الصليبية في تلك البلدة وحقق الله عز وجل لعباده المسلمين نصرًا عظيمًا بعد قتالٍ شديد أظهر فيه الفرنسيون بسالة شديدة وقاتل فيه الملك الفرنسي قتالًا عظيمًا ولكن أحاطت به الجيوش ورجال الدولة المصرية من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم واجتمع إلى الفرنسيين خمسمائة فارس من أبطال الفرنج وقعد في حوش ^(١) المنيّة ^(٢) وطلب الطّواشي رشيد، والأمير سيف الدين القَيْمَرِيّ، فحضرُوا إِلَيْهِ، فطلب منهم الأمان عَلَى نفسه وعلى مَنْ معه، وَأَنْ لَا يدخلوا بين السُّوقَة والرّاع، فأجاباه وأَمَنَاه، وهرب باقي الفرنج عَلَى حميّة، وأُحْدَق المسلمون بهم وبقوا جملة واحدة حملة وحملة حتّى أُبِيدَت الفرنج، ولم يبق منهم سوى فارسين رفسوا بنجيولهم في البحر فغرِقوا وغنم المسلمون منهم ما لا يوصف، واستغنى خلق وأُنْزِل الفرنسيين في حرّاقة وأُحْدَقَت بِهِ مراكب المسلمين تُضْرَبُ فيها الكوسات ^(٣) والطُّبول، وفي البرّ الشرقيّ أطلاب العساكر سائرة منصورَة، والبرّ الغربيّ فِيهِ العربان والعوامّ في لَهْوٍ وسرور بهذا الفتح العظيم، والأسرى تُقَاد في الحبال .

(١) الحوش: حظيرة واسعة مسيّجة خلف جماعة من الدور لا يمرّ بها وتلقى فيها الأقدار وتجمّع فيها الإبل والحيوانات المريضة ويسكن الفقراء في أكواخ فيها. تكلمة المعاجم العربية (٣/ ٣٦٩) .

(٢) هي منية أبي عبد الله، وتعرف حاليا باسم (مينت الحولي عبد الله) وهي على الشاطئ الشرقي لفرع دمياط، وتتبع مركز فارسكور بمحافظة دمياط .

(٣) الكوسات: صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يدق بأحدها ثم بالآخر بإيقاع مخصوص، وهي من رسوم الأمراء ويسمّون أصحاب العمام والكوسات. صبح الأعشى (٩/ ٤) .



فذكر سعد الدين في تاريخه أنّ الفرنسيّ لو أراد أن ينجو بنفسه خلص على خيلٍ سبق أو في حُرّاقة، لكنّه أقام في السّاقة يحمي أصحابه، وأسرت مجموعة كبيرة من أمراء الجيش الفرنسي ومنهم أحد إخوان ملك فرنسا سقط أسيراً وأحد إخوانه قُتل في ساحة المعركة وكان في الأسرى ملوك وكُنُود^(١) كُثر^(٢) .

وأخذ ملك فرنسا إلى دار " ابن لقمان " قاضي تلك البلدة - المنصورة - في تلك المدة أخذ وهو مكبل بالأغلال والقيود وامتلاّت كثير من الدور بالضباط والقادة الكبار الفرنسيين والأمراء وقد ربطوا وسلسلوا بالأغلال فحمدًا لله ربنا على ما أنعم وجزى الله أبطال المسلمين خيرًا على ما بذلوه من جهد حتى تحقق النصر . وأُحصي عدّة الأسرى فكانوا نيّفاً وعشرين ألف آدمي، والذي غرق وقُتل سبعة آلاف نفس^(٣) .

❁ قال سعد الدين في تاريخه : " فرأيت القتلى وقد ستروا وجه الأرض من كثرتهم . وكان الفارس العظيم يأتيه وشاقّي يسوقه وراءه كأذلّ ما يكون، وكان يومًا لم يُشاهد المسلمون ولا سمعوا بمثله، ولم يُقتل في ذلك اليوم من المسلمين إلا نحو مائة نفس ."

(١) الكنود: مفردها كند، وهو تعريب.Conte.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (٥٠/٤٧).

(٣) جاء في (أخبار الأيوبيين لابن العميد ١٦٠) إن القتلى من الفرنج بلغوا ما يزيد عن عشرين ألف فارس، وأن الأسرى من الفرنج والخيالة والرجالة والصناعة والسوق ما يناهز مائة ألف نفس. وانظر: الدر المطلوب (٣٧٧).



ونفذ الملك المعظم للفرنسيين وللملوك والكُنُود خِلْعًا، وكانوا نِيِّفاً وخمسين، فلبس الكلّ سواه وقال: أنا بلادي بقدر بلاد صاحب مصر كيف ألبس خلعتي؟ . وعمل من الغد دعوة عظيمة، فامتنع الملعون أيضًا من حضورها وقال: أنا ما آكل طعامه، وما يحضرني إلّا ليهزأ بي عسكره، ولا سبيل إلى هذا. وكان عنده عقل وثبات ودين فيهم، وكانوا يعتقدون فيه. وكان حَسَنَ الخلقة. وانتقى المعظم الأسرى فأخذ أصحاب الصّنائع، ثُمَّ أمر بضرب أعناق الجميع.

وقال غيره: ثُمَّ حبسوا الإفرنسيين بالمنصورة بدار الطّواشي صَبِيح^(١).
مُكرّمًا غاية الإكرام^(٢).

وفي ذلك يقول الصّاحب جمال الدّين ابن مطروح:

مَقَالَ صِدْقٍ مِنْ قَوْلِ فَصِيحٍ	قُلْ لِلْفَرَنْسِيِّسِ إِذَا جِئْتَهُ
تَحَسَّبُ أَنَّ الزَّمْرَ وَالطَّبْلَ رِيحٌ	أَتَيْتَ مَصْرَ تَبْتَغِي مَلَكَهَا
ضَاقَ بِهِ عَن نَاطِرِيكَ الْفَسِيحِ	فَسَاقَكَ الْحَيْنُ إِلَى أَدْهَمِ
بُحْسَنَ تَدْبِيرِكَ بَطْنُ الضَّرِيحِ	وَكُلَّ أَصْحَابِكَ أَوْدَعَتْهُمْ

(١) وفي: المختصر لأبي الفداء (٣ / ١٨١) وجعل في الدار التي كان ينزلها كاتب الإنشاء فخر الدين بن لقمان، ووكل به الطواشي صبيح المعظمي.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٣٦٦/٦).



تسعين ألفاً لا ترى منهم إلا قتيلاً أو أسيراً أو جريح
 فقل لهم إن أضمووا عودة لأخذ الثأر أو لعقدٍ صحيح
 دار ابن لُفْمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح

وكان هذا التصر العزيز في أول يوم من السنة أي : سنة ثمان وأربعين
 وستمائة (٦٤٨ هـ).

بعد هذا النصر العظيم الذي حققه هؤلاء المقاتلون بفضل الله عز وجل
 على هذه الحملة الصليبية السابعة والتي شتت الله شملها وفرق جمعها وقتل
 من رجالها فوق ثلاثين ألف وبعض المؤرخين قال بل قُتل منهم ١٠٠،٠٠٠،
 وبعضهم قال بل أكثر من ١٠٠،٠٠٠ فالله أعلم بعدد القتلى على وجه الدقة لكن
 جزمًا أن القتل كان فيهم ذريعًا وأنه لم ينجوا من جنود تلك الحملة إلا القلة
 القليلة التي ولّت الأدبار أو وقعت في الأسر في أيدي أولئك الأبطال من
 المسلمين. (٢)

(١) تاريخ الإسلام (٥٢/٤٧).

(٢) انظر عن (موقعة المنصورة) في: مرآة الزمان (ج ٨ ق ٢/ ٧٧٩، ٧٧٨)، وذيل الروضتين (١٨٤، ١٨٥)،
 وتاريخ الزمان لابن العبري (٢٩٤، ٢٩٥)، وتاريخ مختصر الدول، له (٢٥٩، ٢٦٠)، وأخبار الأيوبيين
 لابن العميد (١٦٠)، والمختصر في أخبار البشر (٣/ ١٨١)، والحوادث الجامعة (١٢١)، ونهاية الأرب (٢٩
 / ٣٥٥ - ٣٥٩)، والدر المطلوب (٣٧٩ - ٣٨١)، ودول الإسلام (٢/ ١٥٤، ١٥٣)، والعبر (٥/ ١٩٥، ١٩٦)،
 والمختار من تاريخ ابن الجزري (٢٢٠ - ٢٢٣)، وتاريخ ابن الوردي (٢/ ١٨٢، ١٨٣)، وعيون التواريخ (٢٠
 / ٣٦ - ٤٠)، ومرآة الجنان (٤/ ١١٧)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٧٨)، والعسجد المسبوك (٢/ ٥٧٥)،
 ومآثر الإنافة (٢/ ٩٣)، وتاريخ ابن خلدون (٥/ ٣٦٠)، والسلوك (ج ١ ق ٢/ ٣٥٥ - ٣٥٨)، وعقد



❁ قال صاحب كتاب "كنز الدرر وجامع الغرر" (٧ / ٣٨٠) : " ووصل

كتاب السلطان الملك المعظم إلى الأمير جمال الدين يغمور نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن. وما النصر إلا من عند الله. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم. وأما بنعمة ربك فحدث.

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. نبشر المجلس السامي الأميري الجمالي، بل نبشر الإسلام كافة، بما منّ الله به على المسلمين، من الظفر بأعداء الله وعدو الدين، وأمكن من ناصية طاغيتهم، بعد ما استفحل أمره، واستحكم شره، ويئس العباد من البلاد، ومن الأهل والأولاد، فنودوا لا تيئسوا من روح الله.

ولما كان يوم الأربعاء، لثلاث ليال مضين من المحرم من هذه السنة المباركة - سنة ثمان وأربعين وستمئة- تمم الله على الإسلام بركاتها، فتحنا الخزائن، وبذلنا الأموال، وفرقنا السلاح على الرجال، وجمعنا الجيوش من كل مكان، حتى من سائر الأقطار العربان، فاجتمع خلق لا يحصي عددهم إلا الله

الجمان ((١٧-٢٢))، والنجوم الزاهرة ((٦-٣٦٤-٣٧٠))، وبدائع الزهور ((ج ١ ق ١ / ٢٨٠-٢٨٣))، وتاريخ ابن سباط ((١ / ٣٤٩، ٣٤٨))، وتاريخ الأزمنة ((٢٢٩))، وشذرات الذهب ((٥ / ٢٣٩، ٢٤٠))، ومذكرات جوانقىل ((١٠٨-١٦٣))، وحملة لويس التاسع على مصر، للدكتور محمد مصطفى زيادة- القاهرة ((١٩٦١-ص ٨٧)) وما بعدها، والإعلام والتبيين ((٥٧-٦١)).



تعالى، وجاءوا من كل فج عميق، ومن كل مكان سحيق. ولما عاين العدو المخذول ذلك، وتحقق المهالك، أرسل يطلب الصلح على ما كان وقع عليه الاتفاق مع الملك الكامل، وقصدوا أن يبلغهم من ذلك ما يأمله منهم كل أمل. ولم نوافقهم على قصدهم، وعملنا على حصدهم. فلما يؤسوا أركنوا إلى الفرار، ولبسوا سواد الليل لئلا يفضحهم ضوء النهار، وتركوا خيامهم خالية، وعلى عروشها خاوية، وكذلك أموالهم وعددهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هارين وما زال السيف يعمل في أدبارهم إلى الليل، وقد حل بهم الحزن والويل. ولما أصبح نهار الأربعاء، وناعي الشتات بهم قد نعى، قتلنا منهم مائة ألف أو يزيدون، ومزقناهم كما مزق الضحاك أفريدون بالسيف، غير من ألقى نفسه في اللجج. وأمّا الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج. والتجأ الفرنسيين إلى المينة وطلب الأمان فأمّنّا، وأخذناه أسيراً، وعلى عوائدنا الجميلة أجريناه، فليأخذ حظه من هذه البشرية، وليعلم أن مع العسر يسرا.

وفيه كلام كثير هذا زبدته، ثم بعث مع الكتاب بغفارية الفرنسيين ملك الفرنج، وهي سقلاط أحمر تحت فرو سنجاب، وفيها بكلة ذهب".

"وبقي الفرنسيين في الاعتقال إلى أن قتل السلطان المعظم ابن الصالح ، فدخل حسام الدين ابن أبي علي^(١) في قضيته على أن يسلم إلى المسلمين دمياط

(١) هو الحسن بن محمد، الأمير حسام الدين الهذباني، توفي سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م - شذرات الذهب (ج ١ ص ٢٩٦).



ويحمل خمسمائة ألف دينار، فأركبوه بغلة وسأقت معه الجيوش إلى دمياط، فما وصلوا إلّا والمسلمون على أعلاها بالتهليل والتكبير، والفرنج الذين بها قد هربوا إلى المراكب وأخلّوها.

فخاف الفرنسيّس واصفرّ لونه، فقال الأمير حسام الدّين: (هذه دمياط قد حصّلت لنا، وهذا الرجل في أسيرنا وهو عظيم النصّرائيّة وقد اطلع على عوراتنا، والمصلحة أن لا نطلّقه) وكان قد تسلطن الملك المعزّ أيّبك الصّالحيّ فقال: (ما أرى الغدر). وأمر به فركب في البحر الرّوميّ في شيني" (١)

وكان ملك فرنسا الأسير لما بدأ التفاوض جعل يفاوض على نفسه وعلى من أسر معه من الفرنسيّين وإذا به يجد نفسه أمام مطالب عظيمة:

🌀 **المطلب الأول :** التخلي عن المدن الساحلية التي سيطر عليها النصاريّ في فلسطين فاعتذر عن هذا الأمر بأنه ليس ملكاً له ولا تحت إدارة دولته وإنما ذلك تابع لمملكة ولد " **فردريك الثاني** " فغض المسلمون الطرف عن هذا المطلب . وانتقلوا معه إلى أمور ومطالب أخرى مقابل الإفراج عنه.

🌀 **الأمر الاول :** أن يدفع ألف ألف دينار ذهبي - أي مليون دينار ذهبي - وهذا المبلغ كان قاصماً للظهر إذ هو مبلغ كبير جداً على أن يتم تسليم النصف وهو لا يزال أسيراً ثم يُطلق سراحه ويبقى الجنود والضباط الكبار

(١) تاريخ الإسلام - ت تدمري (٤٧/ ٥٣).



تحت الأسر حتى يصل إلى بلده أو إلى حيث يريد ويجمع المبلغ المتبقي ويرسل به ثم يتم حينها فك أسر من بقي من الجنود والقادة كان هذا هو الأمر الأول فوافق عليه .

🌀 **الأمر الثاني :** أن يُطلق جميع من في يده من أسرى المسلمين فوافق عليه .

🌀 **الأمر الثالث :** أن يطلق دمياط وينسحب منها انسحابًا تامًا فوافق على هذا.

🌀 **الأمر الرابع :** أن تُعقد هدنة بين الجيش الإسلامي وبين النصارى لمدة عشر سنوات ^(١) فوافق على هذه المطالب وعليه سربال الذل والهوان و سربال العار ^(٢) وهذه هي نتيجة الغرور والغطرسة والاعتداء أو محاولة الاعتداء على هذا الدين العظيم وعلى رجاله وبلدانه هذا فيما مضى أما في أيامنا وعصرنا فقد انقلبت الأمور ولعل الله عز وجل يأتي بأمر وفرج من عنده إنه جواد كريم .

بعد أن وافق " لويس التاسع " على هذه الشروط الأربعة ودفع نصف المبلغ وأطلق سراحه جعل يللم نفسه ويللم بعض أصحابه الذين هم ما بين هارب مذعور وما بين مجروح جرحًا عظيمًا ثم ركب بعض سفنه المتبقية وإلا

(١) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (٣٥/٢) والسلوك لمعرفة دول الملوك (١/٣٦٣).

(٢) كان هذا التفاوض في يوم الأحد الرابع من صفر لعام ٦٤٨ هـ الموافق الثامن من مايو ١٢٥٠ ميلادي.

انظر : الممالك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام ص ١١٨.



فقد غنم المسلمون غنائم عظيمة ومن هذه الغنائم ٨٠ سفينة كانت تابعة للأسطول البحري الفرنسي غنمها المسلمون بعد مقتل جميع من كان فيها من البحارة أو من جنود الأسطول البحري الفرنسي لكن بقيت له بعض السفن اليسيرة التي هي تعتبر في الحقيقة عبارة عن هبة وعطاء من الدولة الأيوبية لهذا الملك الأسير الذي كسر الله قرنه وعرفه قدر نفسه على أيدي أولئك الأبطال فامتطى صهوة تلك السفن إلى حيث حلت رحلها أم قشعم إلى عكا وكان قد حلف الأيمان المغلظة أنه لن يقود أي حملة ضد الإسلام والمسلمين ، ولكنه نقض العهد والميثاق فما إن وصل إلى عكا إلا وبدأ يرتب ويستنجد ويُعد العدة لمهاجمة المسلمين مرة أخرى وقام بحملة بعد مدة زمنية إلى تونس كما سيأتي ذكر ذلك - إن شاء الله - إن رأيت أني أواصل الحديث عن هذا المجرم الأثيم - لعنه الله - وعن حملته التي أطلق عليها بعض المؤرخين الحملة الصليبية الثامنة ^(١)

والتي كانت إلى تونس فإن بدا لي أني أترك الحديث عنها وأتحدث عن غيرها فذاك مما يشاء الله في حينه ^(٢) .

أكتفي بهذا القدر وبارك الله فيكم والحمد لله .



(١) هي الحملة الثامنة والأخيرة في الحروب الصليبية وسبقها سبع حملات: الأولى لفلسطين ٤٩٣ هـ احتلت القدس، الثانية ٥٤٤ هـ أبيدت، الثالثة ٥٨٥ هـ لاسترجاع القدس بعد صلاح الدين فشلت، الرابعة ٥٩٩ هـ لاسترجاع القدس فشلت، الخامسة ٦١٤ لمصر فشلت، السادسة ٦٢٦ هـ للقدس فشلت، السابعة ٦٤٦ هـ مصر فشلت (انظر الدولة الحفصية ١٥٢ - ١٥٨).

(٢) لم أتطرق إليها لأنه بدى لي ترك الحديث عنها وتقديم غيرها عليها من باب تقديم الأهم على المهم.

الحلقة الثامنة عشرة



معركة اقليش (١)

الحمد لله وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

في هذا اليوم الاثنين ١٩ من شهر رمضان لعام ١٤٤٤ للهجرة النبوية نواصل في سلسلتنا "تحفة الأخيار بذكر أهم معارك المسلمين مع عباد الصليب الاشرار" وهذه الحلقة هي الحلقة الثامنة عشرة وسأتحدث فيها- إن شاء الله تبارك وتعالى -عن معركة عظيمة من معارك أهل الإسلام مع الصليبيين وقد تكلمنا كثيراً عن المعارك مع الصليبيين في الشام وأخرنا الحديث عن الجهة الأخرى وهي جهة الغرب فكل ما وقع في الشام ومصر فهو من أحداث أو من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية في الشرق لكن هذه الأحداث التي أخذنا جزءاً منها في الشرق هناك أحداث مثلها أخرى دامية وكبيرة في الغرب وعلى وجه الخصوص في الأندلس حتى إن بابا الكنيسة الكاثوليكية في " روما" عذر الإسبان والبرتغال عن المشاركة في الحملات الصليبية إلى الشام ومصر لانشغالهم بحروب مع أهل الإسلام هناك في الأندلس بل حرّم بعض البابوات

(١) أقليش (ucles): بضم الهمز وسكون القاف وكسر اللام وياء ساكنة وشين معجمة مدينة بالأندلس من أعمال شنت برية، شرقي طليطلة. أسسها الفتح بن موسى بن ذو النون فالمسلمون هم من أنشأها وأسسها ثم سيطر عليها النصارى فيما بعد، بعد سقوط طليطلة.



في الأندلس على نصارى الإسبان والبرتغال التحرك لنجدة إخوانهم أو لمعونة إخوانهم نصارى أوروبا في الشام ومصر لأنهم لا بد أن يقوموا بواجبهم الديني في بلدانهم والحديث عن قصص أهل الإسلام في الأندلس طويل وطويل جداً ومشمتم على أمور منها مفرحة ومنها محزنة وفيه من العجب العجائب شيء كبير وإنما هي مقتطفات وسنتحدث في هذا اليوم عن معركة عظيمة أهمل ذكرها كثير من المؤرخين -للأسف الشديد- مع أنها يصلح أن يُطلق عليها معركة الزلافة الثانية وقد أطلق هذا الاسم عليها بعض المؤرخين .

هذه المعركة كانت أيام الدولة الموحدة وأقصد بالموحدة أي دولة التوحيد وهي دولة المرابطين ولا أقصد بالموحدة دولة الموحدين التي سيأتي الحديث عنها في دروس قادمة.

لكن أقصد في عهد دولة المرابطين الذين أقاموا التوحيد ودعوا إلى العقيدة السلفية الصحيحة فكانت دعوتهم ودولتهم دولة قائمة على الكتاب والسنة وعلى المعتقد الصحيح وعلى مذهب الإمام مالك في الفقه هذه هي دولة المرابطين التي حققت انتصارات عظيمة على الصليبيين في الأندلس والتي كان مركزها في المغرب وأشهر أمرائها الأمير البطل يوسف بن تاشفين عليه رحمة الله الذي جمع بين العلم والعمل والجهاد والعبادة ومحاربة أهل البدع فهو الذي أمر بإحراق كتاب " إحياء علوم الدين " للغزالي لما اشتمل عليه من الأباطيل هذا الرجل أخذنا شيئاً يسيراً من قصته وتعرّف كثير منكم عليه



أثناء حديثنا عن معركة الزلاقة التي وقعت في الأندلس عام (٤٧٩) من الهجرة النبوية لما مرضَ هذا البطل العظيم يوسف بن تاشفين عام (٥٠٠) من الهجرة النبوية ووصل خبر مرضه إلى ملك قشتالة " **الفونسو السادس** " طمع في السيطرة على كثير من بلاد الأندلس فبدأ بالتحرك وكان تحركه عبارة عن بداية لأحداث عظيمة جرت وعرفت منها " **معركة اقليش** " هذه المعركة التي ربما ما سمع بها كثير من المسلمين .

❖ البداية :

قام " **الفونسو السادس** " ملك نصارى قشتالة ^(١) بالتحرك إلى أحواز أشبيليا ونهب وسلب وسبي وقتل من المسلمين وأسر عدداً كبيراً باغتهم بـ (٣٥٠٠) فارس فنزلت بالمسلمين مصيبة عظيمة ثم لحقه أمير أشبيليا واقتتل معه وقتل من جنده (١٥٠٠) ولاشك أن هذه التحركات تنبئ عن جرأة وحقد على الإسلام والمسلمين والعزم على الانتقام من المسلمين في الأندلس من قبل هذا المجرم الأثيم .

(١) قشتالة Castilla إقليم عظيم بالأندلس. يقع حالياً بشمال وسط إسبانيا ويشمل معظم هضبة إسبانيا الوسطى العالية الجافة. والأحواض الرئيسية بها هي أحواض أنهار الدور والأعلى والتاجة والوادي البانع.

وأهم مدن قشتالة مدريد وطليلة وكونسكا. وشتغل السكان بالزراعة ورعى الغنم. وفي سنة (١٠٢٨ م)، سقطت في يد سانكوه الثالث ملك نفار، وجعلها مملكة مستقلة لابنه فرديناند الأول، ووسعت على حساب البلاد الإسلامية، واتحدت مع ليون. وعندما تزوجت إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة من فرديناند الثاني ملك أراجون أصبحت المملكتان مملكة واحدة، وتؤكد الاتحاد حين اعتلى حفيدها شارل العرش سنة (١٥١٦ م). وبعد القرن (١٠ هـ= ١٦ م) أصبحت قشتالة قلب إسبانيا.



مات أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عليه رحمة الله في مستهل شهر محرم عام ٥٠٠ من الهجرة عن مائة سنة تقريباً من العمر قضى معظمه على صهوة جواده مجاهداً في سبيل الله ثم أوصى بالملك من بعده لولده علي بن يوسف بن تاشفين وتمت البيعة لولده المبارك علي ابن البطل العظيم يوسف بن تاشفين ومشى علي هذا على طريقة والده عليهم رحمة الله في الجهاد والعدل والحكم بالإسلام وإقامة شعائر الدين ولما بلغه أن الفونس السادس هجم على بعض مساحات أشبيليا عزم على تأديبه وعلى قتاله فأرسل إلى أخيه الأكبر تميم ابن يوسف بن تاشفين وكان تميم قائد جيوش المرابطين في الأندلس فأرسل إليه أخوه الملك علي بن يوسف وأمره بالإستعداد والترتيب ثم التحرك لمواجهة الفونسو السادس فأخذ أخوه تميم الأمر مأخذ الجد وبدأ يرتب جيشه ويُعد العدة ثم تحرك بجيشه من غرناطة في العشر الأواخر من رمضان لعام (٥٠١) من الهجرة النبوية بعد موت أبيه بسنة فقط وأخذ معه قائدين عسكريين كبيرين هما : محمد بن فاطمة ، ومحمد بن عائشة عليهم رحمة الله وتحرك بجيشه بعد تحديد الهدف حيث أراد الهجوم على " أقليش " وكانت " أقليش عبارة عن مدينة رائعة ذات حصن منيع شمال طليطلة ^(١).

(١) طليطلة: TOLEDO. معناها باللاتينية: فرح ساكنوها، تقع شمال قرطبة وغرب الثغر الأعلى ،



تحرك تميم بن يوسف بجيشه فوصل إلى " أقليمش " يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال.

علم أهل أقليمش ورجال حاميتها من النصارى بهذا الأمر فأرسلوا رسالة يستنجدون بملك قشتالة " الفونسو السادس " وكان مريضاً وقد طعن في السن ورغم أنه قد صار كبيراً هرمّاً لكنه لا يزال يحمل حقداً دفيناً على الإسلام والمسلمين فلما وصلته الرسالة من إخوانه نصارى أقليمش يستنجدون به جهز جيشاً عظيماً جداً وأمر عليه أحد قاداته الكبار " البرهانس " أما هو فقد كان

وطليطلة هي إحدى ولايات الأندلس السبع المشهورات أو الست المشهورات. كانت عاصمة الأندلس قبل دخول طارق بن زياد، وهي مشرفة على ما يليها من الأندلس الى الجنوب، وكانت من أولى المدن التي انتزعت من يد العرب إذ استولى عليها الفونش السادس عام ٤٧٨ هـ وجرّ ذلك الى معركة الزلاقة . وفي معجم البلدان ج٢ ص ٤٠ ياقوت (أنها من أجل المدن الإسلامية وأعظمها خطراً) وفي الكامل في التاريخ ج٨ ص (١٣٨ أنها من - أكبر بلاد الأندلس وأحصنها) .

كانت قاعدة ملوك القوط ومحل اختيارهم، وقد سقطت طليطلة بأيدي النصارى في منتصف شهر محرم سنة ٤٧٨ هـ ولأنها قاعدة الثغر الأدنى فقد كان سقوطها كارثة على الدولة الإسلامية في الأندلس إذ لم يلبث النصارى أن سيطروا على جميع الأراضي الواقعة جنوباً حتى جبال قرطبة وأطلقوا على هذه المنطقة الجديدة فيما بعد اسم قشتالة الجديدة CASTILLA LA NUEVA وللتوسع عن تاريخ طليطلة انظر:

،VOL ،LA DESCRIPTION D-FAL-ANDALUS DA RAZI AL-ANDALUS

P: ٨١ - ٨٢ ،١٩٥٣ ،XVIII



لا يستطيع التحرك لمرضه وكبر سنه فقاد هذا القائد العسكري الجيش وبعث مع الجيش ولده الوحيد " **شانسو** " وكان لا يزال صبياً في الحادية عشرة من عمره وهو ولي عهده بعث به مع الجيش من أجل شحذ الهمم وبث المعنويات في الجيش وكلف به سبعة من الأمراء الكبار يقومون برعايته والعناية به والحفاظ عليه حتى سميت هذه المعركة عند بعض الأوروبيين "**معركة الكونتات السبعة**" أو موقعة الكونتات السبعة" وهم الأمراء والقادة الذين كلفهم " الفونسو السادس " بالتحرك مع ولي عهده الصبي الصغير " **شانسو** " تحرك جيش قشتالة نحو " أقليمش " وكان كما سبق قد سبقه جيش أهل الإسلام فقد وصل تميم بن يوسف بن تاشفين إلى " أقليمش " بجيشه يوم الأربعاء وفي صبيحة الخميس بدأ بمهاجمة المدينة بعد أن ضرب عليها حصاراً ثم افتتحها ودخلها بجيشه في نفس اليوم - يوم الخميس - وكان فيها عدد كبير من المسلمين كانوا قد رضوا بالبقاء تحت حكم النصارى فهي بلدهم سيطر عليها النصارى فمكثوا في البلاد فلما جاء جيش الأمير تميم بن يوسف وافتتح المدينة فرح المسلمون وانضموا إلى جيش المرابطين وأما النصارى فإنهم تحصنوا في قلعة يقال لها القصبه وانتظروا المدد أن يأتيهم من الفونسو السادس وبالفعل بعد عصر يوم الخميس الخامس عشر من شوال عام (٥٠١) من الهجرة النبوية وصل الجيش الصليبي إلى مشارف أقليمش وبدأ كل من الجيشين يستعد للمواجهة و في فجر يوم الجمعة السادس عشر من شوال



عام ٥٠١ هـ من الهجر النبوية الموافق ٢٩ مايو ١١٠٨ م اصطدم الجيشان والتقت الفئتان واقتتلوا اقتتالاً شديداً واستمر القتال بينهم واشتبك بعضهم ببعض ولم تظهر بوادر النصر لأحد الجيشين وصبر كل فريق لقتال الآخر صبراً شديداً وشاء الله أن يحصل شيء أثناء المعركة تنقلب بسببه موازين المعركة حيث خرج الصبي الصليبي الحبيث ابن الحبيث خرج من وسط جيش النصارى وعليه لباس الفرسان وهو على فرس واقتحم معمرة الحرب جهة المسلمين وانطلق وراءه الكونتات السبعة القادة والأمراء النصارى الكبار خوفاً عليه وذباً عنه وأحاط بهم مجموعة من فرسان المسلمين فحاول هؤلاء الكونتات أن يدفعوا عن أميرهم الصغير ولي العهد فعجزوا فسقط قتيلاً ثم قُتل بعض هؤلاء الأمراء وفر الباقون وبسبب ذلك خارت قوى النصارى وهبطت معنوياتهم إلى الأخير وبدأ المسلمون يقتلونهم كيف شاءوا ويلحقونهم إلى حيث يفرون ثم يقتلون من شاءوا ويأسرون من شاءوا وانتهت المعركة بانتصار عظيم لأهل الإسلام بقيادة الأمير تميم بن الأمير يوسف بن تاشفين هذه المعركة التي تذكّرنا بمعركة الزلاقة والتي وقعت بعد موقعة الزلاقة بـ (٢٢) سنة وأحداثها تشابه كثيراً أحداث الزلاقة حتى إنهم بعد أن انتهوا من المعركة وكانوا قد قتلوا من النصارى على قول بعض المؤرخين ثلاثة وعشرين ألفاً من نصارى قشتالة^(١) بعدها أمر الأمير تميم بن يوسف أن تُجمع مجموعة

(١) انظر: روض القرطاس (ص ١٠٤)، وتاريخ المرابطين والموحدين (١١٧-١١٨).



كبيرة من رعوس النصارى ويصعد المؤذن فيؤذن للصلاة من فوق تلك الرعوس كما فعل أبوه في الزلاّقة حينما أمر أن يبني هرم من رعوس النصارى فحصل ذلك وصعد المؤذن فأذن لصلاة الفجر من فوقها وعلى نفس الطريقة سلك الولد المبارك تميم ابن البطل يوسف بن تاشفين فُجمعت أعداد كبيرة من رعوس النصارى وأذن المؤذن للصلاة من فوقها حتى صارت هذه الطريقة كما يذكر بعض المؤرخين طريقة متبعة عندهم أنهم لا يؤذنون للصلاة بعد الانتصار إلا فوق مجموعة كبيرة من جماجم الكفار . وهكذا حقق الله النصر العظيم وتأييده الميين لجيش المرابطين في هذه الموقعة " **موقعة أقليش** " ثم تحرك جيش الأمير تميم بعدها جهة غرناطة راجعاً فرحاً مسروراً وأرسل برسائل البشارات بالنصر إلى أخيه القائد الكبير علي بن يوسف بن تاشفين عليهم رحمة الله أجمعين.

أما الفونسو السادس حينما وصله خبر هذه الهزيمة الساحقة ومقتل ولده وولي عهده نزل عليه كالصاعقة فلم يتمالك نفسه فجعل يتأوه وينوح كما تنوح المرأة الشكلا أمام حاشيته ثم لم يزل به همه وحزنه على جيشه ووحيدة حتى مات مهموماً مغموماً محزوناً بعد هذه الواقعة بيسير^(١) في العام الثاني (٥٠٢) من الهجرة النبوية هذه هي قصة هذه المعركة العظيمة التي أغفل ذكرها كثير من المؤرخين ومع ذلك فلا زالت تذكر في كثير من كتب التاريخ وحتى

(١) دولة الإسلام في الأندلس (٣٤٧/٢).



عند النصارى ويسمونها موقعة الكونتات السبعة لأجل الأمراء الذين سبق ذكرهم (١).

نسأل الله سبحانه وتعالى بكمه وكرمه وجوده وإحسانه كما منّ على أولئك السابقين الصادقين بانتصارات عظيمة على النصارى المجرمين وغيرهم من الكافرين أن يمنّ علينا في هذه الأيام التي اشتدت فيها الظلمة وعمت فيها

(١) لمعرفة المزيد عن معركة أقليمش انظر :

روض القرطاس (ص ١٠٣ و ١٠٤)، وابن عذارى في البيان المغرب (الأوراق المخطوطة - هسبيرس ص ٦٨)، وابن القطان في نظم الجمان (المخطوط المشار إليه، لوحه ٦ و ٧)، ورسالة الأمير تميم الرسمية عن المعركة وهي التي أنشأها الكاتب ابن شرف، وقد نشرناها في باب الوثائق منقولة عن مخطوط الإسكوريال (رقم ٤٨٨) الغزيري لوحات (٥٤ - ٥٨)، ونشرها الأستاذ هويثي في كتابه Las Grandes Batallas de la Reconquista (ص ١٢٠ - ١٢٦). ويشير ابن خلدون إلى المعركة إشارة عابرة (ج ٦ ص ١٨٨). وأورد عنها ابن الكردبوس خلاصة موجزة (كتاب الإكتفا - مخطوط أكاديمية التاريخ السالف الذكر)، ولم يذكرها صاحب الحلل المشوية. ومن المراجع القشتالية F. Codera: Decadencia y Disparicion de los Almoravides، ١٠-٨p.؛ Vol II. p. ٢٠١ & ٢٠٢، ٧٧٨، ٧٧٩، وذيلى الروضتين (١٨٤، ١٨٥)، وتاريخ الزمان لابن العبري (٢٩٤، ٢٩٥)، وتاريخ مختصر الدول، له (٢٥٩، ٢٦٠)، وأخبار الأيوبيين لابن العميد (١٦٠)، والمختصر في أخبار البشر (٣/ ١٨١)، والحوادث الجامعة (١٢١)، ونهاية الأرب (٢٩/ ٣٥٥ - ٣٥٩)، والدر المطلوب (٣٧٩ - ٣٨١)، ودول الإسلام (٢/ ١٥٣، ١٥٤)، والعبر (٥/ ١٩٥، ١٩٦)، والمختار من تاريخ ابن الجزري (٢٢٠ - ٢٢٣)، وتاريخ ابن الوردي (٢/ ١٨٢، ١٨٣)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٣٦ - ٤٠)، ومراة الجنان (٤/ ١١٧)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٧٨)، والعسجد المسبوك (٢/ ٥٧٥)، ومآثر الإنافة (٢/ ٩٣)، وتاريخ ابن خلدون (٥/ ٣٦٠)، والسلوك (ج ١ ق ٢/ ٣٥٥ - ٣٥٨)، وعقد الجمان (١/ ١٧ - ٢٢)، والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٦٤ - ٣٧٠)، وبدائع الزهور (ج ١ ق ١/ ٢٨٠ - ٢٨٣)، وتاريخ ابن سباط (١/ ٣٤٨، ٣٤٩)، وتاريخ الأزمنة (٢٢٩)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٣٩، ٢٤٠)، ومذكرات جوائيل (١٠٨ - ١٦٣)، وحملة لويس التاسع على مصر، للدكتور محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٦١ - (ص ٨٧) وما بعدها، والإعلام والتبيين (٥٧ - ٦١).



الغمة نسأله سبحانه أن يمنّ علينا بانتصار عظيم على النصارى المجرمين
واليهود الغاصبين وأن يطهر الأقصى والشام وجميع بلاد المسلمين إنه جواد
كريم والحمد لله رب العالمين وبارك الله في الجميع.



الحلقة التاسعة عشرة



معركة الأرك (١)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

في هذا اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان لعام ١٤٤٤ من الهجرة النبوية نواصل حديثنا عن الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية وهذه الحلقة هي الحلقة التاسعة عشرة سأحدث فيها - إن شاء الله - عن معركة عظيمة من معارك أهل الإسلام التي خاضها المسلمون ضد النصارى الصليبيين وأبلى المسلمون فيه بلاء حسنا .

هذه المعركة هي من المعارك المنسيات عند كثير من المسلمين رغم أنها من المعارك العظيمة جداً التي وقعت في الأندلس هذه المعركة هي " **معركة الأرك** "

وقعت هذه المعركة - معركة الأرك - بين الجيوش الإسلامية بقيادة الأمير القائد البطل الملك المنصور " **أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن** "

(١) معركة الأرك بالأسبانية (Alarcos): سميت باسم الحصن الذي وقعت عنده وهو " حصن الأرك " يبعد عن مدينة " ثيوداد ريال " الأسبانية الحالية بأحد عشر كيلو متر هذه المعركة وقعت عند هذا الحصن ولا تزال آثار الحصن ولا يزال موقع المعركة معروف إلى يومنا هذا وقد بني في ذلك المكان كنيسة يقال لها " كنيسة القديسة مريم " وبنائها قديمة ما بقي منها إلا بعض البنايات وبعض الآثار .



الموحدي " وهو من أمراء دولة الموحدين ودولة الموحدين هذه قامت على أنقاض دولة المرابطين والفرق بين الدولتين كبير فدولة المرابطين وتسمى أيضاً دولة " **الملثمين** " دولة سنية أما دولة الموحدين فإنها قامت على طريقة ومنهج محمد بن تومرت المغربي مدعي المهديّة و منهجه مبني على عقيدة المعتزلة والأشعرية وبدع ومخالفات كثيرة إلا أن هذه الدولة لها صفحات مشرقة في الذب عن الإسلام والدفاع عنه فهي وريثة دولة المرابطين فدولة المرابطين كانت حصناً لأهل الإسلام في المغرب والأندلس فخلفتها دولة الموحدين وكانت كلما نزلت مصيبة بالمسلمين في الأندلس يرسلون رسائلهم الاستنجادية إلى إخوانهم المسلمين في المغرب سواء في عصر دولة المرابطين أو في الدولة التي جاءت بعدها وهي دولة الموحدين وصار لرجال الدولتين مواقف عظيمة جداً في نصرّة الإسلام في الأندلس تسطر بأقلام من ذهب وقد تحدث عنها كثير من المؤرخين .

ومن هذه المواقف البطولية الرائعة " **معركة الأرك** " معركة الأرك وما أدراك ما معركة الأرك ؟ .

سبب المعركة :

سبب هذه المعركة هو أن النصراني الصليبي " **الفونسو الثامن** " ملك قشتالة نقض العهد الذي بينه وبين أمير دولة الموحدين " يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن " وأرسل بعض قاداته العسكريين الكبار فهاجموا على بعض



البلدان الإسلامية المحادة لقشتالة فسبوا ونهبوا وقتلوا كعادتهم في سفك الدماء والإعتداء على المسلمين والبطش بهم متى قدروا هذا هو دأب النصارى واليهود إلى يومنا هذا.

ثم إن هذا الملك النصراني الإسباني ملك قشتالة " الفونسو الثامن " أرسل رسالة تهديدية شديدة اللهجة إلى الملك المنصور " يعقوب بن يوسف " ذكر بعض المؤرخين أن الذي كتبها للفونسو الثامن يهودي يُقال له ابن الفخار هذه الرسالة التهديدية هي :

(باسمك اللهم فاطر السماوات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح، روح الله وكلمته الرسول الفصيح، أمّا بعد، فلا يخفى على ذي ذهنٍ ثاقب، ولا عقلٍ لازِبٍ ، أنك أمير المِلَّة الحنيفيّة، كما أنا أمير المِلَّة التّصraniّة، وقد علمت ما عليه نوابك من رؤساء الأندلس من التّخاذل والتّوكل ، وإهمال أمر الرعيّة، وإخلادهم إلى الراحة. وأنا أسومهم القهر، فأخلي الديار، وأسبي الذراري، وأقتل الرجال ، ولا عُذر لك في التّخلف عَنْهُمْ وعن نصرهم إذ أمكنتك يد القدرة، وأنتم تزعمون أنّ الله فرض عليكم قتال عشرة منّا بواحد منكم، الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ، وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منّا، لا تستطيعون دفاعا، ولا تملكون امتناعا.

وقد حُكي عنك أنّك أخذت في الاحتفال ، وأشرفت على ربوة القتال، وتُماطل نفسك عاما بعد عام، تُقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى، فلا أدري، الجُبْنُ بظاً



بك أم التّكذيبُ بما وعدك ربّك. ثُمَّ قِيلَ لِي إِنَّكَ لَا تَجِدُ إِلَى جَوَازِ الْبَحْرِ سَبِيلًا
لَعَلَّةٍ لَا يَسُوعُ لَكَ التّقَحّمُ معها. وَهَا أَنَا أَقُولُ لَكَ مَا فِيهِ الرَّاحَةُ ، وَأَعْتَذِرُكَ
وَعَنكَ عَلَى أَنْ تَفِي بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاقِيقِ، وَكَثْرَةِ الرّهَائِنِ، وَتُرْسِلَ إِلَيَّ جَمْلَةً مِنْ
عَبِيدِكَ بِالْمَرَاقِبِ وَالشَّوَانِي، فَأَجُوزَ بِجَمْلَتِي إِلَيْكَ، وَأَقَاتِلَكَ فِي أَعَزِّ الْأَمَاكِنِ
لَدَيْكَ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فَغَنِيمَةٌ كَبِيرَةٌ جَلَبْتَ إِلَيْكَ، وَهَدِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مِثْلَتْ بَيْنَ
يَدَيْكَ، وَإِنْ كَانَتْ لِي كَانَتْ يَدِي الْعَلِيَا عَلَيْكَ، وَاسْتَحَقَّقْتَ إِمَارَةَ الْمَلَّتَيْنِ،
وَالْحُكْمَ فِي الْبَرِّينِ..

فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُهُ إِلَى أَبِي يُوسُفَ اسْتَشْطَاطَ غَضَبًا فَمَزَقَهُ ، وَكَتَبَ عَلَى قِطْعَةٍ
مِنْهُ : ﴿ اَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً
وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٣٧) . [النمل: ٣٧-٣٨] .

الجواب ما ترى لا ما تسمع.

وهذا البيت، وهو للمتنبي:

وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ عِنْدَنَا وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرِمُ ^(١)

وَأَعَادَهُ إِلَيْهِ ثُمَّ أَعْلَنَ الْغَفِيرُ الْعَامَ وَأَمَرَ أَنْ تُقْرَأَ هَذِهِ الرِّسَالَةُ - رِسَالَةُ
الْفُونَسُو الثَّامِنُ - عَلَى الْجُنُودِ وَهَبَّ الْعُلَمَاءُ وَقَامَ الْخُطَبَاءُ وَتَحَرَّكُوا فِي أَنْحَاءِ
الْمَغْرِبِ وَدَوَّتْ صِيحَاتُ الْجِهَادِ وَبَدَأَ الْإِعْدَادُ فَتَجَمَّعَتْ جِيُوشٌ كَبِيرَةٌ مِنْ

(١) (الكامل في التاريخ - تدمري) (١٠/ ١٣٤) . و تاريخ الإسلام للذهبي ت تدمري (٤٢/ ٢٢٧) .



الجيش النظامي للدولة ومن المتطوعين ولم تفصح لنا كتب التواريخ كم كان عدد هذا الجيش إلا أنها اتفقت على أنه جيش كبير ضخم وتحرك القائد المنصور " أبو يوسف يعقوب بن يوسف " عليه رحمة الله وكان هذا الملك من أحسن أمراء دولة الموحدين من أحسنهم ديناً وعقيدةً أثنى عليه أئمة السنة وبعض المؤرخين كالذهبي وابن كثير أثنوا عليه ثناءً جميلاً ومما ذكره عنه أنه كان يُجل العلماء ويُعاقب على ترك الصلاة ومنع الخمر وربما قتل على شرب الخمر وكان يصلي بالناس بنفسه وكان يأمر بجمع العلم فأمر بجمع كتاب في الصلاة من السنن الأربع ومن بعض كتب السنة . كان إماماً عادلاً تقياً عليه رحمة الله وما انتصر هؤلاء الأعلام على أعداء الإسلام إلا بعد أن انتصروا على أنفسهم فانتصروا بعد ذلك على أعدائهم.

تحرك هذا القائد البطل بجيشه الكبير وعبر المضيق - مضيق طارق المعروف - هذا الممر الذي دائماً يتحرك الجيش المغربي عبره لنجدة المسلمين في الأندلس فلما وصل هذا الملك إلى بلاد الأندلس استقبله بعض أمراء الأندلس ووصلت أخباره إلى " الفونسو الثامن " فبدأ هذا الصليبي الحاقد يُعد العدة بكل ما أوتي من قوة وأخذ يرسل بعض ملوك النصارى فوعده بالمدد والعدة وجمع جيشاً عظيماً جداً ذكر بعض المؤرخين أن جيش " الفونسو الثامن " بلغ ما بين مائتي ألف إلى ثلاثمائة ألف مقاتل .



وذكر بعض المؤرخين أنهم كانوا في نحو (٢٠٠) ألف راجل و (٢٥) ألف فارس وهي أعداد ضخمة جداً وتحرك هذا النصراني الخبيث الذي آذى المسلمين مدة ملكه تحرك إلى حدود الدولة الإسلامية في الأندلس إلى قرب هذا المكان وهو حصن الأرك وقريب من قلعة رباح وكان يفضل أن لا تكون المعركة داخل الأراضي القشتالية وإنما يريد أن تكون المعركة إما على أرض أهل الإسلام أو على أقل الأحوال أن تكون على الحدود وأن لا تكون على أرضه.

تحرك كل جيش نحو الآخر جيش الكفار الجرار وجيش أهل الإسلام وقد أوكل الأمير يعقوب بن يوسف قيادته العامة إلى القائد العظيم أبي يحيى هذا البطل الذي قاد الجيش بأهلية وكفاءة وكان من ضمن الخطة العسكرية التي سلكها القائد يعقوب ابن يوسف أنه جعل هذا الأمير - أبا يحيى - في قلب الجيش وجعله يحمل لواء الخليفة - لواء القائد العام - وكان هذا من جملة الكيد الحربي فظن النصارى أن ذلك المكان مكان الأمير يعقوب يوسف الذي هو في القلب وعند الأعلام الخليفية وإنما كان هناك قائد جيشه العام أبو يحيى ^(١) بن أبي حفص تحرك الجيش حتى وصل إلى حصن الأرك ووقعت عيون جيش المسلمين على الكفار فرأوا أعداداً كبيرة جداً تنزل في تلك البقاع كالسيل الجارف وكالبحر الزاخر وكالليل الدامس أعداد كبيرة جداً

(١) انظر : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى (١٨٩/٢).



وكثير من كتائب هذا الجيش لا يكاد يرى منها إلا عيونها مدججة فرسانها
بالأسلحة والحديد بكل ما يقدررون عليه.

كان الجيش النصراني الصليبي يريد أن تكون المعركة يوم الثلاثاء
الثامن من شعبان أول ما التقى الجيشان ففضل الأمير يعقوب بن يوسف أن لا
تكون المواجهة في ذلك اليوم فلم يقيم جيش المسلمين بأي تحرك أو تقدم
فأحجم الجيش النصراني في مكانه ينتظر ما الذي يريده هذا الجيش -
الإسلامي - واستمر جيش أهل الاسلام في الاستعداد وفي صبيحة يوم
الأربعاء ^(١) التاسع من شهر شعبان لعام (٥٩١) من الهجرة النبوية يوافق ذلك
١٨ يوليو (١١٩٥) للميلاد ^(٢) وقبل أن تبدأ المعركة أصدر القائد العام "يعقوب
بن يوسف " توجيهه إلى بعض القادة أن ينادوا في الجيش أن الأمير يطلب
منكم : " أن تغفروا له وأن تعفوا عنه وأن يغفر بعضكم لبعض ويعفوا
بعضكم عن بعض فهذا يوم صفح ، وأخلصوا نياتكم " .

فتأثر الجيش تأثراً كبيراً وبكوا وقالوا: "منكم يطلب الرضا والغفران "
وقام أحد العلماء فألقى خطبة عظيمة مؤثرة ذكر فيها الجهاد وفضله ورغب
فيه وحث عليه فحصل الحماس العظيم وارتفعت المعنويات وتشوق المسلمون
لضرب السيوف ولصهيل الخيول ^(٣) حينئذ جاءت التوجيهات بالهجوم فوق

(١) وفي وفيات الأعيان أن المعركة كانت يوم الخميس التاسع من شعبان من نفس العام المذكور.

(٢) دولة الإسلام في الأندلس (٢٠٢/٤).

(٣) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (٤٧٢/١).



الهجوم العظيم واصطدم الجيشان واقتتل الفرسان وتطاعن الأبطال واصطدمت الخيول بعضها ببعض وفارت الدماء وسالت ، وتطايرت الرءوس ، وتناثرت الأشلاء ، وعظم الخطب ، واشتد الكرب واستمر أبطال الإسلام في كر وفر مع الكفار ، في معركة عظيمة جداً وحاول النصارى أن يكرسوا جهودهم في الهجوم على قلب جيش أهل الإسلام ظناً منهم أن ذلك المكان هو موقع القائد العام " أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن " واقتتل المسلمون مع الكفار في قلب الجيش اقتتالاً عظيماً سقط على إثره القائد البطل أبو يحيى الذي ولاه القيادة أمير المسلمين يعقوب يوسف سقط قائد جيشه مزرعاً بدمه وكادت أن تحصل نكسة وكاد أن يحصل أمر عظيم من الهزيمة لولا أن الله ثبت قلوب عباده فصبروا صبراً عظيماً واستمر القتال من صبيحة يوم الأربعاء وحتى غروب شمسها ثم إن الله تبارك وتعالى أنزل نصره وأيد عباده وقذف الرعب في قلوب الكافرين فجعلوا لا يلوون على شيء وأهل الإسلام يوسعونهم قتلاً وضرباً وأسراً وفر مجموعة من النصارى إلى الحصن فتحصنوا فيه وأما الفونسو الثامن فقد كانت تحيط به كتيبة مكونة من عشرة آلاف مقاتل من أشرس الفرسان تصدت لهجمات شرسة وعنيفة جداً من قبل أبطال المسلمين حتى تشققت وتفرقت وتمزقت جموع تلك الكتيبة ولم يبق حول الملك الفونسو الثامن إلا ثلاثون فارساً وكاد أن يُقتل وهو يقسم ألا يتزحزح من المعركة فسحبه بعض جنده ودفعوا به دفعاً شديداً حتى أخرجوه من ساحة



المعركة حينما شعروا بالخطر الكبير عليه ^(١) فأخذوه وأخرجوه من ساحة المعركة واستمر المسلمون يلاحقون أعداء الإسلام وكانوا يظنون أن القائد القشتالي النصراني مع من فر إلى القلعة أو إلى الحصن وتحصنوا فيها فأطبقوا الحصار عليها ثم تبين لهم بعد أنه ليس فيهم وإن كان في القوم قادة كبار ومجموعة ليست باليسيرة في نحو خمسة آلاف من النصارى الذين تحصنوا في ذلك الحصن فأطبقوا عليهم الحصار ثم جرت المفاوضة بين الفريقين وانتهت على أن يُفتح لهم الطريق فيخرجون وينجون بأنفسهم بشرط أن يطلق النصارى كل من بأيديهم من أسرى المسلمين واتفق الطرفان على هذا وأُتيح المجال للنصارى الذين كانوا قد حوصروا في القلعة فخرجوا هاربين لا يألون على شيء وأطلق سراح أسارى المسلمين ثم قام المسلمون بجمع الغنائم .

ماذا عسى أن يقول القائل عن تلك الغنائم العظيمة التي اتهم بعض المؤرخين بالمبالغة لكثرة ما ذكر من القتل في هذه المعركة ومن الأسرى ومن الغنائم .

❖ عدد قتل الطرفين :

أما حصيلة قتل الطرفين فيذكر كثير من المؤرخين أن عدد قتل المسلمين بلغ عشرون ألفاً (٢٠٠٠) وهذا عدد متوقع لعظم المعركة وشدة المواجهة مع عِظم جيش الكفار أما قتل الكفار فذكر بعضهم أنه بلغ مائة وستة وأربعون

(١) دولة الإسلام في الأندلس (٢٠٩/٤).



ألفا (١٤٦، ٠٠٠) وأن عدد الأسرى ثلاثون ألفاً^(١) وبلا شك أنهم آلاف كثيرة وأعداد كبيرة جداً امتلأت ساحات المعركة بأكوام من الجثث وأما الغنائم فقد غنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً .

❖ قال ابن الأثير رحمه الله: وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا عَظِيمًا، فَمِنْ الْخِيَامِ مِائَةُ أَلْفٍ وَثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا، وَمِنْ الْخَيْلِ سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا، وَمِنْ الْبَعَالِ مِائَةُ أَلْفٍ، وَمِنْ الْحَمِيرِ مِائَةُ أَلْفٍ.^(٢)

وَكَانَ يَعْقُوبُ قَدْ نَادَى فِي عَسْكَرِهِ: مَنْ غَنِمَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ سِوَى السَّلَاحِ، وَأَحْصَى مَا حُمِلَ إِلَيْهِ مِنْهُ، فَكَانَ زِيَادَةً عَلَى سَبْعِينَ أَلْفَ لَبْسٍ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَ عِشْرِينَ أَلْفًا.

❖ وَقَالَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ: جَاءَ بِهَا الْكُفَّارُ لِحْمَلِ أَثْقَالِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا إِبِلَ لَهُمْ قَالَ وَأَمَّا الْجُواهرِ وَالْأَمْوَالُ فَلَا تَحْصَى وَبِيعَ الْأَسِيرُ بِدِرْهَمٍ وَالسِّيفُ بِنِصْفِ دِرْهَمٍ وَالْفَرَسُ بِخُمْسَةِ دَرَاهِمٍ وَالْحِمَارُ بِدِرْهَمٍ وَقَسَمَ الْمَنْصُورُ الْغَنَائِمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِمُقْتَضَى الشَّرْعِ كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ^(٣) .

وقد كان " الفونس الثامن " لما تحرك بجيشه أعلن لمن أراد من تجار اليهود أن يتحرك معه ليشتري من سبايا وأسرى وغنائم المسلمين ما يريد، فتحرك

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٤٤٣/١).

(٢) الكامل لابن الأثير (١٣٤/١٠).

(٣) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١٩٢/٢).



معه مجموعة من تجار اليهود ومعهم الأموال ^(١) والنصر في ظنهم لهم مضمون وجاء التجار ليشترو المسلمين الذين سيقعون أسرى في أيدي الكفار وانتهت المعركة وأسدل الستار على أولئك التجار الذين ولوا الفرار ولم يُر ورائهم إلا الغبار انتهت المعركة بانتصار عظيم لجيش المسلمين بحمد من الله عز وجل .

كان هذا هو خبر هذه المعركة التي تضاهي معركة الزلاقة ^(٢) أو تزيد عليها كما نص على هذا بعض المؤرخين .

ما خبر الفونسو الثامن ؟

أما " الفونس الثامن " لما خرج ناجياً بنفسه مع ٣٠ فرد من حراسه عَظَم عليه الخطب جداً ولم يستطع أن يتحمل المأساة فحلق رأسه وحلق لحيته ونكّس الصليب وحلف الأيمان المغلظة أنه لن يركب خيلاً ولا فرساً ولا بعيراً وأنه لن ينام على فراش ولن يُجامع أهله حتى يأخذ بثأره من المسلمين وظل ينتقل من مكان إلى آخر يطلب النصرة والنجدة ولا يسمع ملوك النصارى منه إلا العويل والصراخ والاستنصار فجمعت له أعداد كبيرة من المقاتلين فتحرك بهم يريد أن يأخذ بثأره من المسلمين لما حصل له ولجيشه منهم في " موقعة الأرك " فالتقى به قائد المسلمين " أبو يوسف يعقوب بن يوسف " الملك المنصور عليه رحمة الله فلقنه درساً كالدرس الأول وألحق به هزيمة كالأولى وذلك في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة للهجرة ^(٣)

(١) بغية الملتبس (٤٥).

(٢) المعجب (٢٨٣).

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٣٥/١٠).



فلله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ونسأل الله سبحانه وتعالى كما أفرحنا
بهذه الأخبار السارة أن يُفرحنا بأخبار انتصار معجل في هذا العصر على إخوان
القردة والخنازير في فلسطين وعلى اليهود والنصارى في مشارق الأرض
ومغاربها إنه على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين ^(١).



(١) لمعرفة المزيد عن هذه المعركة انظر: المراكشي: المعجب، (ص ٣٨٢)، ابن عذاري: البيان المغرب

(٣ / ١٩١ - ١٩٥)، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، (ص ٢٢٢ - ٢٢٣)، يوسف أشباخ تاريخ الأندلس، (ص

الحلقة العشرون



معركة العقاب ^(١) (٦٠٩هـ / ١٢١٢م) :

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

في هذا اليوم ٢٢ من رمضان لعام ١٤٤٤ من الهجرة النبوية ونحن في الدرس العشرين من " مقتطفات من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية " وسأتحدث في هذا الدرس عن معركة من المعارك العظيمة الكبيرة التي وقعت بين المسلمين والنصارى في الأندلس هذه المعركة لها آثارها الكبيرة على نفوس النصارى والمسلمين ، ألا وهي معركة العقاب .

متى وقعت هذه المعركة ؟

وقعت هذه المعركة في يوم الاثنين الخامس عشر من صفر لعام (٦٠٩) من الهجرة النبوية ويوافق ذلك السادس عشر من يوليو (١٢١٢) للميلاد .

(١) "معركة العقاب" بضم العين وقد وهم بعضهم فقال " معركة العقاب " بكسر العين وسميت بمعركة "العقاب" نسبة إلى حصن أموي قديم في المكان الذي وقعت فيه المعركة أما الإسبان ونصارى أوروبا فيطلقون عليها " معركة لا نافاس دي تولوسا " أي معركة وادي نافاس .



من هو قائد المسلمين في هذه المعركة ؟

قائد المسلمين في هذه المعركة هو الأمير الرابع من أمراء دولة الموحدين في المغرب وهو " **الملك الناصر محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي** " (١).

وقعت هذه المعركة بعد معركة الأرك التي تحدثنا عنها في الحلقة الماضية بنحو ١٧ سنة وقد ذكرنا أن معركة الأرك كانت عام (٥٩١هـ) للهجرة بقيادة الملك المنصور أبي يوسف يعقوب بن يوسف (وحصل فيها نصر عظيم للمسلمين وكسر الله فيها شوكة المجرمين الكافرين ونكّس الله أعلام الصليبيين في تلك المعركة التي سبق ذكرها وحاول الفونسو الثامن أن يثأر لنفسه بعد أن حلق لحيته ورأسه ونكّس الصليب فكانت الضربة الثانية بعدها بوقت يسير ثم توفي أمير دولة الموحدين " **يعقوب بن يوسف** " وتمت البيعة من بعده لولده " **محمد بن يعقوب** " وأطلق على نفسه أو أطلق عليه " **الملك الناصر** " وأبوه كان يقال له " **الملك المنصور** " .

(١) هو الناصر لدين الله محمد بن يعقوب المنصور بالله أمير الموحدين ببيع له بعد وفاة أبيه سنة ٥٩٥هـ، وكان قد استرد تونس والمهدية وما كان استولى عليه علي بن غانية من إفريقيا كما استولى على طرابلس الغرب وانتزعها من الأمير قراقوش المصري كما انتزع جزيرة ميورقة وما حولها من الجزر جزر البليار من بني غانية وكانوا نواب المرابطين فيها، وقاتل الأسبان فهزموه في وقعة العقاب عام ٦٠٩هـ ولما عاد إلى مراكش أخذ البيعة لولده يوسف الملقب بالمستنصر بالله ثم احتجب هو في قصره إلى أن مات في هذا العام، أي عام ٦١٠ للهجرة الموافق ١٢١٣ م .



هذا الملك الناصر محمد بن يعقوب واجه مشكلات كثيرة وكان من أعظم المشكلات التي واجهها مشكلة الثورات الداخلية والتي كان يتزعمها بنو غانية وكانوا قد سيطروا على مناطق وبلدان كثيرة في أفريقيا لاسيما في شمالها فخمدها ما بين خمسمائة وخمسة وتسعين (٥٩٥) إلى خمسمائة وسبعة وتسعين (٥٩٧) من الهجرة النبوية .

وكان ملك النصارى ملك مملكة قشتالة " الفونس الثامن " لا يزال يتجرع غصص الهزيمة التي نزلت به في معركة الأرك ولا يزال يسعى جاداً وجاهداً للانتقام من المسلمين وللأخذ بالثأر فبدأ يعمل على توحيد ممالك النصارى في إسبانيا فجمع بين مملكة " قشتالة " التي هو ملكها و مملكة " ليون " و مملكة " أراجون " فوحد كلتهم وجمع جيشاً عظيماً يصل إلى (٤٠٠,٠٠٠) ثم إنه راسل بابا الكنيسة الكاثوليكية (**اينوصان الثالث**) وطلب منه العون والمباركة والوقوف إلى جانبه في حملته الصليبية هذه التي يريد أن ينتقم فيها من المسلمين ومن الإسلام نفسه فشجعه بابا الكنيسة (**اينوصان الثالث**) لا سيما وقلب هذا البابا يتلظى حقداً وحسرة وغیظاً على المسلمين لما لحق بهم من هزائم ونكسات عظيمة بالحملات الصليبية في الشام فهو يتقطع غيظاً وفرح بهذا الأمر وبهذه الدعوة التي يدعو إليها " الفونسو الثامن " فدعى النصارى في أوروبا إلى الوقوف مع هذا الملك لمحاربة المسلمين ودعا النصارى إلى صيام ثلاثة أيام تقريباً للرب حتى ينصر هذا الجيش وهذه الحملة وحث



الرهبان وحتى الراهبات على الوقوف إلى جانب هذه الحملة فتحرك جيش كبير يتقدمه الأمراء والملوك ويتقدمه الرهبانة والرهبايات يمشون حفاة وهم يدعون ويتضرعون وهم حاملوا الصليب .

وصل هذا الخبر إلى الملك الناصر " محمد بن يعقوب " فما كان منه إلا أن دعا إلى الجهاد وأعلن النفير العام في المغرب وفي شمال أفريقيا فاجتمع له عدد كبير من المسلمين ثم تحرك من المغرب واجتاز مضيق طارق بعدد يزيد على مائتي وخمسين ألف (٢٥٠٠٠٠) مقاتل منهم المتطوعون ومنهم الجيش النظامي المدرب على القتال تحرك هذا الملك فوصل إلى الأندلس ثم قرر أن يقوم بمحاصرة القلعة النصرانية التي يقال لها " **سلبطرة** " وهي قلعة حصينة منيعة والفائدة من اقتحامها ليست كبيرة لكن شيء أراد الله قرر الملك القيام بمحاصرة هذه القلعة فحاصرها وطالت مدة الحصار حتى وصلت إلى ثمانية أشهر ومعلوم أن هذه المدة تسبب مللاً وضعفاً وكلفت المسلمين جهوداً كبيرة وأعداء الإسلام في استعداد متواصل ولما وصل الخبر إلى " الفونسو الثامن " أن المسلمين يحاصرون هذه القلعة النصرانية اتجه مباشرة إلى " **قلعة رباح** " ^(١) فحاصرها وقلعة رباح هذه سيطر عليها المسلمون قبل هذه المدة

(١) قلعة رباح Calatrava من عمل مدينة جيان، تقع بين قرطبة وطلليطة، وتوصف بأنها مع مدينة طليطيرة حد فاصل بين أرض النصارى وأرض المسلمين، وفي العصر الحالي تتبع المدينة الملكية Ciudad real في إقليم لامنشا La Mancha. وقلعة رباح تبعد عن هذه المدينة بإثني عشر كيلو متر إلى الشمال الشرقي منها، واكتسبت اسم رباح نسبة للتابعي الشهير علي بن رباح اللخي الذي دخل الأندلس مع موسى بن نصير رحمهما الله تعالى. وقد سقطت قلعة رباح مع طليطلة في يد



بوقت ليس باليسير وكان فيها حامية إسلامية ورجال قتال ولكن العدد قليل وكان يقودهم القائد الأندلسي المحنك البارع " أبو الحجاج يوسف بن قادس " فوجئ المسلمون في قلعة رباح بالحصار المطبق عليهم بحافل هائلة من القوة الصليبية النصرانية فشعر هذا القائد المسلم بالخطر العظيم وأنه بين أمرين أحلاهما مر إما أن يصبر هو ومن معه فتكون النتيجة الهلاك المحقق ولكن بعد حين وإما أن يفاوض قائد النصارى " الفونسو الثامن " لعله يخرج إلى نتيجة معه وكان هذا رأي سديد فإنهم في بلدة بعيدة عن الجيش الإسلامي وقد طوقهم هذا العدو الغاشم من كل مكان فلو استطاع أن يخرج مجلده وبأصحابه وإخوانه بسلام فهذا يعتبر مغنم كبير فعرض هذا القائد الأندلسي على قائد الحملة الصليبية القشتالية أن يسلم له القلعة بما فيها من المؤن والسلاح مقابل أن يأذن له بالخروج هو ومن معه من المسلمين فوافق هذا المجرم الأثيم على هذا وكان هذا فرج من الله سبحانه وتعالى فخرج المسلمون من قلعة رباح لا يحملون شيئاً إلا أنفسهم وحصلت ضجة كبيرة من كثير من المتشددین النصارى المتعطشين لدماء المسلمين وانتقدوا " الفونسو الثامن " وقالوا نحن ما خرجنا إلا للقضاء على هؤلاء وذبحهم كالنعاج والقضاء عليهم

الفونسو السادس ملك قشتالة وذلك سنة ٤٧٨ هـ ثم استعادها أبو يوسف يعقوب المنصور الموحي بعد انتصاره في معركة الأرك سنة ٥٩١ هـ، ثم خرجت من أيدي المسلمين نهائياً عندما استولى عليها الفونسو الثامن ملك قشتالة سنة ٦٠٩ هـ، وقد أصبحت فيما بعد مقراً للنظام الديني الرهباني المسمى La order de calitrava الذي تجرد لمحاربة المسلمين، انظر المقتبس، تحقيق د. محمود مكي التعليق رقم ٤٧٨، الحلة السيرة ١٧٧ / ٢ حاشية رقم ٣، الروض المعطار ص ٤٦٩.



من أصلهم فكيف تخلي سبيلهم يمشون بأمان فانتقدوا هذا القائد انتقاداً شديداً حتى ذكر بعض المؤرخين أنه انفصل عن جيش هذا القائد خمسون ألف (٥٠٠٠) ورجعوا نحو بلدانهم وطعنوا في القيادة أما المسلمون الذين خرجوا من قلعة رباح فقد كانت خطة القائد العظيم أبو الحجاج أن يتحيزوا إلى جهة المسلمين ويقاتلوا هؤلاء الأعداء مع المسلمين فكان رأياً سديداً إلا أنه للأسف الشديد لما وصلوا إلى الجيش الإسلامي أشار أحد وزراء السوء وهو " أبو سعيد بن جامعة " من وزراء الأمير محمد بن يعقوب أشار هذا الوزير على الأمير بقتل هذا القائد بتهمة الخيانة و التخلي عن الموقع وتسليمه لأعداء الإسلام فكان الخطأ الفادح من القائد محمد بن يعقوب حينما أصدر حكمه بقتل هذا القائد فقتل ظلماً وبغياً ثم رأى الملك الناصر محمد بن يعقوب أن القضية تستدعي التحرك السريع فعمل على مهاجمة قلعة سلبطرة هذه وافتتحها سريعاً ثم تحرك نحو الجيش الصليبي القشتالي والتقوا في " وادي العقاب " ^(١) وهو الوادي الذي فيه الحصن الأموي حصن العقاب القديم ^(٢) وكان من جملة الأخطاء التي وقع فيها الأمير محمد بن يعقوب خطأ يتعلق بترتيب الجيش وذلك أنه جعل المتطوعين في المقدمة والجيش النظامي في الخلف وهذه طريقة خاطئة فالمتطوعون وإن كان يغلب عليهم الحماس وتغلب عليهم الحمية وعندهم من

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب (٢٣٥).

(٢) وهو باسمه الإسباني حصن فرّال أو كاستروفرال Castro Ferral الواقع في قمة جبل الشارات، والذي استولى عليه القشتاليون قبيل المعركة ثم تركوه ليعبروا الجبل من الناحية الأخرى .



الاندفاع شيء كبير لكنهم في الغالب يفتقدون إلى التدريب والإعداد المسبق والخبرة القتالية الكبيرة فكان الأولى أن تكون كتائب المتطوعين في الخلف وأن يكون الجيش النظامي المدرب في الأمام فتكون كتائب المتطوعين درع وسند للمقاتلين الأساسيين .

عدّ بعض المؤرخين هذا الفعل من أخطاء القائد محمد بن يعقوب ولا شك أنه من الأخطاء التي كانت سبباً لوقوع الكارثة ومن جملة الأخطاء أن هذا القائد الملك الناصر جعل على ميمنة الجيش الجنود الأندلسيين أهل الأندلس وكثير من الأندلسيين قد جرحوا جرحاً عميقاً بمقتل قائدهم أبي الحجاج يوسف بن قادس فأصيب بعضهم بالحنق الشديد على القائد وبعضهم كانت قد هبطت معنوياتهم إلى الصفر - كما يقال - فكان هذا أيضاً من سوء التدبير فلما التقى الجيشان وذلك في صبيحة الخامس عشر من صفر لعام (٦٠٩) من الهجرة النبوية انطلقت كتائب المتطوعين انطلاقاً شديداً إلى قلب الجيش القشتالي وبدءوا يخترقونهم ويهجمون هجمات شديدة جداً لكنهم تفاجئوا بصد كبير ووجدوا أنفسهم أمام سور أو حصن بشري من القوة القشتالية الصليبية النصرانية المتدربة فحاولوا اقتحامها ولكنها كانت محاولات فاشلة انتهت بمصرع كثير من المتطوعين وقُتل آلاف منهم ثم إن كتائب من الجيش القشتالي النصراني قامت بهجمة معاكسة على قلب الجيش الإسلامي واصطدموا معهم اصطداماً كبيراً واستطاعت القوة الإسلامية في قلب الجيش



الإسلامي أن تصد الهجمة ببسالة وثبات كبير إلا أن المعنويات في الجيش الإسلامي بدأت تهبط بشكل كبير ومما يدل على ذلك أنهم أثناء المواجهات والقتال الشديد تفاجأ الجيش الإسلامي بانسحاب الميمنة بكاملها ومعنى هذا أن الجيش الأندلسي انسحب بكامله وحينئذ شعر النصارى بالفرصة العظيمة فطوقوا الجيش الإسلامي من يمينته وصار القتال شديداً عظيماً جداً ولكنه صار قتال غير متكافئ فقد صار كثير من الجنود المسلمين يقاتل قتالاً من لا يدري أين يتجه وكيف يتصرف وأولئك يقاتلون قتالاً مرتباً ومخططاً محكمة فحصل الارتباك الشديد في أوساط المسلمين وولى بعضهم الفرار وثبت منهم من ثبت وقتل منهم خلق كثير وانتهت المعركة للأسف الشديد بانتصار كبير لأولئك المجرمين الكافرين النصارى الصليبيين وتبدد الجيش الإسلامي وخارت قواه وصار من نجا منهم لا يلتفت إلى شيء إلا كيف ينجو بنفسه وهكذا حصل أمر أراد الله .

يقول بعض المؤرخين بأن انسحاب جنود الأندلس من الميمنة كان عبارة عن انتقام منهم متعمد من القائد المسلم الموحي محمد بن يعقوب لما قام به من قتل للقائد الأندلسي أبي الحجاج يوسف بن قادس ، ومنهم من يقول بأن الانسحاب حصل نتيجة سقوط المعنويات وضعفها في أوساط المسلمين لا سيما بعد انكسار الهجمة الشديدة التي وقعت من المسلمين المتطوعين على



قلب الجيش القشتالي وما جرى بعدها من هجمة أخرى من قبَل النصارى على قلب الجيش المسلم وربما كان هذا هو السبب الحقيقي والله تعالى أعلم .

لكن الخلاصة أن المعركة كانت لها آثارها السيئة جداً على المسلمين عموماً وعلى أهل الأندلس وأهل المغرب على وجه الخصوص فأما أهل الأندلس فإن هذه المعركة كانت بدايه سقوط الأندلس ذلكم السقوط المدوي المروع الذي لعلنا نتحدث عنه في درس قادم إن شاء الله أعقبها انتكاسات خطيرة في النصف الأول من القرن السابع الهجري. فقد سقطت **(ماردة)** و **(بطليوس)** سنة ثمان وعشرين وسبعمئة، و **(أبدة)** سنة إحدى وثلاثين، و **(قرطبة)** سنة ثلاثٍ وثلاثين، ثم **(بلنسية)** و **(شاطبة)** و **(دانية)** سنة ستٍ وثلاثين، ثم **(مرسية)** سنة إحدى وأربعين، وأخيراً **(إشبيلية)** سنة ستٍ وأربعين وستمئة. وهكذا تهاوت حواضر الأندلس الشهيرة، الواحدة تلو الأخرى في ملحمة مأساوية وهكذا كانت هذه الهزيمة الكبيرة التي لم يمر بتاريخ الإسلام هزيمة مثلها في الأندلس إلا ما كان في معركة "بلاط الشهداء" و ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١] ولله سبحانه وتعالى في خلقه شئون وله تبارك وتعالى الحكم البالغة .



ومن نتائج هذه المعركة أنها كانت بداية سقوط دولة الموحدين فإنها لم تمكث بعد هذه المعركة إلا مدة يسيرة ثم تلاشت وتمزقت وأُسْدِلَ عليها الستار كما أُسْدِلَ الستار على دولة المرابطين قبلها .

بهذا نكون قد انتهينا من ذكر هذه المعركة وتفاصيل أحداثها باختصار وإيجاز ^(١) نسأل الله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يوفقنا وجميع المسلمين لكل خير وأن ينصر الإسلام وأهله في مشارق الأرض ومغاربها وأن يرحم من قُتِلَ من المسلمين في مواجهة أعداء الإسلام من السابقين واللاحقين إنه على كل شيء قدير وبارك الله فيكم .
والحمد لله رب العالمين .



(١) تاريخ الإسلام للذهبي (٣٩/٤٣).

❖ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٣٨٣/٤).

❖ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٢٢٣/٢-٢٢٤).

❖ دولة الإسلام في الأندلس روض القرطاس

❖ روض القرطاس (١٥٨-١٥٩).

الحلقة الحادية والعشرون



معركة طريف (١)

الحمد لله وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

هذه هي الحلقة الحادية والعشرون من سلسلة " مقتطفات من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية " وقد ذكرت في مقدمة هذه السلسلة أن المقصود بالصليبية الأمة النصرانية أو الجيوش النصرانية الحاقدة على الإسلام والمسلمين التي تعبد الصليب وتتخذ الصليب شعاراً لها و تحرص على حمله أثناء حربها ضد الإسلام والمسلمين فلأجل هذا عُرفت بالأمة الصليبية وقد تكلمت في الحلقة الماضية عن " **معركة العقاب** " وذكرنا أنها وقعت في الأندلس بين المسلمين بقيادة الملك الناصر محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أحد أمراء دولة الموحدين وبين النصارى الصليبيين بقيادة " الفونسو الثامن " ملك قشتالة وذكرنا أنها انتهت بهزيمة لحقت المسلمين وكان لها أثر كبير على المسلمين لا سيما في الأندلس وعلى دولة الموحدين وفي هذا اليوم نذكر معركة أخرى من المعارك العظيمة التي وقعت بين جيوش الإسلام وجيوش الكفر الصليبيين .

(١) هذه المعركة معروفة ومشهورة بـ " معركة طريف " أما الإسبانىون فإنهم يطلقون عليها معركة " ريو سالاد " لاسم نهر وقعت عنده هذه المعركة .



وقعت معركة طريف بين المسلمين وهم جيوش دولة بني مَرين^(١) التي قامت على أنقاض دولة الموحدين في المغرب وانضمت إليهم أيضاً جيوش الأندلس بقيادة "أبي الحجاج يوسف بن الأحمر" ملك غرناطة وبين النصارى.

❖ تمهيد

قامت دولة " بني مَرين " بعد سقوط دولة الموحدين وكان لسقوط دولة الموحدين أسباب كثيرة .

منها : معركة العقاب التي سبق ذكرها.

ومنها : الثورات الداخلية أشهرها ثورة بني غانية.

ومنها : الظلم العظيم الذي أنزله رجال دولة الموحدين بالمرابطين وسفكهم للدماء المسلمة إضافة إلى أسباب أخرى أدت إلى سقوط دولة الموحدين ثم بعد سقوط دولة الموحدين تشظت المغرب وتجزأت وهكذا أيضاً تجزأت الأندلس

(١) بنو مَرين : قبيلة كبيرة من عرب المغرب فيهم شجاعة مُفرطة وإقدام. كان مُقامهم بالريف الجنوبي من أرض تازة. ولَمَّا رأوا ضعف دولة بني عبد المؤمن نزعوا الطاعة، وتابعوا الغارة واستفحل أمرهم واقتلعوا فاس من الموحّدين واستولوا عليها في سنة تسع وثلاثين وستمائة. فأول من قام بالزعامة منهم أبو بَكْر بن عَبْد الحَق بن محيُو بن حمّامة المَرينيّ. ثُمَّ سار بعساكره وضايق بني عَبْد المؤمن إلى أن مات في سنة ثلاث وخمسين، فتملّك بعده أخوه يعقوب بن عَبْد الحَق، فقوي أمره، وكثرت جيوشه، فحاصر أبَا دَبُوس إلى أن أَخَذَ منه مَرَاكِش، وزالت أيام بني عَبْد المؤمن، ثُمَّ إِنَّه فتح سَبْتَةَ في سنة اثنتين وسبعين ثُمَّ وتملّك بعده ابنه السّلطان يوسف بن يعقوب ودانت له الأُمم إلى أن قتل سنة ست وسبعمائة.

انظر :

❖ تاريخ الإسلام ت دمري (٣٨٧/٥٠).



وظهرت دويلات في الأندلس فحصلت عليهم في عهد أبي الحجاج يوسف بن الأحمر غزوات متكررة من ملك قشتالة " **الفونسو الحادي عشر** " واستمر البطش والتحرش من هذا المجرم بالمسلمين مما استدعى أن يرسل أبو الحجاج رسالة استنجد إلى زعيم دولة بني مرين وهو " **أبو الحسن علي بن عثمان المريني** " أرسل يستنجده فما كان من أبي الحسن علي بن عثمان المريني إلا أن جهز جيشاً كبيراً وجعل عليه ولده " **أبا مالك** " قائداً على هذا الجيش وتحرك أبو مالك في جيشه فاجتاز سهول المدينة الخضراء وهي مقدمة الأندلس ثم اجتاحت كثيراً من بلدان النصارى وغنم غنائم كثيرة وانتصر انتصارات عديدة وفي هذه المدة غير الصليبيون خطة المواجهة فجهزوا أسطولاً بحرياً وقصدهم أن يمنعوا أبا مالك من العودة إلى المغرب وأن يقطعوا عنه الإمدادات التي تأتيه من أبيه في المغرب من دولة بني مرين ثم يتفرغون بعد ذلك للقضاء عليه ومواجهته وبالفعل تحرك الأسطول البحري فوصل إلى مضيق طارق ويطلق عليه بعض المؤرخين بالزقاق .

وصل هذا الأسطول الإسباني النصراني إلى مضيق طارق وتمركز في ذلك المكان فلما جاء أبو مالك يريد أن يرجع إلى المغرب باغته الجيوش الصليبية في أحد الأودية فاقتتل معهم اقتتالاً شديداً وانتهت المعركة بمقتله رحمه الله وانكسار جيشه فوصل الخبر إلى أبيه " أبي الحسن علي بن عثمان المريني " في المغرب فاحتسب ولده ثم عزم على الانتقام من النصارى وتأديبهم فأعلن



الجهاد وأعلن النفير العام واحتشد معه خلق كثر من المسلمين الذين كانوا يغلب عليهم حب الجهاد ويتطلعون إلى مواجهة أعداء الإسلام فكانوا يعيشون في عز وتمكين وحياة سعيدة فتحرك خلق كثير منهم وجهاز هذا الملك أسطولاً بحرياً زادت سفنه على مائة سفينة ثم كان التحرك من ميناء " **سبتة** " على السفن فوصلوا إلى مضيق طارق فصاروا هم والنصارى قريب من بعض في المضيق لا سيما في بعض جوانبه فالتقى الأسطولان الأسطول البحري المغربي والأسطول الإسباني النصراني فاقتتلوا اقتتالاً شديداً وجرت معركة بحرية عظيمة انقضى فيها أبطال الإسلام على أولئك المجرمين النصارى وبطشوا بهم بطشاً عظيماً ونكلوا بهم وسيطروا على سفنهم بعد أن أوسعوهم قتلاً ورموا ببعضهم في البحر ثم أخذوا السفن التابعة للنصارى وجروها إلى ميناء سبتة ^(١) وجاءت رسائل التهنئات بهذا النصر العظيم الذي حققه المسلمون في هذه المعركة البحرية بقيادة أبي الحسن علي بن عثمان ثم عزم هذا القائد ملك المغرب على المواصلة فوصل إلى " **جزيرة طريف** " وجزيرة طريف هذه ذكرناها في دروس " **غزوات ومعارك رمضان** " في السنة الماضية وذكرنا أن سبب تسميتها بهذا هو أنه لما عزم " **موسى بن نصير** " أن يفتح الأندلس استأذن من خليفة المسلمين يومئذ الخليفة الأموي " **الوليد بن عبد الملك** "

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١٣٦/٣).



فقال له : (لا تغامر بالمسلمين ولكن انظر كيف يكون الأمر قبل أن تتحرك الجيوش الإسلامية) .

فأرسل موسى بن نصير كتيبة عام (٩١) من الهجرة بقيادة رجل يقال له " طريف بن مالك تحرك بخمسمائة (٥٠٠) مقاتل واجتاز المضيق من المغرب فوصل إلى جهة الأندلس إلى جزيرة سميت باسمه " **جزيرة طريف** " هذه الجزيرة جزيرة طريف التي وصل إليها من نتحدث عنه في هذا اليوم وفي هذه الحلقة وهو " أبو الحسن علي بن عثمان المريني (بجيشه ثم التقى به أبو الحجاج يوسف بن الأحمر - ملك غرناطة - ومعه مجموعة كبيرة من العلماء والوجهاء وكبار الأندلس فانضموا إلى جيش علي بن عثمان المريني واستعدوا لمواجهة النصارى وإذا بالنصارى قاتلهم الله بعد أن انكسر أسطولهم البحري وتشتت شمله قاموا بإعداد أسطول بحري آخر وأرسلوه إلى المضيق أي استخدموا نفس الخطة السابقة وقصدهم أن يحاصروا الملك المغربي ومن معه في " جزيرة طريف " بحيث لا تأتيه أي إمدادات من المغرب لا رجال ولا إعانات غذائية أو أي شيء من ذلك .

استمر الملك علي بن عثمان في جزيرة طريف هو وجيشه وهم محصورون من أوائل شهر محرم عام (٤١ ٧) للهجرة النبوية إلى أول جمادى الأولى أي قرابة أربعة أشهر وهم محصورون في تلك الجزيرة ومعهم الذين جاءوا إليهم من الأندلس ومما لاشك فيه أن الحصار يختلف بعضه عن بعض فهناك أقوام



يحاصرون وهم في بلدتهم ويكونون على استعداد وتكون البلدة محصنة وعندهم من المواد الغذائية ومن الماء والسلاح ما يستطيعون به أن يواجهوا ويقاوموا الحصار ربما إلى أكثر من سنة لكن حينما يحاصر جيش وهو إنما نزل في بلدة ليست بلدته وليس عنده الإمكانات الكافية فلاشك أن هذا يؤثر تأثيراً كبيراً.

وهذا هو الذي حصل لهؤلاء المحصورين في هذه الجزيرة ثم قرر النصارى بعد هذا الحصار المواجهة البرية وقبل البدء بذلك أرسل " الفونسو الحادي عشر" كتائب تسلت في الليل إلى الجزيرة مع أن الملك أبي الحسن علي بن عثمان قد جهز حراسة مستمرة في الليل والنهار على مشارف الجزيرة لكن شيء أَراده الله غفل بعض الحرس في آخر الليل فتسربت كتائب للنصارى إلى مؤخرة جيش المسلمين واختبأوا خلف بعض التلال وعلم القائمون بحراسة الجزيرة علموا ببعض القوم فاقتتلوا معهم في آخر الليل وظنوا أنه لا يوجد غير هؤلاء المتسللين الذين قد تصدوا لهم أو أنهم كانوا يعلمون أنه بقي متسللون غير هؤلاء الذين اقتلوا معهم ولكنهم خافوا من عقوبة الملك فقالوا للملك إنما تسلل أفراد وقد قضينا عليهم وانتهى الأمر.

بدأت المعركة في صَحوَة يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى لعام وأحد وأربعين وسبعمائة للهجرة بين جيش المسلمين بقيادة هذين الرجلين أبي الحجاج يوسف بن الأحمر الأندلسي وأبي الحسن علي بن عثمان المريني المغربي



وبين النصارى بقيادة المجرم اللعين " الفونسو الحادي عشر " واشتدت المعركة والمواجهات وبينما الجيشان يقتتلان اقتتالاً شديداً خرجت الكتائب النصرانية من وراء التلال فباغتت المسلمين في موضع عسكرهم وفي مؤخرة جيشهم فاعترضهم الحرس فقتلوهم ثم اعترضتهم النساء فقتلوهن ثم وصلوا إلى خيمة الملك فوجدوا فيها بعض الصغار فذبحوهم ثم اشعلوا النيران في مؤخرة الجيش فالتفت المسلمون والنيران تتصاعد من مؤخرة الجيش والدخان يعلو فاضطرب المسلمون اضطراباً كبيراً وارتبكوا ارتباكاً عظيماً وحاول قائد الجيش أبو الحسن علي بن عثمان أن يواجه هؤلاء المتسللين فعجز وعجز من معه ثم حاول أن يتحيز إلى جهة فاشتد الأمر عليهم وانتهت المعركة بهزيمة كبيرة جداً على جيش المسلمين لحكمة أرادها الله ولأمر قد قدرها سبحانه وتعالى فإننا لله وإنا إليه راجعون .

يقول بعض المؤرخين : إن هذه المأساة أو هذه الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في معركة طريف لم يمر بالمسلمين مثلها منذ معركة العقاب وبينهما أكثر من (١٣٠) سنة فمعركة العقاب كانت عام (٦٠٩) من الهجرة النبوية ومعركة طريف كانت عام (٧٤١) من الهجرة النبوية ومما حصل في معركة طريف هذه أنه قُتل فيها مجموعة من العلماء الكبار والمؤلفين والمفسرين والمؤرخين الذين خرجوا مع ابن الأحمر من غرناطة فلم يفر أحد منهم بل قاتلوا قتلاً شديداً حتى ماتوا جميعاً عليهم رحمة الله فحينما يقرأ



الواحد في ترجمة بعض العلماء والمؤلفين الكبار يقول المترجمون له : وكانت وفاته في " معركة طريف " أو كان مقتله في معركة طريف .

هذه هي المعركة الحاسمة التي لم تقم بعدها للأندلس قائمة وتوالى بعدها أمر السقوط بالأندلس سريعاً كما سيأتي بيانه إن شاء الله في حلقة قادمة كما أنه بعد هذه المعركة لم يتحرك أي إمداد مشهور أو معتبر من المغرب للمسلمين في الأندلس فكانت هذه المعركة معركة فاصلة وحاسمة لها ما بعدها .^(١)

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحم موتى المسلمين أجمعين وأن يعذب الكافرين من مات منهم ومن لا يزال حياً . نسأل الله أن يعذبهم عذاباً شديداً آمين آمين

إلى هنا وبارك الله فيكم والحمد لله .



(١) بعض مصادر هذه المعركة:

*الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/٣٣٢).

*نفح الطيب (١٤/٥).

*الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٣/١٣٤ - ١٣٧).

*وهو من أوسع مصادر هذه المعركة.

الحلقة الثانية والعشرون



سقوط الأندلس

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

فهذه هي الحلقة الثانية والعشرون من سلسلة " مقتطفات من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية وسنتحدث في هذا اليوم الرابع والعشرين من رمضان لعام (١٤٤٤) من الهجرة النبوية عن أمر عظيم وحرب جسيمة على المسلمين قام بها الصليبي الأثيم ملك قشتالة سنتحدث عن " سقوط الأندلس " ذلكم السقوط المدوي الذي ترك في القلوب جراحات عميقة لا يمكن أن تلتئم ما بقي الليل والنهار.

إن الأندلس بلدة أقام بها أهل الإسلام وكانت لهم فيها مآثر عظيمة واستمر الإسلام في تلك البلاد ثمانية قرون (٨٠٠) سنة ثم بدأت في المراحل الأخيرة من أيامها تنهار وتسقط بيد النصارى الصليبيين مدينة بعد مدينة وقد كان لسقوطها جملة من الأسباب منها :

- ما حصل من اختلاف وتناحر كبير بين أمراء المسلمين في الأندلس واقتتال فيما بينهم حتى تحالف بعضهم مع النصارى ضد بعضهم الآخر وأقبل بعضهم على الدنيا إقبالاً عظيماً وكان من جملة الأسباب أيضاً :



- ما حصل من تفكك في المغرب وسقوط الدول الكبرى التي كانت فيها والتي كانت تمتد المسلمين في الأندلس كلما احتاجت إليها فحصل للدولة الإسلامية في المغرب ضعف وتفكك ولا سيما بعد معركتين " **العقاب** " و " **طريف** " وأيضاً قام النصارى بالسيطرة على مضيق طارق حتى لا تأتي أي إمدادات لمسلمي الأندلس من جهة المغرب وما حولها كانت هذه أهم الأسباب التي أدت إلى الكارثة العظيمة والسقوط المدوي للمدن الإسلامية العظيمة في الأندلس ، فسقطت قرطبة وأشبيلية ، وشاطبة وغيرها من المدن ولم تبق إلا غرناطة تلك المدينة العظيمة التي فيها من الآثار الجميلة والجليلة للمسلمين الدالة على ما وصل إليه أهل الاسلام من القوة والحضارة والإبداع في تلك البلاد في تلك المدة الزمنية أمور كثيرة لو لم يكن منها إلا " **قصر الحمراء** " ذلكم القصر العظيم الذي لا يزال شاهداً بما كان عليه أهل الإسلام من القوة ومن العناية بأمور الحضارة وأمور البناء إلى جانب البنايات العظيمة من البيوت والمساجد الضخمة العظيمة.

قصر الحمراء هذا لا يزال من عجائب الزمن إلى يومنا هذا فهو قصر عظيم بناه بنو الأحمر في غرناطة وهو مما شاء الله عز وجل أن يسلم من عبث النصارى الإسبانيين فلا يزال موجوداً إلى يومنا هذا ويتكلم من وصل إلى ذلك المكان عن الأمور العظيمة المدهشة والمناظر الرائعة في ذلك القصر وعن



ضخامة البناء والإتقان والنقوش فقد نقشوا على كل حجرة في البناء " لا غالب إلا الله " .

أراد الله عز وجل أن تسقط غرناطة كما سقطت بقية مدن الأندلس فقد اتحدت القوة النصرانية باتحاد المملكتين مملكة " أراجون " وكانت تملكها المجرمة الأثيمة والنصرانية الخبيثة " إيزابيلا " ومملكة " قشتالة " وكان يملكها ابن عم إيزابيلا " فرديناند " ^(١).

اتحد هذان الملكان وتزوج " فرديناند " — " إيزابيلا " ^(٢)

وكونا مملكة واحدة وقع هذا الاتحاد في زمن تفرق فيه أهل الإسلام في بلاد الأندلس فكانوا شذر مذر فكان هذا من جملة الأسباب التي أدت لسقوط الأندلس وتسلبت النصراني على المسلمين فيها عام (٨٩٥) للهجرة النبوية .

أرسل هذا الملك الصليبي النصراني الخبيث فرديناند إلى أبي عبد الله محمد الصغير أمير غرناطة رسالة عجيبة يطلب منه فيها أن يسلم له مفاتيح

(١) فرديناند الخامس الكاثوليكي (FERDINAND V LE CATHOLIQUE) من مواليد سوز (١٤٥٢ - ١٥١٦ م) تولى الملك في سنة (١٤٧٤ م) اشتهر بأنه سياسي عنيد وجريء، تزوج بإيزابيلا ملكة قشتالة، ووحدها تقريبا كل شبه الجزيرة الإيبيرية، مما ساعده على تدمير قدرة المغرب الإسلامي والقضاء على مملكة غرناطة سنة ١٤٩٢ .

(٢) إيزابيلا الأولى الكاثوليكية: (er LA CATHOLIQUE\ISABELLE) ملكة قشتالة، من مواليد مدريد (١٤٥١ - ١٥٠٤ م) تزوجت من فرديناند ملك أراغون ARAGON . ووحدها مملكتها قشتالة بمملكة أراغون مما ساعد على إكمال وحدة إسبانيا، وهي الوحدة التي هدفت إلى القضاء على المملكة المغربية في (غرناطة). عملت على إقامة محاكم التفتيش وشجعته لإبادة المسلمين ودعمت وزيرها (خمينيس) لإداراتها .



غرناطة فدهش الأمير أبو عبدالله الصغير من هذه الرسالة التي وصلتته من هذا الحبث !!

كيف يُسَلَّم للنصارى مدينة مليئة بالمسلمين وهي آخر معقل من معاقل المسلمين فيها ما يزيد على ثلاثة مليون مسلم ما بين رجل وامرأة وطفل فقد كان المسلمون ينزحون إليها من المدن التي يسيطر عليها النصارى نزحوا من قرطبة ومن أشبيليا ومن غيرهما من المدن كان المسلمون ينزحون إلى غرناطة لأنها آخر معقل للمسلمين وتأتي هذه الرسالة من هذا الملك النصراني الذي تحالف معه هذا الأمير المسلم أكثر من مرة ضد بعض أمراء المسلمين هناك وهاهو يتفاجأ بشكل كبير بهذا الطلب فقرر رفض هذا الطلب فلما رفض هذا الطلب تحرك زعيم النصارى بجيش ما بين خمسين إلى ثمانين ألف مقاتل فوصل إلى نهر " شنيل " وهو من الأنهار القريبة من غرناطة وعسكر بجيشه في ذلك المكان وضرب حصاراً على غرناطة وأحرق المزارع المجاورة وهدم القرى وأفسد هناك فساداً عريضاً وثبت المسلمون في مدينة غرناطة تحت الحصار مدة من الزمن وكان يخرج بعض فرسان المسلمين من المدينة فيقتتلون مع النصارى اقتتالاً شديداً ثم يعودون إلى المدينة ويغلقون أبوابها وكان من جملة الفرسان الأبطال العظماء " **موسى بن أبي غسان** " أحد فرسان الأندلس الكبار فإنه كان يقاتل قتالاً شديداً ويرفض كلياً قضية التسليم للنصارى واشتد الحصار على المسلمين ودخل الشتاء وقلّت المؤن وأصاب الناس بلاء



عظيم فدخل الوزير " أبو القاسم عبد الملك " على الأمير أبي عبد الله الصغير وأخبره بأن الأمور تفاقمت سوءاً وأنهم لابد أن ينظروا في القضية فبدأوا يقررون أمر التسليم وحينئذ عارضهم أبو موسى بن أبي غسان معارضة شديدة هو ومجموعة من العقلاء والكبار الموجودين في تلك الجلسة لكن الأكثر رأوا أنه لا مناص ولا محيص من التسليم فقد فُصلت غرناطة عن بقية بلدان المسلمين وما بقي إلا تلکم المدينة تواجه الموت البطيء فما بقي في نظر كثير ممن حضر مجلس الشورى من حيلة إلا التسليم ثم عقد الأمير أبو عبد الله الصغير مجلساً آخر في بهو الحمراء واتفق جميع من حضر على ضرورة التسليم وبدءوا بالبكاء والعيول فقام موسى بن أبي غسان فقال لهم : (اتركوا البكاء والعيول للنساء والصبيان فنحن رجال نمتلك قلوب لم تخلق لإرسال الدموع وإنما خلقت لتقتطر دماً) وجعل يحثهم على الجهاد ومقاومة أعداء الله لكنه كان كمن ينفخ في قربة مخروقة وكمن يصرخ في صحراء ليس فيها أحد .

وبعد الاتفاق على قرار التسليم أوكل الأمير أبو عبد الله الصغير وزيره مهمة التفاوض في أمر التسليم مع قائد النصارى " فرديناند " وبدأ هذا الوزير التفاوض مع القائد الصليبي وكان الاتفاق أن يفتح المسلمون للنصارى الصليبيين أبواب غرناطة وتُسلم مفاتيح قصر الحمراء وتُسلم مقاليد الدولة لهذا النصراني الأثيم على شروط ثُملا ويتفق عليها الجميع .

**فما هذه الشروط ؟**

لقد كان هذا المجرم الأثيم (فرديناند) و زوجته (إيزابيلا) يتسمان بالمكر والدهاء وقد عُرف هذا الرجل الخبيث بذلك من قبل و هو معروف بحقه على الإسلام والمسلمين وهكذا زوجته النجسة حساً ومعنى التي كانت تتفاخر بأنها لم تغتسل في عمرها إلا مرتين ، المرة الأولى يوم ولادتها ، والمرة الثانية ليلة زفافها فهي امرأة نجسة في باطنها وظاهرها.

اتفق هذان المجرمان على أن يخدعا المسلمين بشروط براقعة ، ومن هذه الشروط :

١ - أن يُعطى المسلمون حرية التعبد لله سبحانه وتعالى فلا يتعرض لهم النصراني في عبادتهم ولا في مساجدهم ولا في قرآنهم وأن لا يولى عليهم يهودي ولا نصراني وأن يحكم بينهم بشريعتهم وأن من حصل منه خطأ فيما مضى فقتل نصرانياً أو سلبه فإنه لا يقتل به .

٢ - أن من أراد أن يغادر غرناطة إلى المغرب فليغادر وله الأمان وله أن يغادر بما شاء من أهله وأمواله وسلاحه فإن أراد البقاء بقي وإن أراد أن ينصرف انصرف لا يعترضه أحد بسوء .

٣ - لا يحق لأي نصراني أن يتسور أسوار المسلمين ولا أن يدخل مساجدهم ومن أراد من النصراني أن يدخل في دين الإسلام دخل ومن أراد



من المسلمين أن يخرج من الإسلام ويدخل في النصرانية فيُمهّل ثلاثة أيام ويُنصب قاض من المسلمين وقاض من النصارى ويتحاوران معه فإذا حصل منه إصرار بعد ذلك فله حق تقرير أمره .

٤- وأن لا يتعرض للمسلمين أحد من النصارى فيما يمتلكونه من أراض وبيوت وعقارات ولهم مالغيرهم ممن يسكن تلك البلدان .

كانت هذه أهم الشروط التي تم الاتفاق عليها^(١) ولا شك أنها شروط فيها نوع من دغدغة العواطف وفيها شيء من المخادعة لا سيما لمن لم يعرف مكر النصارى وحقدهم على الإسلام والمسلمين قُرأت الشروط كاملة وكانت سبعة وستين شرطاً على أبي عبد الله الصغير أمير غرناطة وعنده مجموعة من القادة والوزراء ومن جملة من حضر هذا المجلس الفارس البطل " موسى بن أبي غسان " فلما قُرأت عليهم الشروط قام فقال : (أيها الناس لا تحذعوا أنفسكم بهذه الشروط فإن القوم ينقضون العهد والميثاق ولن يوفوا لكم بشيء من هذا) وجعل يذكرهم وكان مما قال لهم : (إن الذي ننتظر أشد مما نتخوف منه أن أهون ما نتخوف منه الموت والذي ننتظره أن تهدم بيوتنا وأن تدنس مساجدنا وأن تنتهك أعراضنا ونساؤنا وبناتنا وأن يفعل بنا هؤلاء

(١) انظر تلك الشروط وقد جعلت على شكل مواد من المادة الواحدة إلى المادة السابعة والأربعين في كتاب : انبعاث الإسلام في الأندلس - للكتاني (فصل : ملحق معاهدة تسليم غرناطة (٤٢٩-٤٣٩)).



الأفاعيل فأما أنا فوالله لأن أكون معدوداً في من قُتل مدافعاً عن دينه وأرضه وعرضه خيراً من أن أكون مذكوراً في من شهد التسليم).

فلم يلتفت القوم إلى هذه النصائح من هذا البطل فتركهم وخرج فقاتل هو ومن انضم إلى جانبه من الفرسان الذين فضلوا الموت على عيشة الذل والهوان فقاتلوا جميعاً حتى قتلوا عليهم رحمة الله تبارك وتعالى.

وحينما عرضت هذه الشروط على أبي عبد الله رفض أن يقبلها أو يصدق بها إلا بضمانة "بابا روما" - بابا الكنيسة الكاثوليكية - فأقرها بابا الكنيسة وتعهد بالوفاء بها وأعطيت على ذلك العهود والمواثيق وأقسم على هذه الشروط "فرديناند" مرةً أخرى حينئذ وافق المسلمون على تسليم غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس^(١) فإنا لله وإنا إليه راجعون.

بعد هذا تم تحديد يوم التسليم واشترط النصارى على المسلمين أن يسلموا خمسمائة رجل من أعيان غرناطة رهائن يكونون في قبضة النصارى حتى لا يحصل غدر من قبل المسلمين أو خيانة أو نقض للاتفاق فتم تسليم الرهائن للنصارى وجاء ملك النصارى "فرديناند" مع زوجته "إيزابيلا" في الثامن من ربيع الأول عام (٨٩٧) من الهجرة النبوية الموافق ٢ يناير ١٤٩١ م^(٢) في صبيحة ذلك اليوم وخرج أبو عبد الله الصغير وبجانبه مجموعة من الأمراء والقادة

(١) نفح الطيب (٦١٥/٢)، أخبار العصر (٤٨-٤٩).

(٢) نفح الطيب (٥٢٥/٤).



فالتقوا بملك النصارى عند " تلة الرحا " وإذا بهذا الأمير ينادي زعيم النصارى بصوت مسموع فيقول له : (يا سيدي تعال فاستلم مفاتيح المدينة التي قدر الله وقضى في قضائه أن تنتقل من ملكنا إلى ملككم) فتقدم ملك النصارى فاستلم المفاتيح ودخلوا غرناطة واتجهوا إلى قصر الحمراء وأول عمل عملوه أنهم صعدوا إلى برجها المرتفع فنصبوا عليه صليباً فضياً كبيراً ونصبوا راية قشتالة في برجها وراية القديس ^(١)

" يا قب " ونادى المنادي من برج قصر الحمراء : (إن غرناطة صارت ملكاً للملكين النصارين الكاثوليكين) ^(٢) .

وضج المسلمون بالبكاء وامتلاأت غرف قصر الحمراء بالنحيب والعويل والبكاء واشتغلت حاشية الأمير بحزم الأمتعة وتجهيز ما يحتاج إليه من الأمور لأنه قد عزم على المغادرة من المدينة وهكذا عظمت الرزية وتفاقت البلية وبدأ أهل الإسلام يخرجون وقلوبهم تقطر دماً وركبت الأميرة عائشة والدة الأمير أبي عبد الله محمد الصغير خيلها وقلبها يعتصر ألماً وتكاد شر الحزن تتطاير من عينيها فتحركوا إلى شعب تل البذول (بادول) فأشرف منه على منظر غرناطة ثم التفت الأمير إلى المدينة الرناء وإلى قصر الحمراء وإلى تلك المباهج العظيمة والمنازل العالية فجعل يلتفت إليها التفاتة المودع ثم أجهد

(١) القديس: لقب شائع في النصرانية، يطلق على من يُظن أنه يتمتع بقداسة وبركة، وله دور كبير في نشر الديانة، واشتهر بالتجلي بالفضائل. انظر: الموسوعة العربية العالمية (١٨ / ٩٣) .

(٢) دولة الإسلام في الأندلس (٢٦٠/٥) .



بالبكاء ولم يفجعه إلا صوت أمّه الحرة الشهمة الكريمة عائشة الأميرة الفاضلة العاقلة رحمها الله تعالى وإذا بها تطلق كلمة مدوية سجلها التاريخ ولا تزال تذكرها الأجيال قالت له أمّه : "فصاحت به أمه عائشة؛ "أجل فلتبك كالنساء، ملكاً لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال". وتعرف الرواية الإسبانية تلك الأكمة التي كانت مسرحاً لذلك المنظر المحزن باسم شعري مؤثر هو "زفرة العربي الأخيرة" El ultimo Suspiro del Moro، وما تزال قائمة معروفة حتى اليوم، يعينها سكان تلك المنطقة للسائح المتجول" ^(١) هكذا وجهت الأم الحزينة هذه اللطمة القاسية الشديدة لولدها .

وهكذا تم تسليم بلاد الأندلس للنصارى الصليبيين وزالت عنها دولة المسلمين فإنا لله وإنا إليه راجعون ^(٢) .

(١) دولة الإسلام في الأندلس (٥/ ٢٦٧).

(٢) لمعرفة المزيد عن هذه المأساة انظر:

❖ " أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر" (ص ٣)، وهو الرواية الإسلامية الوحيدة التي انتهت إلينا عن حوادث سقوط غرناطة وما تلاها من تنصير المسلمين... ويقع هذا الكتاب في ست وخمسين صفحة فقط، وقد وضعه مؤلف مجهول لم يذكر اسمه، ولكنه يذكر في نهايته أنه كتبه في جمادى الآخرة سنة ٩٤٧ هـ أعني بعد سقوط غرناطة بخمسين عاماً، فروايته معاصرة تقريباً. ويدل وصفه للحوادث على أنه شهداها فتي بل وفي روايته ما يدل على أنه اشترك في بعض الوقائع الحربية التي وقعت قبل سقوط غرناطة بين المسلمين والنصارى وأنه كان من أنجاد الفرسان (ص ١٧ طبعة ميللر). ولا بد أيضاً أنه تلقى كثيراً من تفاصيل الحوادث، من أفواه الشيخة الذين شاهدوها. ويبدو أيضاً أن المؤلف من أشراف غرناطة الذين بقوا فيها وأرغموا على التنصر، ولكنهم بقوا مسلمين في سرائرهم، وأنه خشى أن ييوح باسمه لأنه يندب حظ الإسلام، ويندد بغدر النصارى وفظائعهم. وقد نشر المستشرق الألماني م. ي. ميلر هذا الكتاب عن النسخة الخطية الوحيدة التي كانت محفوظة بالإسكوريال وضاعت فيما بعد (جوتنجن سنة ١٨٦٣) مقرونة بترجمة ألمانية تحت عنوان "أيام غرناطة الأخيرة"



يصف الشاعر أبو البقاء صالح بن شريف الرُّندي مأساة سقوط الأندلس وما حل بالمسلمين فيها في قصيدة تقطر دما وحزنا ولما تغني عن عشرات الكتب والمجلدات فقال رحمه الله تعالى :

لـ كل شيء إذا ما تم نقصان	فلا يغرب طيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول	من سره زمن ساءتة أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد	ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابعة	إذا نبت مشرفيات وخرسان
وينتضي كل سيف للفناء ولو	كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ	وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في إرم	وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب	وأين عاد وشداد وقحطان

Die leteten Zeiten von Granada. (دولة الإسلام في الأندلس) (١٩٦/٥)

ثم نشر معهد فرانكو بتطوان (بعناية الأستاذ ألفريد البستاني) طبعة جديدة من هذا الكتاب عن مخطوطة أخرى بها بعض زيادات عن نزوح الأندلسيين من الأندلس بعد التنصير بعنوان: "نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر" وقرنت هذه الطبعة بترجمة اسبانية بقلم المستشرق الأب كارلوس كيروس (العرايش سنة ١٩٤٠).

❖ نفح الطيب للمقري.

❖ دولة الإسلام في الأندلس وهو أوسع وأجمع مصدر لهذه الأحداث.



أتى على الكل أمر لا مرد له
وصار ما كان من ملك ومن ملك
دار الزمان على دارا وقاتله
كأنما الصعب لم يسهل له سبب
فجائع الدهر أنواع متنوعة
وللحوادث سلوان يسهلها
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له
أصابها العين في الإسلام
فأسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأين قرطبة دار العلوم فكم
وأين حمص وما تحويه من نزه
قواعد كن أركان البلاد فما
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف
على ديار من الإسلام خالية
حيث المساجد قد صارت كنائس
حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
كما حكى عن خيال الطيف
وأم كسرى فما آواه إيوان
يوما ولا ملك الدنيا سليمان
وللزمان مسرات وأحزان
وما لما حل بالإسلام سلوان
هوى له أحد وانهد ثيلان
حتى خلت منه أقطار وبلدان
وأين شاطبة أم أين جيان
من عالم قد سما فيها له شان
ونهرها العذب فياض وملآن
عسى البقاء إذا لم تبق أركان
كما بكى لفراق الإلف هيمان
قد أقفرت ولها بالكفر عمران
فيهن إلا نواقيس وصلبان



حتى المنابر ترثي وهي عيدان
إن كنت في سِنَةٍ فالدهر يقظان
أبعد حمص تغر المرء أوطان
وما لها من طول الدهر نسيان
كأنها في مجال السبق عقبان
كأنها في ظلام النقع نيران
لهم بأوطانهم عز وسلطان
فقد سرى بحديث القوم ركبان
قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
وأنتم يا عباد الله إخوان
أما على الخير أنصار وأعوان
أحال حالهم كفر وطغيان
واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
عليهم من ثياب الذل ألوان
لهالك الأمر واستهوتك أحزان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
يا غافلا وله في الدهر موعظة
وما شيا مرحا يلهمه موطنه
تلك المصيبة أنست ما تقدمها
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
وحاملين سيوف الهند مرهفة
وراتعين وراء البحر في دعة
أعندكم نبأ من أهل أندلس
كم يستغيث بنا المستضعفون
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
ألا نفوس أبيات لها هم
يامن لذلة قوم بعد عزهم
بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم



يا رب أم وطفل حيل بينهما كما تفرق أرواح وأبدان
 وطفلة مثل حسن الشمس إذ كأنما هي ياقوت ومرجان
 يقودها العالج للمكروه مكرهه والعين باكية والقلب حيران
 لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان^(١)

ماذا عن شروط تسليم غرناطة السابقة الذكر فهل وقى النصارى بها ؟

وهل سلم المسلمون من أذية النصارى ؟

وما قصة " محاكم التفتيش الأندلسية " أو الإسبانية ؟

هذا الذي سنتحدث عنه إن شاء الله في حلقتنا القادمة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يلطف بالمسلمين وأن يكشف كربهم وأن يقطع دابر أعدائهم إنه على كل شيء قدير والحمد لله .



الحلقة الثالثة والعشرون



محاكم التفتيش

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

هذه هي الحلقة الثالثة والعشرون من سلسلة " مقتطفات من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية " وقد تكلمت في الحلقة الماضية عن مأساة تاريخية عظمى وهي مأساة سقوط الأندلس سقوط آخر معقل من معاقل أهل الإسلام في الأندلس وهي غرناطة بيد النصارى الصليبيين الحاقدين على الإسلام والمسلمين بقيادة الملكين الكافرين الكاثوليكين " إيزابيلا " ملكة قشتالة و " فرديناند " ملك أراجون وفي هذه الحلقة سنتحدث - إن شاء الله - عن نتيجة مرّة من نتائج ذلك السقوط المدوي هذه النتيجة لعل بعض السامعين لا يجب أن نتحدث عنها لأنها مؤلمة ولكن هذه حقائق تاريخية لا بد من التطرق إليها ولا بد من نقلها إلى الأجيال ليتوارثها أجيال أهل الإسلام جيلاً بعد جيل لتتضح لهم الحقائق وتبين الأمور فنحن في هذا الزمن نجد مغالطات كبيرة من قبل أعداء الإسلام فنجد أنهم يلمعون أنفسهم بأنهم أهل رحمة وإحسان وأصحاب منظمات حقوقية : منظمات حقوق الإنسان و منظمات حقوق الحيوان وغير ذلك وفي المقابل يشنون حملات شرسة على الإسلام وأهله فيصفون الإسلام بالإرهاب ويصفون أهله بالإرهابيين



ويستدلون على هذا ببعض الأخطاء أو التصرفات الفردية والتي ربما بعضها كانت بدس وتوجيه منهم قام بتنفيذها بعض عملائهم بقصد التشويه للإسلام والمسلمين .

ويأسف كل غيور حينما يسمع من بعض جهلة المسلمين من يصف الكفار فيقول : الكفار عندهم رحمة ! الكفار عندهم أخلاق حسنة ! الكفار عندهم معاملات طيبة !! الكفار أحسن من المسلمين !!! هذه كلمات نسمعها من كثير من الجهلة الذين لا يدرون ما يقولون ولا يدرون حقائق الأمور ويتأثرون بالإعلام الكاذب واللقطات التمثيلية المزيفة والتي لا تأتي إلا بنتائج سيئة.

لهذا وذاك كانت هذه السلسلة التي تطرقنا فيها إلى بعض الحروب والهجمات الصليبية الشرسة على أمة الإسلام حتى يعلم القاصي والداني أن الحرب بيننا وبين النصارى واليهود حرب على دين وحرب على إسلام وأن هذا لا يمكن أن يزول إلا بزوال أحد المتحاربين وهذا لن يكون بل ستستمر المواجهات والحرب والقتال بين أهل الحق وأهل الباطل إلى قرب قيام الساعة فنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أخبر أن أهل الإسلام سيقاتلون الكفار قرب الساعة وأن الله سينصر أهل الإسلام وأن اليهود يختبئون وراء الأشجار والأحجار وأن الله ينطق الشجر والحجر فتتكم وتقف إلى جانب أهل الإسلام ينطقها الله سبحانه وتعالى فتقول : (يا مسلم يا عبد الله هذا



يهودي ورأي مختبئ تعال فاقتله (١) عدى شجرة الغرقد تلکم الشجرة الخبيثة اليهوديه.

كانت هذه مقدمة وأدخل في صلب الموضوع وهو الحديث عن مأساة من أعظم مآسي التاريخ وهي نتيجة من نتائج سقوط الأندلس بيد الصليبيين هذه النتيجة يُطلق عليها كثير من المؤرخين والكتاب " **محاكم التفتيش** " وبعض المؤرخين ينتقد هذه التسمية ويقول أحسن من هذا أن يقال " محاكم التحقيق " وأقول :لو سميناهم بمحاكم التعذيب لكان أنسب .

❖ سبب إقامة هذه المحاكم التعذيبية البشعة :

هذه المحاكم أنشأها النصارى الصليبيون في الأندلس بطلب من الملكة " إيزابيلا - لعنها الله - فإنها تقدمت بطلب إلى بابا الكنيسة الكاثوليكية في زمنها تطلب منه أن يأذن لها بإنشاء هيئة منظمة تعمل على التفتيش والنظر في أقوام يندسون في أوساطهم وهم ليسوا منهم هذا باختصار .

بعد أن سقطت الأندلس وسُلمت مفاتيح غرناطة لهذه المجرمة وزوجها تظاهروا بحسن المعاملة مع المسلمين في البداية وكانوا يظنون أنهم بأسلوب المعاملة الحسنة المتصنعة سيؤثرون على أصحاب غرناطة وعلى من معهم من المسلمين فيدخلونهم في النصرانية.

(١) البخاري (٢٩٢٦) ومسلم (٢٩٢٢)(٨٢). عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



تعلمون أن سقوط غرناطة وتسليمها لهؤلاء المجرمين كان في الثامن من ربيع الأول عام (٨٩٧) من الهجرة النبوية ومن بعد هذا التاريخ بدءوا يظهرون المعاملة الحسنة كما ذكرنا، وجعلوا يرسلون بعض الهدايا إلى بعض الأسر المسلمة وإلى بعض الشخصيات المسلمة ويعاملونهم بمعاملات مؤثرة ظناً منهم أن هذا سيؤدي إلى تنصر أولئك الأقوام وبالفعل تنصرت بعض الأسر وبعض الشخصيات وزاد النصارى في معاملتهم لهم بالإحسان فأسقطوا عنهم الغرامات المالية والعقوبات وأرسلو لهم الإعانات والهدايا وحصلت عناية بهم كبيرة من النصارى وهذا من باب التشجيع والدعوة لبقية الناس حتى يحذوا حذو هؤلاء ويتركوا الإسلام ويدخلوا في النصرانية.

استمرت هذه المعاملة سبع سنوات من تاريخ (٨٩٧) إلى تاريخ (٩٠٤) من الهجرة النبوية ثم شعر النصارى بعدها أن لافائدة من هذا الأسلوب المتصنع مع المسلمين فأظهروا وجههم الحقيقي القبيح فأصدروا قراراً صارماً فيه التنكر لجميع الشروط السابقة التي أقسموا عليها وأعطوها لأهل الإسلام قبل تسليم غرناطة .

ما القرار الذي اتخذته النصارى ضد مسلمي الأندلس ؟

هذا القرار هو لا يُسمح لأي مسلم بالبقاء على أرض الأندلس فيما أن يتنصروا وإما أن يرحلوا ومن لم يفعل ذلك فلا يلومن إلا نفسه.



كان هذا هو القرار الأخير فحينئذ بدأ بعض المغلوبين على أمرهم بالنزوح وترك الأندلس فهاجروا إلى المغرب وبعض المسلمين تحت الضغوطات الكبيرة والمتعددة دخلوا في النصرانية وكانوا على قسمين اثنين :

❖ **قسم :** دخل في النصرانية ظاهراً وباطناً وهذا الصنف ينطبق عليه قول الله تعالى ﴿حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

❖ **وقسم :** أعلن الدخول في النصرانية في الظاهر وأما في الباطن فهو محافظ على إسلامه ودينه فكانوا يظهرون الذهاب إلى الكنيسة ويرفعون الصليب ويعملون بما تمليه عليهم الكنائس الكاثوليكية من التعاليم في الظاهر فإذا رجعوا إلى بيوتهم وأغلقوا على أنفسهم أبوابها قاموا بالتنصل من هذا كله واغتسلوا وصلوا وقرأوا القرآن وفعلوا ما يفعله المسلم في الظاهر لكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك في الظاهر فيفعلونه بطريقة خفية .

وكان من جملة القرارات الجائرة أن النصارى أصدروا قراراً بتحويل جميع مساجد المسلمين إلى كنائس فحولت جميع مساجد المسلمين إلى كنائس وأدخلوا فيها الصلبان .

وأصدروا قراراً بوجوب التخلص من جميع كتب أهل الإسلام بما في ذلك القرآن الكريم فجمعت كميات هائلة من المصاحف ومن الكتب العلمية الدينية وجُعِلت في " باب الرملة " في ساحة عظيمة من ساحات غرناطة ثم



أُحرقت وأُحرقت بقية الكتب في أزقة غرناطة وفي طرقها وأصدروا قراراً بمنع اللغة العربية وعدم السماح لأي إنسان أن يتحدث بها وأنه يجب على الجميع التحدث باللغة الإسبانية ومنعوا منعاً باتاً أن يلبس أحد من الناس لباس أهل الإسلام، ومنعوا التسمي بأسماء أهل الإسلام.

كانت هذه بعض القرارات الجائرة التي اتخذها النصارى الصليبيون ضد المسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة فعانى أهل الإسلام معاناة شديدة وتسرب الخبر إلى النصارى بأن هناك مجموعة كبيرة من المسلمين يخفون إسلامهم وإنما دخلوا في النصرانية في الظاهر فقط وأما في الباطن فليسوا نصارى حينئذ عملت الكنيسة النصرانية على إنشاء "محاكم التفتيش" أو "محاكم التحقيق" فبدأوا بالتحقيق مع كل شخص يشكّون فيه أنه يبطن الإسلام وأنه ليس بنصراني ظاهراً وباطناً وكانوا يستدلون على هذا بأمر منها :

- الإغتسال يوم الجمعة فمن رأوه يغتسل يوم الجمعة قالوا هذا من أهل الإسلام فيأخذونه ويعذبونه تعذيباً شديداً حتى يموت أو يعترف بالحقيقة ثم يكون مآله إلى الموت بصورة من صور التعذيب أو القتل البشعة التي سيأتي ذكر بعضها ومما كانوا يستدلون به على أن هذا الشخص يخفي إسلامه :

- المظهر الحسن واللبس الجميل إذا كان ذلك في يوم عيد من أعياد المسلمين فمن فعل ذلك قالوا عنه : هذا من المسلمين وإن دخل الكنيسة



وتظاهر بالنصرانية لكن مادام يلبس لباساً جميلاً في يوم عيد المسلمين فهذا دليل على أنه منهم فيأخذونه إلى التحقيق بل إلى التعذيب .

وقد يشكون في شخص بأنه ليس من النصارى الحقيقيين وإنما هو مؤمن بكم إسلامه فيقومون:

- بكشف عورته فإذا رآوه مختوناً ألحقوه بالمعذبين وكانوا يُطلقون على هذا الصنف " الموريسكيون " ومعناه "المسلم أو المسلمون الأصاغر أو العرب الأصاغر" وهكذا استمر التضييق على أهل الإسلام وكانوا يداهمون البيوت بمجرد أن يجدوا ورقة من المصحف فيأخذون أهل البيت بكاملهم إلى غرف التعذيب وكانت سجونهم مظلمة مليئة بالحشرات والفئران ويُزج بهؤلاء المتهمين في تلك السجون حتى يتم البتّ في قضيتهم ثم يحصل الاستدعاء لهؤلاء المتهمين كلاً منهم في الوقت المحدد له ويتم التحقيق معه وأنه يكتم إسلامه ويحاول يُظهر أنه ليس من المسلمين فيلزمونه بشرب الخمر ويلزمونه بأكل الخنزير ويلزمونه بالسجود للصليب ويلزمونه بأمر كثيرة وكان بعض السجناء يفعلون ذلك وقد جاءتهم فتوى من بعض علماء المغرب بأن الله عز وجل قد أباح للمضطر أن يقول الكفر أو يفعل الكفر ما دام قلبه مطمئن بالإيمان .

وقال لهم بعض علماء المغرب الذين أرسلوا إليهم بالفتاوى السرية حتى لو ألزموكم بالسجود للصليب فاسجدوا ونيتكم السجود لله عز وجل .



ولما وقعت المحاربة لأهل الإسلام بهذه الصور العظيمة والقبيحة أرسل بعض مسلمي الأندلس رسالة يستنجدون ببعض أمراء الممالك في مصر و أرسلوا رسائل يستنجدون ببعض المسلمين أو ببعض أمراء المسلمين في المغرب ولكنهم لم يجدوا من يقف إلى جانبهم في محنتهم التي نزلت بهم إلا رسالة جاءت من أمير الممالك المصري أرسل بها إلى فرديناند يقول له : (إن النصارى عندنا وفي ظل حكمنا نحن أهل الإسلام يُعاملون معاملة حسنة ولهم كنائسهم ويعيشون عيشة كريمة لا أحد يتعرض لهم بأذية ولا بتعذيب ولا بقتل ولا بتنكيل ولا بتهجير فإما أن تعامل المسلمين عندكم في الأندلس كما نعامل نحن النصارى عندنا في بلاد الإسلام في مصر والشام وإلا سننكل بإخوانكم النصارى الذين عندنا ونفعل بهم كما تفعلون بإخواننا عندكم في الأندلس) .

وصلت الرسالة إلى هذا المجرم الأثيم - لعنه الله - فلم تحرك ساكنا منه ولم يُغير من خطته شيئا وأرسل رسالة باردة إلى القائد المملوكي في مصر واستمر التنكيل بأهل الإسلام في الأندلس إلى حدٍ كبير .

❁ القواعد النصرانية الإسبانية في معاملة من أكرهوا على الدخول في

النصرانية

وقد نقل " الدون روني " مؤرخ ديوان التحقيق الإسباني، وثيقة من أغرب الوثائق القضائية، تضمنت طائفة من القواعد والأصول التي رأى الديوان



المقدس أن يأخذ بها العرب المتنصرين، في تهمة الكفر والمروق، وإليك ما ورد في تلك الوثيقة الغربية:

"يعتبر الموريسكي أو العربي المتنصر قد عاد إلى الإسلام، إذا امتدح دين محمد، أو قال إن يسوع المسيح ليس إلهاً، وليس إلا رسولا، أو أن صفات العذراء أو اسمها لا تناسب أمه، ويجب على كل نصراني أن يبلغ عن ذلك، ويجب عليه أيضاً أن يبلغ عما إذا كان قد رأى أو سمع، بأن أحداً من الموريسكيين يباشر بعض العادات الإسلامية، ومنها أن يأكل اللحم في يوم الجمعة، وهو يعتقد أن ذلك مباح، وأن يحتفل يوم الجمعة بأن يرتدى ثياباً أنظف من ثيابه العادية، أو يستقبل المشرق قائلاً بسم الله، أو يوثق أرجل الماشية قبل ذبحها، أو يفرض أكل تلك التي لم تذبح، أو ذبحتها امرأة، أو يختن أولاده أو يسميهم بأسماء عربية، أو يعرب عن رغبته في اتباع هذه العادة، أو يقول إنه يجب ألا يعتقد إلا في الله وفي رسوله محمد، أو يقسم بأيمان القرآن، أو يصوم رمضان ويتصدق خلاله، ولا يأكل ولا يشرب إلا عند الغروب، أو يتناول الطعام قبل الفجر (السحور)، أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، أو يقوم بالوضوء والصلاة، بأن يوجه وجهه نحو الشرق ويركع ويسجد ويتلو سوراً من القرآن، أو أن يتزوج طبقاً لرسوم الشريعة الإسلامية، أو ينشد الأغاني العربية، أو يقيم حفلات الرقص والموسيقى العربية، أو أن يستعمل النساء الخضاب في أيديهن أو شعورهن، أو يتبع قواعد محمد الخمس، أو



يملس بيديه على رؤوس أولاده أو غيرهم تنفيذاً لهذه القواعد، أو يغسل الموتي ويكفّنهم في أثواب جديدة، أو يدفّنهم في أرض بكر، أو يغطّي قبورهم بالأغصان الخضراء، أو أن يستغيث بمحمد وقت الحاجة منعاً إياه بالنبي ورسول الله، أو يقول إن الكعبة أول معابد الله، أو يقول إنه لم ينصر إيماناً بالدين المقدس، أو إن آباءه وأجداده قد غنموا رحمة الله لأنهم ماتوا مسلمين ... الخ" (١)

والواقع أن الموريسكيين لبثوا بالرغم من تنصرهم، نزولاً على حكم القوة والإرهاب، مخلصين في سرائرهم لدينهم القديم، ولم تستطع الكنيسة بالرغم من جهودها الفادحة أن تحملهم على الولاء لدين قاسوا في سبيل اعتناقه ضرباً مروعة من الآلام النفسية والاضطهاد المضي، وإليك ما يقوله في ذلك مؤرخ إسباني كتب قريباً من ذلك العصر، وأدرك الموريسكيين وعاش بينهم حيناً في غرناطة: " كانوا يشعرون دائماً بالخرج من الدين الجديد، فإذا ذهبوا إلى القداس أيام الآحاد، فذلك فقط من باب مراعاة العرف والنظام، وهم لم يقولوا الحقائق قط خلال الاعتراف. وفي يوم الجمعة يحتجبون ويغتسلون وقيمون الصلاة في منازلهم المغلقة، وفي أيام الآحاد يحتجبون ويعملون. وإذا عُمد أطفالهم، عادوا فغسلوهم سراً بالماء الحار، ويسمون أولادهم بأسماء عربية،

(١) دولة الإسلام في الأندلس (٥/ ٣٤٦): Don Antonio Liorente: Historia Critica de la

Inquisicion de Espana

وأيضاً Dr. Lea: The Moriscos ; p. ١٣٠-



وفي حفلات الزواج متى عادت العروس من الكنيسة بعد تلقى البركة، تنزع ثيابها النصرانية وترتدى الثياب العربية، ويقيمون حفلاتهم وفقاً للتقاليد العربية".

وقد وجدت وثيقة عربية مهمة تلقى ضوءاً كبيراً على أحوال الموريسكيين في ظل التنصير، وتعلقهم بدينهم القديم، وكيف كانوا يتحايلون لمزاولة شعائرهم الإسلامية خفية، ويلتمسون من جهة أخرى سائر الوسائل والأعذار الشرعية التي يمكن أن تبرر مسلكهم، وتشفع لهم لدى ربهم، مما يرغمون على اتباعه من الشعائر النصرانية.

وهذه الوثيقة هي عبارة عن رسالة وجهت من أحد فقهاء المغرب إلى جماعة العرب المتنصرين ممن يسميهم "الغرباء" يقدم إليهم بعض النصائح التي يعاون اتباعها على تنفيذ أحكام الإسلام خفية، وبطريق التورية والتستر. وتاريخ هذه الرسالة هو غرة رجب سنة ٩١٠ هـ، (٢٨ نوفمبر سنة ١٥٠٤م). وإليك نص هذه الوثيقة:

"الحمد لله، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. إخواننا القابضين على دينهم، كالقابض على الجمر، من أجزل الله ثوابهم، فيما لقوا في ذاته، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء القرباء إن شاء الله، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته، وارثو سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس إلى التراق، نسأل الله أن يلفظ بنا، وأن



يعيننا وإياكم على مراعات حقه، بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً. بعد السلام عليكم، من كاتبه إليكم، من عبيد الله أصغر عبيده، وأحوجهم إلى عفوه ومزيده، عبيد الله تعالى أحمد ابن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني، كان الله للجميع بلطفه وستره، سائلاً من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء، بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار، ومؤكداً عليكم في ملازمة دين الإسلام آمرين به من بلغ من أولادكم. إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتي؛ فاعلموا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع، وأن الملك الله ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله. فاعبدوه، واصطبروا لعبادته، فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء؛ لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم، والغسل من الجنابة ولو عوماً في البحور، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء؛ وعليكم بالتيمم ولو مسحاً بالأيدى للحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدى والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به، فاقصدوا بالإيماء، نقله ابن ناجي في شرح الرسالة لقوله عليه السلام: فأتوا منه ما



استطعتم. وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية، وانوا صلاتكم المشروعة، وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم، ومقصودكم الله، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام؛ وإن أجبروكم على شرب خمر، فاشربوه لا بنية استعماله، وإن كلفوا عليكم خنزيرًا فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه، وكذا إن أكرهوكم على محرّم، وإن زوجوكم بناتهم، فجائز لكونهم أهل الكتاب، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم، فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم، ولو وجدتم قوة لغيرتموه. وكذا إن أكرهوكم على رباً أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم، ثم ليس عليكم إلا رؤوس أموالكم، وتتصدقون بالباقي، إن تبتم لله تعالى. وإن أكرهوكم على كلمة الكفر، فإن أمكنكم التورية والإلغاز فافعلوا، وإلا فكونوا مطمئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك، وإن قالوا اشتهوا محمدًا فإنهم يقولون له مُمد، فاشتموا مُمدًا، ناوين أنه الشيطان أو ممد اليهود فكثير بهم اسمه. وإن قالوا عيسى ابن الله، فقولوها إن أكرهوكم، وانوا إسقاط مضاف أي عبد اللاه مريم معبود بحق. وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله فقولوها إكراهًا، وانوا بالإضافة للملك كبيت الله لا يلزم أن يسكنه أو يحل به؛ وإن قالوا قولوا مريم زوجة له فانوا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقها قبل البناء.



قاله السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القرآن. أو زوجها الله منه بقضائه وقدره.

وإن قالوا عيسى توفي بالصلب، فانووا من التوفية والكمال والتشريف من هذه، وإماتته وصلبه وإنشاد ذكره، وإظهار الثناء عليه بين الناس، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو، وما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون به، وأنا أسأل الله أن يديل الكره للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهرًا بحول الله من غير محنة ولا وجلة، بل بصدمة الترك الكرام. ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به. ولا بد من جوابكم. والسلام عليكم جميعًا. بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسع مائة، عرف الله خيره". "يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى" ^(١).



(١) قال محمد عبد الله عنان : (عثرت على هذه الوثيقة خلال بحوثي في مكتبة الفاتيكان الرسولية برومة. وهي تقع ضمن مجموعة خطية من المخطوطات البورجوانية (Borgiani). وقد وصف هذا المخطوط في فهرس مكتبة الفاتيكان (فهرس دلافيدا) بأنه "المقدمة القرطبية". وفي صفحة عنوانه بأنه "كتاب نزهة المستمعين". وتشغل هذه الوثيقة في المخطوط المشار إليه أربع صفحات (١٣٦ - ١٣٩) ومن جهة أخرى فقد عثرت بنص هذه الوثيقة مثبتا في إحدى مخطوطات الأحميادو المحفوظة بمكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد (مجموعة سافدرا). وتوجد ترجمتها القشتالية في كتاب: P. Longas: La Vida Religiosa de los Moriscos (٣٠٧-٣٠٥).



بعض صور التعذيب

كانوا يأخذون مجموعات كبيرة من الرجال والنساء والأطفال الذين قد ثبتت إدانتهم بالإسلام يأخذونهم إلى ساحات عامة بصورة جماعية وتُعدّ مهرجانات عامة يحضرها الملك ويحضرها القساوسة والنصارى الكبار ومجموعة كبيرة من النصارى ثم تُشعل النيران في أجسام هؤلاء المسلمين فيحترقون حتى يصبحوا رماداً وأولئك يتفرجون ويتمتعون بهذه الصور البشعة من صور القتل.

وكانوا يذهبون ببعض نساء المسلمين إلى المقابر ويجردونهن من الثياب ويربطونهن بالسلاسل والأغلال ثم يقعدونها في قبر من القبور وقد نشروا شعرها وربطوا رأسها إلى ركبتيها حتى يظن من يراها من بعيد أنها من الجان وتستمر على تلك الحال حتى تموت جوعاً وعطشاً أو تصاب بالجنون .

محاكمة الأموات

ولم تقتصر المحاكمة على الأحياء بل عقدوا مجالس لمحاكمة الموتي الذين قد ماتوا قبل شهور أو قبل سنوات من أهل الإسلام فيحاكمونهم ثم يصدرون في حقهم الأحكام المتضمنة لأنواع من العقوبات في حق هؤلاء الموتي ، بعض الموتي ينبشون قبورهم ويحرقونهم ، وبعض الموتي ينصبون على أشكالهم أصناماً



أو تماثيل ويحرقونها ، وبعض الموتى تصادر ممتلكاتهم ويُمنع أقاربهم من أدنى الحقوق وهو أقل ما يُعاقبون به بجريمة موتاهم ^(١) .

وهكذا استمر التنكيل الشديد بأهل الاسلام في الأندلس واستمرت هذه المحاكم أربعة قرون منذ سقوط الأندلس، وحتى زمن حملة نابليون إلى إسبانيا وحينها أصدر نابليون مرسومًا سنة ١٨٠٨ م بإلغاء دواوين التفتيش في المملكة الإسبانية.

وكانوا يستخدمون في تعذيب المتهمين لأجل الاعتراف وسائل تتقرز وتشمئز من ذكرها النفوس وتقشعر لهولها الجلود وتستك منها المسامع وتقف لها الشعور .

وإليك - أخي القارئ الكريم - ما كتبه "الكولونيل ليمونسكى " أحد ضباط الحملة الفرنسية في أسبانيا قال: " كنت سنة (١٨٠٩) ملحقاً بالجيش الفرنسى الذى يقاتل فى أسبانيا، وكانت فرقى بين فرق الجيش الذى احتل "مدريد" - العاصمة - . وكان الإمبراطور نابليون أصدر مرسومًا سنة (١٨٠٨) بإلغاء دواوين التفتيش فى المملكة الأسبانية. غير أن هذا الأمر أهمل العمل به للحالة الحرية، والاضطرابات السياسية التى سادت وقتئذ.

(١) دولة الإسلام فى الأندلس (٣٣٨/٥)، نهاية الأندلس (٣١١-٣٢١).



وصمم رهبان "الجزويت" - أصحاب الديوان الملغى - على قتل وتعذيب كل فرنسى يقع فى أيديهم، انتقاماً من القرار الصادر، وإلقاء للرعب فى قلوب الفرنسيين حتى يضطروا إلى إخلاء البلاد فىخلو لهم الجو. وبينما أسير فى إحدى الليالى، اجتاز شارعاً يقل المرور فيه من شوارع مدريد إذ باثنين مسلحين قد هجما على يبغيان قتلى، فدافعت عن حياتي دفاعاً شديداً، ولم ينجني من فتكهما إلا قدوم سرية من جيشنا مكلفة بالتطواف فى المدينة. وهى كوكبة من الفرسان تحمل المصاييح وتبيت الليل ساهرة على حفظ النظام. فما إن شاهدها القاتلان حتى لاذا بالهرب، وتبين لنا من ملابسهما أنهما من جنود ديوان التفتيش. فأسرعت إلى " المريشال سولت " الحاكم العسكري لمدير، وقصصت عليه النبأ فثار غضبه، وقال: لا شك بأن من يقتل من جنودنا كل ليلة إنما هو من صنع أولئك الأشرار، ولا بد من معاقبتهم وتنفيذ حكم الإمبراطور بجل ديوانهم. والآن خذ معك ألف جندي وأربعة مدافع، وهاجم دير الديوان، واقبض على هؤلاء الرهبان الأبالسة، ولنقتص منهم بمحاكمتهم أمام مجلس عسكري. وفى الرابعة صباحاً ركبت على رأس تلك الحملة، ثم قصدنا إلى دير الديوان، وهو على مسافة خمسة أميال من " مدريد ". فلم يشعر الرهبان إلا والجنود يحيطون بديرهم، والمدافع تصوب إليه فوهاتها. وكان هذا الدير عبارة عن بناء ضخم أشبه بقلعة حصينة، وأسواره العالية تحرسها فرقة من الجنود اليسوعيين. فتقدمت إلى باب الدير وخاطبت الحارس الواقف على



السور وأمرته - باسم الإمبراطور - أن يفتح الباب. وظهر لي أن الحارس التفت نحو الداخل وكلم أشخاصًا لا نراهم ولما انتهى من حديثه عاد وأخذ بندقيته وأطلق علينا الرصاص ثم انهال علينا الرصاص من كل جهة، فقتل بعض رجالي وجرح آخرون. ولكني أمرت جنودي أن يقتحموا الدير عَنوة، واعتبرت إطلاق الرصاص من الجزويت علامة رفض، وأنهم لا يفتحون الباب إلا بالقوة. وأخذنا نطلق المدافع على أسوار الدير، وعلى الباب الموصد. واستخدم جنودنا ألواح الخشب السميك تقيهم رصاص الحرس الذي كان ينهمر علينا كالطر الغزير. وبعد نصف ساعة استطعنا فتح ثغرة واسعة في الحائط، نفذ الجيش منها إلى داخل الدير، وكنت مع بعض زملائي طليعة الداخلين. وأسرع الرهبان اليسوعيون إلى لقائنا مرحبين بنا! ووجوههم باشة! وهم يستفهمون عن سبب قدومنا على هذا النحو، وكأن لم يدر بيننا قتال ولم تنشب معركة. ثم استداروا إلى جنودهم وانهالوا عليهم تعنيفًا وتأنيبًا وقالوا: إن الفرنسيين أصدقاءنا فمرحبًا بهم. على أن هذا النفاق الخبيث لم ينطل علينا فأصدرت الأمر لجنودي بالقبض على أولئك القساوسة جميعًا وعلى جنودهم الحراس، توطئة لتقديمهم إلى مجلس عسكري. ثم أخذنا نبحث عن قاعات العذاب المشهورة، وطفنا بغرف الدير فراعنا ما بها من أثاث فاخر، ورياش وكراسي هزازة! وسجاجيد فارسية ثمينة، وصور نادرة ومكاتب كبيرة. وقد صنعت أرض هذه الغرفة من خشب المغني المصقول المدهون بالشمع. وكان شذى العطور



يعبق في أرجاء الغرف فتبدو الساحة كلها أشبه بأبهاء القصور الفخمة التي لا يسكنها إلا ملوك قصرُوا حياتهم على الترف واللهو وعلمنا بعد أن تلك الروائح المعطرة تنبعث من شمع يوقد دائماً أمام صور الرهبان، ويظهر أن هذا الشمع قد خلط به ماء الورد. وكادت جهودنا تذهب سدى ونحن نحاول العثور على قاعات التعذيب. إننا فحصنا غرف الدير وممراته وأقييته كلها ولم نجد شيئاً يدل عليها. فعزمنا على الخروج يائسين من اكتشاف بغيتنا مقتنعين بتقديم أولئك الرهبان إلى المجلس العسكري. وكانوا في أثناء بحثنا يقسمون ويؤكدون أن ماشاع عنهم وعن ديرهم ليس إلا تهماً باطلة، وأنهم يحملون هذه الأكاذيب في سبيل الله. وأنشأ زعيمهم يؤكد لنا براءته وبراءة أتباعه بصوت خافت وهو خاشع الرأس توشك عيناه أن تطفر بالدمع، فأعطيت الأوامر للجنود بالاستعداد لمغادرة الدير. لكن "الفتنات دي ليل" استمهلني قائلاً: "أيسمح لي الكولونيل أن أخبره بأن مهمتنا لم تنته حتى الآن ؟ قلت له: قد فتشنا الدير كله ولم نكتشف شيئاً مريباً به ففيم ترغب ؟. قال: إني أرغب في فحص أرضية هذه الغرف، وأدقق في امتحانها، فإن قلبي يحدثني بأن السر تحتها. وعند ذلك نظر الرهبان بعضهم إلى بعض نظرات قلقة، وأذنت للضابط بالبحث. فأمر الجنود برفع الأبسطة، فرفعت، ثم أمر بأن يصبوا الماء بكثرة في أرض كل غرفة على حدة ففعلوا. وكنا نرقب الماء، فإذا بالأرض تبتلعه في إحدى الغرف، ويتسرب إلى أسفل. فصفق الضابط "دي ليل" من شدة فرحه



وقال: هو ذا الباب! انظروا فنظرنا فإذا بالباب قد انكشف، وهو قطعة من أرض الغرفة يفتح بطريقة ماهرة بواسطة حلقة صغيرة وضعت إلى جوارها رجل مكتب الرئيس. وأخذ الجنود يكسرون الباب المسحور بقحوف البنادق والتقت فرقة من الجنود حول عصابة الرهبان الذين اصفرّت وجوههم وكستها غبرة. وفتح الباب وظهر لنا سلّم يؤدي إلى باطن الأرض. فأسرعت إلى شمعة كبيرة يزيد طولها على متر كانت تضيء أمام صورة أحد رؤساء محاكم التفتيش السابقين. ولما هممت بالنزول وضع راهب يسوعي يده على كتفي متلطفًا وقال لي: يا بني، لا تحمل هذه الشمعة بيدك الملوثة بدم القتال لأنها شمعة مقدسة. فقلت له: يا هذا إنه لا يليق بيدي أن تتنجس بلمس شمعتكم المملوطة بدم الأبرياء، وسنرى من النجس فينا ؟ ومن القاتل السفاك؟. وهبطت على درج السلم يتبعني سائر الضباط والجنود شاهرين سيوفهم حتى وصلنا إلى آخر الدرج!. فإذا بنا في غرفة كبيرة مربعة، هي عندهم قاعة المحكمة، في وسطها عمود من الرخام، به حلقة حديدية ضخمة، ربطت بها سلاسل، كانت الفرائس تقيد بها رهن المحاكمة. وأمام ذلك العمود عرش "الدينونة"، كما يسمونه وإلى جانبيه مقاعد أخرى أقل ارتفاعا معدة لجلوس جماعة القضاة. ثم توجهنا إلى غرف آلات التعذيب، وتمزيق الأجسام البشرية. وقد امتدت تلك الغرف مسافات كبيرة تحت الأرض. وقد رأيت بها ما يستفز نفسي، ويدعوني إلى التقزز ما حييت. رأينا غرفًا صغيرة في حجم جسم



الإنسان بعضها عمودي وبعضها أفقي. فيبقى سجين العمودية واقفاً بها على رجليه مدة سجنه حتى يقضى عليه. ويبقى سجين الأفقية ممدداً بها حتى يموت. وتبقى الجثة في السجن الضيق حتى تبلى، ويتساقط اللحم عن العظم. ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من الأجداث البالية تفتح كوة صغيرة إلى الخارج. وقد عثرنا على عدّة هياكل بشرية مازالت في أغلالها سجيّنة. والسجناء كانوا رجالاً ونساء تختلف أعمارهم بين الرابعة عشرة والسبعين. واستطعنا فكّك بعض السجناء الأحياء، وتحطيم أغلالهم، وهم على آخر رفق من الحياة. وكان فيهم من جُنْ لكثرة ما لاقى من عذاب، وكان السجناء عرايا زيادة في النكاية بهم، حتى اضطر جنودنا أن يخلعوا أرديتهم، ويستروا بها ليفا من النساء السجينات. وقدمنا السجناء إلى النور تدريجياً لئلا يؤثر النور المفاجئ على أبصارهم. وكانوا يبكون فرحاً وهم يقبلون أيدي الجنود وأرجلهم الذين أنقذوهم من العذاب، وأعادوهم إلى الحياة. وانتقلنا إلى غرف أخرى فرأينا هناك ما تقشعر لهوله الأبدان، عثرنا على آلات لتكسير العظام، وسحق الجسم. وكانوا يبدأون بسحق عظام الأرجل، ثم عظام الصدر والرأس واليدين، وذلك كله على سبيل التدريب حتى تأتي الآلة على البدن المهشم، فيخرج من الجانب الآخر كتلة واحدة. وعثرنا على صندوق في حجم رأس الإنسان تماماً، يوضع فيه الرأس المعذب، بعد أن يربط صاحبه بالسلاسل في يديه ورجليه فلا يقوى على حركة. وتقطر على رأسه من ثقب في أعلى الصندوق نقط الماء البارد،



فتقع على رأسه بانتظام في كل دقيقة نقطة. وقد جن الكثيرون من ذلك اللون من العذاب، قبل أن يحملوا به على الاعتراف ويبقى المعذب على حاله تلك حتى يموت. وعثرنا على آلة ثلاثة للتعذيب تسمى بالسيدة الجميلة، وهي عبارة عن تابوت تنام فيه صورة فتاة جميلة مصنوعة على هيئة الاستعداد لعناق من ينام معها، وقد برزت من جوانبها عدة سكاكين حادة. وكانوا يطرحون الشاب المعذب فوق هذه الصورة، ثم يطبقون عليهما باب التابوت بسكاكينه وخناجره، فإذا أغلق مزق جسم الشاب وتقطع إربًا إربًا. كما عثرنا على جملة آلات لسل اللسان، ولتمزيق أثداء النساء وسحبها من الصدور بواسطة كلاليب فظيعة، ومجالد من الحديد الشائك لضرب المعذبين وهم عرايا حتى يتناثر اللحم عن العظام. وصل خبر الهجوم على دير "ديوان التفتيش" إلى مدريد، فهب الألو فليروا ما حدث. وخيل - إلينا من شدة الزحام - أننا في يوم القيامة. ولما شاهد الناس بأعينهم وسائل التعذيب وآلاته الجهنمية جن جنونهم، وانطلقوا - كمن به مس - فأمسكوا برئيس اليسوعيين، ووضعوه في آلة تكسير العظام فدقت عظامه دقًا وسحقها سحقًا. وأمسكوا كاتم سره وزفوه إلى السيدة الجميلة وأطبقوا عليهما الأبواب، فمزقته السكاكين شر ممزق. ثم أخرجوا الجثتين، وفعلوا بسائر العصاة وبقية الرهبان كذلك. ولم تمض نصف ساعة حتى قضى الشعب على حياة ثلاثة عشر راهبًا، ثم أخذ ينهب ما بالدير. وقد عثرنا على أسماء ألو الأغنياء في سجلات الديوان



السرية، وهم الذين قضى الرهبان بقتلهم كي يبتزوا أموالهم، أو يضطروهم إلى كتابة إقرارات تحول ثرواتهم إلى اليسوعيين. ويمكنني أن أقول: بأن ذلك اليوم هو أعظم يوم شهدته بعد هدم "الباستيل". أ.هـ.)^(١)

كل هذه الوسائل والأساليب القبيحة المنكرة البشعة استمروا ينزلونها بأهل الإسلام المغلوبين على أمرهم الذين أُصيبوا بمصائب عظيمة وجاءت مصائبهم في زمن اختلف فيه أهل الإسلام فيما بينهم وانشغل المسلمون ببعضهم بعضا وتسلط الكفار عليهم تسلط عظيم ولم يكن لهم من ينصرهم وهكذا استمرت المأساة والمعاناة أربعة قرون أي ٤٠٠ سنة وهذه الهيئة الإجرامية التي عرفت بمحاكم التفتيش يتوارثها الإسبانىون أبا عن جد وينزلون العذاب بالمسلمين حتى صارت أرض الأندلس لا يكاد يوجد فيها أحد من المسلمين بعد أن كانت مليئة بالمسلمين وكان أكثر أهلها مسلمون أكثرهم من الإسبانىين أنفسهم وليسوا من العرب فعمل هؤلاء المجرمون الصليبيون الحاقدون على اقتلاع الإسلام من جذوره وانتهى منها شيء اسمه إسلام وإلى يومنا هذا ولا يزال الإسبانىون أشد الناس حقداً على الإسلام والمسلمين وبغضاً للإسلام والمسلمين وكثير من المسلمين للأسف الشديد يجهل هذه الحقائق المرّة وربما شجع بعض الكفار كحفيد أولئك المجرمين المدعو "ميسي" فهؤلاء الذين فعلوا بالمسلمين هذه الأفاعيل هم أجداده وهو على

(١) التعصب بين المسيحية والإسلام: ص (٢٦٩ - ٢٧٤).



نفس طريقتهم الخبيثة يسير لما قيل له إن كثيرًا من المشجعين لك من المسلمين وبالذات مسلمي العرب فقال : (لا يشرفني أن يشجعني الكلب العربي) هكذا ينظرون إلى أهل الإسلام نظرة حقد و احتقار شديد جدًا فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يلطف بالإسلام والمسلمين وأن يفقه أهل الإسلام في الدين فإنهم إذا تفقهوا في الدين وأقاموا أمر الجهاد في سبيل الله ستعود إليهم عزتهم وسيعود إليهم مجدهم والتمكين الذي حصل لآبائهم الأولين أما إذا استمر الوضع على هذه الحال المؤسفة من حب للنصارى وحب لليهود وتعاطف معهم ودفاع عنهم وعدم بغض لهم وعدم تطبيق لعقيدة الولاء والبراء وعدم إقامة شعيرة الجهاد فإن النتائج لن تبشر بخير إلا أن يشاء الله.

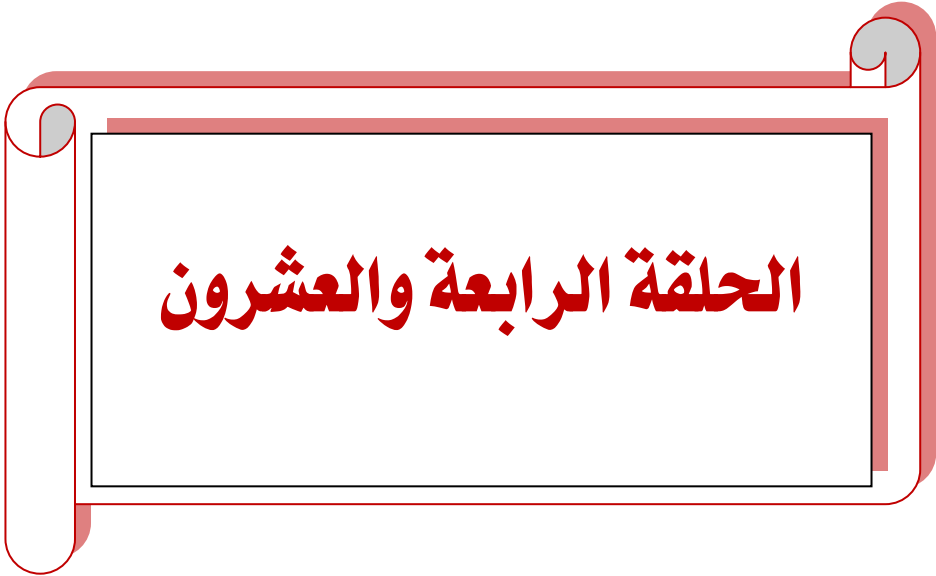
والعجيب أنه إلى عصرنا هذا و إلى يومنا هذا وبعض المجرمين يدافع عن محاكم التفتيش من النصارى ويقول إن هذا الأمر كان لا بد منه من أجل تحقيق العبودية والقيام بالديانة النصرانية الحقبة وتطهير البلاد من الكافرين أي من المسلمين !!

نسأل الله السلامة والعافية ثم إن هذه المآسي ما هي إلا قطرة من مطرة وإلا فقد أنزل الصليبيون بأهل الإسلام مآسي عظيمة ومجازر رهيبة سواء في الجزائر أو في الفلبين كما سيأتي معنا إن شاء الله أو في البوسنة والهرسك وكوسوفا وأوهند وكل بلدة من بلاد المسلمين تحكي مآسي فظيعة نزلت بأهل الإسلام على أيدي النصارى الصليبيين و هؤلاء المجرمون الكافرون يظنون أن



أهل الإسلام لن يقفوا على هذه الحقائق وأنهم لا يعرفون شيئاً منها فيتملقون للمسلمين ويظهرون عبر المنظمات بالمظهر اللين الناعم حالهم كحال الحية جلدها منقوش وناعم وهي تحمل السم القاتل نسأل الله العلي القدير بمنه وكرمه أن يقطع دابر الكافرين أجمعين وأن يلطف بنا وبكم وأن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى ويستر عوراتنا وأن من أرادنا وأراد ديننا وبلادنا بسوء أن يشغله في نفسه وأن يكره به ولا يكرهه إنه على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين.





الحلقة الرابعة والعشرون



فتح القسطنطينية

(الجزء الأول)

بسم الله والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

في هذا اليوم السادس والعشرون من شهر رمضان لعام (١٤٤٤) للهجرة النبوية نواصل في سلسلتنا " تحفة الأخيار في ذكر أهم معارك المسلمين مع عباد الصليب الأشرار " وهذه الحلقة هي الحلقة الخامسة والعشرون وسنتحدث فيها وربما سيستمر حديثنا إلى الحلقة القادمة عن معركة عظيمة من معارك أهل الإسلام التي خاضوها ضد النصارى الصليبيين وهذه المعركة من أشهر المعارك في التاريخ الإسلامي وهي المعروفة بمعركة " فتح القسطنطينية " وكان لها الأثر الكبير على النصارى والمسلمين .

هذه الحدث العظيم - فتح القسطنطينية - جرى أيام قوة المسلمين زمن الدولة العثمانية وقبل الدخول في تفاصيل المعركة نحتاج إلى الحديث عن ثلاث نقاط أساسية:

🌀 - النقطة الأولى : أين تقع القسطنطينية ؟

🌀 - النقطة الثانية : ما الحكم الصحيح على الدولة العثمانية ؟



🌀 - **النقطة الثالثة:** من هو القائد البطل الذي حقق هذا الأمر العظيم وأجرى الله عز وجل على يديه فتح القسطنطينية ؟

🌀 **أولاً :** القسطنطينية هي بلدة في تركيا وأنُخذت عاصمة لها مدة من الزمن ، وهي مدينة عظيمة قديمة ذات موقع ممتاز فريد لتوسطها بين قارتي آسيا وأوروبا ؛ يحدها من الشمال البحر الأسود ومن الجنوب بحر مرمري ومن الشرق مضيق البوسفور إضافة إلى خليج زانداها جمالاً وهو خليج القرن الذهبي الذي يتخلل بعض أراضيها .

أول من أسسها الإمبراطور البيزنطي " **قسطنطين الأول** " وذلك عام (٣٣٠) من الميلاد وصل إليها وكان يُطلق عليها اسم " **بيزنطة** " فوجدتها ذات موقع عظيم ورائع فأسس فيها مدينة وشيد أسوارها وجعل لها أبراجاً وجعل فيها حصوناً عظيمة وأطلق عليها " القسطنطينية " نسبةً إليه وتوالت الدول النصرانية في تشييدها والعناية بها وصارت عاصمة الدولة البيزنطية النصرانية الرومية ثم بعدها صارت عاصمة الدولة التي جاءت بعدها وهي أيضاً دولة نصرانية أرثوذكسية وكانت تسمى بهذا الاسم " القسطنطينية " .

هذه البلدة جاء في ذكرها أحاديث بعضها صحيحة منها :

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « سَمِعْتُ بِمَدِينَةِ جَانِبِ مِثْلِ الْبَرِّ وَجَانِبِ مِثْلِ الْبَحْرِ؟ » قَالُوا: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ " لَا تَقُومُ



الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق . فإذا جاؤها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط أحد جانبيها».

❖ **قال ثور:** لا أعلمه إلا قال "الذي في البحر. ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط جانبها الآخر. ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر. فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا فبينما هم يقتسمون المغنم، إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج. فيتركون كل شيء ويرجعون" (١)

❖ **قال الإمام النووي قال القاضي:** كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم: من بني إسحاق. قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ: من بني إسماعيل. وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه. لأنه إنما أراد العرب. وهذه المدينة هي القسطنطينية .

٢- عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزَلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ يَدَاقِ فَيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُحَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا فَيَقَاتُلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثٌ هُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا ; فَيَفْتَحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمْ



الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ فَيُخْرِجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعَدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَا نَذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ .» (١)

❖ وبعضها لا تصح ومنها :

١- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشْرِ الْحَثْعَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ » قَالَ: «فَدَعَانِي مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَسَأَلَنِي، فَحَدَّثْتُهُ، فَغَزَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ» (٢)

أي نعم الجيش الجيش الفاتح لها ونعم الأمير الأمير الفاتح لها .

٢- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابٌ يَثْرِبُ، وَخَرَابٌ يَثْرِبُ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٨٩٧).

(٢) ضعيف : رواه الإمام أحمد في مسنده (١٠١٢٦). وفي سنده عبد الله بن بشر الحثعمي مجهول وقد اختلف على زيد بن الحباب في اسمه واسم أبيه ونسبه . ومن ضعفه الألباني في ضعيف الجامع حديث رقم: (٤٦٥٥).



فَتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ خُرُوجُ الدَّجَالِ « ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى فَخِذِهِ
أَوْ عَلَى مَنْكِبِهِ، ثُمَّ قَالَ: « إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ. »^(١)

وحدث أبي هريرة السابق الذكر حديث عظيم فيه ذكر فتح القسطنطينية
وأن فتحها يكون في آخر الزمن وأن فتحها يؤذن بخروج المسيح الدجال وعلى
هذا فالفتح للقسطنطينية فتحان :

🌀 - **فتح أول :** وهو الذي سنتحدث عنه هنا وهو فتح القسطنطينية على
يد القائد العثماني " محمد الفاتح " .

🌀 - **فتح ثاني :** وهو الذي سيجري قرب الساعة وهو الذي جاء ذكره في
كثير من الأحاديث وهذا لا يكون إلا قبل الدجال بيسير وقد أخبر النبي -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في الحديث السابق الذكر الذي رواه مسلم أن ذلك الجيش
يفتحها بدون سلاح وإنما بالتهليل والتكبير فيهلل ويكبر الجيش الإسلامي
فيسقط أحد جوانبها ثم يهلل ويكبر فيسقط الجانب الآخر ثم يدخلونها
فاتحين وبينما هم يقتسمون غنائمها يأتهم الصارخ ألا إن المسيح الدجال قد
خرج في أرضكم وبلادكم فيتركون كل شيء كانوا يقتسمونه ثم يعودون إلى
بلدانهم ولم يكن قد خرج الدجال بعد لكنه يخرج بعد هذه بأيام قليلة كما
أخبر بذلك النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - في الحديث السابق الذكر .

(١) **ضعيف :** رواه الإمام أحمد في المسند (٢٠٠٣) . وفي سننه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ضعيف له
مناكير عد الذهبي هذا الحديث منها، ومكحول لم يسمع من معاذ.



أما حديث : (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الجيش جيشها ولنعم الأمير أميرها) .

فهذا الحديث فيه ضعف ولكنه قد كان من جملة الدوافع لفتح هذه المدينة لدى كثير من القادة والسلاطين والأمراء ظناً منهم صحة الحديث أو على القول بصحته عند من يقول بصحته .

لهذا فقد غزى هذه البلدة كثير من القادة الإسلاميين وكثير من الأمراء فأول من غزاها - معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عام ٣٢ هـ غزا مضيق القسطنطينية فسمي عام المضيق في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبلغ عدد المرات التي حوصرت هذه المدينة من قِبَل جيش المسلمين إحدى عشرة مرة وأول غزوة إسلامية قامت بمحاصرة القسطنطينية كانت في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه ^(١) بقيادة يزيد بن معاوية وكان في هذا الجيش الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه ^(٢) ومات عند أسوارها ودفن هناك وكان في ذلك الجيش وهو أول

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: حوادث (٤٠-٦٠) هـ، والهيتمي، مجمع الزوائد (١١/١٠).

(٢) هو خالد بن زيد أبو أيوب، أنصاري خزرجي نَجْرِي، معروف باسمه وكنيته، من السابقين، شَهِدَ العقبة وبدراً وما بعدها، ونزل عليه النبي ﷺ لما قَدِمَ المدينة، فأقام عنده حتى بَنَى بيوته ومسجده، وأخى بينه وبين مصعب بن عمير، وشَهِدَ الفتوح وداوَمَ الغزوات، واستخلفه عليٌّ على المدينة لما خرج إلى العراق، ثم لَحِقَ به وشَهِدَ معه قتال الخوارج . تَوَفَّى في غزاة القسطنطينية : سنة خمسين، وقيل: إحدى، وقيل: اثنين وخمسين، وهو الأكثر، في خلافة معاوية، وأميرهم يومئذٍ يزيد بن معاوية، ودُفِنَ في أصل جِصْنِ القسطنطينية .



جيش ينطلق لمحاصرة القسطنطينية كان فيه العبادلة الأربعة وهم: عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير ^(١) لكن لم يتيسر لهذا الجيش فتحها فرجع ثم كان كانت المحاولة الثانية في زمن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وهكذا في زمن عمر بن عبد العزيز ، ولكن كلها كانت محاولات لم تصل إلى نتيجة وهي فتح هذه القلعة الحصينة التي هي من أشد مدن العالم تحصيناً ^(٢) وهي ذات منعة عالية جداً وأسوار حصينة جداً و محاطة بالبحار من ثلاث جهات من الشرق " البوسفور " ومن الشمال البحر الأسود ومن الجنوب بحر " مرمرة " وحاول أيضاً كثير من السلاطين العثمانيين افتتاحها ولم يتيسر فتحها إلا لهذا السلطان وهو السلطان العثماني السابع محمد بن مراد " أبو البركات " المعروف بـ (محمد الثاني) والمعروف بـ (محمد الفاتح) هذا هو السلطان السابع من سلاطين الدولة العثمانية .

ما الحكم الصحيح على الدولة العثمانية؟

الدولة العثمانية اختلفت وجهات النظر حولها وصار الناس فيها طرفان ووسط:

(١) تاريخ الطبري (٢٣٢/٥)، وتاريخ دمشق (٢٩٠/٦٦).
(٢) انظر: الحملة الأخيرة على القسطنطينية في العصر الأموي.



﷭ - فمنهم من يغالي فيها ويبرئها من كل عيب ومن كل نقص ويزعم أنها الدولة التي لم يحصل لدولة من دول الإسلام قبلها شيء من الكمال والزيادة كما حصل لها ونحو ذلك .

﷭ - وقسم يذمها ذمًا شديدًا ويغالي في تنقصها والذم لها وأنها كانت معقل البدع ودولة الشراكيات والقباب والأضرحة وغير ذلكم .

﷭ - **والقول الصواب فيها هو القول الوسط** : وهو أنها دولة من أعظم دول الإسلام بل هي أعظم دولة من دول الإسلام من حيث القوة ومن حيث المدة التاريخية ظهرت عام ٦٩٩ هـ، ١٣٠٠م، وكانت أشبه ما تكون بالدولة الأموية في جهادها وفتوحها وذلك في أول عهدها واستمرت ستة قرون وبلغت إلى عمق أوروبا ووصلت إلى الصرب وكوسوفا والبوسنة والهرسك واليابان وألمانيا وسيطرت على كثير من تلك البلدان .

فلاشك أنها كانت أقوى دولة إسلامية من حيث القوة وأطول دولة إسلامية من حيث العمر التاريخي ^(١)

(١) كتاب الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، للدكتور عبد العزيز محمد الشناوي (١/ ٣٣) وما بعدها .

وإليك بيان لمدة كل دولة من دول الإسلام الكبيرة والشهيرة :

١- **الدولة الأموية** : بدأت عام (٤١) هـ وانتهت عام (١٣٢) هـ /
(٦٦١) م - (٧٥٠) م. أي أنها استمرت واحدًا وتسعين عامًا .

٢- **الدولة العباسية** : بدأت عام (١٣٢) هـ وانتهت عام (٦٥٦) هـ /
(٧٥٠) م - (١٢٥٨) م .

أي أنها استمرت خمسمائة وأربعة وعشرين عامًا (٥٢٤).

٣- **دولة المماليك** : بدأت عام (٦٤٨) هـ وانتهت عام ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ م -
١٥١٧ م .

أي أنها استمرت ٢٧٥ مائتين وخمسة وسبعين عاما .

٤- **الدولة العثمانية** : بدأت عام (٦٧٩) هـ وانتهت عام (١٣٢١) هـ /
١٢٨١م - ١٩٢٣ م أي أنها استمرت (٦٦٢) ستمائة واثنين وستين عاما .

وسبحان الله كانت ولادة المؤسس الأول لهذه الدولة وهو " **عثمان أرطغرل**
" في العام الذي سقطت فيه الدولة العباسية .

وهكذا كلما سقطت دولة لأهل الإسلام هياً الله لهم دولة جديدة ، فتبدأ
فصول وأمور الدولة الجديدة وهكذا حتى تبلغ ذروتها .



هذه الدولة هي كغيرها من الدول من حيث وجود الأخطاء ومن حيث عدم الصفاء العقدي فهناك شيء من الأمور العقدية التي طرأت على هذه الدولة وعلى كثير من رجالها لا سيما في مراحلها الأخيرة حيث حصل تأثر كبير بالصوفية وحصلت عناية بالبدع ومحاربة لأهل السنة فكانت هذه الأمور من جملة الأسباب التي أدت إلى سقوطها لكن كانت في بعض مراحلها وبعض أزممنتها على خير وعلى أمر حسن في كثير من الجوانب وهي كغيرها من الدول كما سبق فالدولة الأموية كان من خلفائها من هو متأثر بالفكر الناصبي فكان يناصر العداة بعض أهل البيت ، والدولة العباسية كان بعض خلفائها على العقيدة الجهمية فيما يتعلق بخلق القرآن كالمعتصم ، ودولة آل زنكي كانت أشعرية ، وهكذا الدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين الأيوبي كانت أشعرية فالخلل يحصل لأفراد ويحصل لجماعات ويحصل أيضًا لكثير من الحكومات والملوك والسلاطين وبقدر قرب علماء السوء من هؤلاء بقدر ما يكون الفساد والخلل أكثر وبقدر قرب العلماء الناصحين - علماء أهل السنة - من السلاطين والأمراء بقدر ما يحصل الخير العظيم والنفع الكبير .

❁ **والخلاصة :** أن الدولة العثمانية على ما كان فيها من خلل فقد كانت حصنًا حصينًا لأهل الإسلام وسدًا منيعًا في وجه الزحف الصليبي وكانت تعني بشعائر الإسلام وبإقامة أمور الدين وكان لها عناية كبيرة في الجهاد في سبيل الله ، وفي نصرة دين الله رب العالمين تبارك وتعالى ، وقد حصلت مغالطات



كبيرة من قَبْل كثير ممن يكتب في التاريخ أو ممن يتكلم عن هذه الأمور فقد درسنا ودرس غيرنا في المدارس النظامية ما يسمى بالإحتلال العثماني أو الغزو العثماني وصوروا هذه الدولة أنها دولة احتلال ودولة تغزو المجتمعات الإسلامية وتجتثم على صدور أهلها ، ولا يتكلمون بالكلام الذي هو أقرب إلى الصواب وهو أنها كانت تمثل دولة الإسلام وإذا وُجدت بعض قواتها في كثير من المدن أو في كثير من البلدان فهي بمثابة قوات أمن لتلك البلدة التي هي جزء من هذه الدولة فذلك أشبه ما يكون بإدارات الأمن الآن وأقسام الشرطة الممتدة في نواحي الدولة الواحدة وما كانت اليمن إلا بلدة صغيرة جدًا من بلدان الدولة العثمانية وجزءًا منها وهكذا الحجاز وهكذا الشام والعراق فقد كانت هذه الدولة تغطي مساحات شاسعة من الكرة الأرضية وكانت دولة إسلام وبالذات في عصورها الأولى وكانت أساطيلها تزعم النصر في العالم حيث سيطرت على كثير من البحار والمحيطات فما كان البحر الأبيض المتوسط إلا بُحيرة تابعة لهذه الدولة العظمى التي كانت هي السائدة والرائدة بلا منافس وباسم الإسلام ونصرة الدين مع وجود بعض الأخطاء مما لا يُنكر ومما لا يكاد تسلم منه دولة .

❖ - كان تأسيس الدولة العثمانية في منتصف القرن السابع الهجري فنشأت سريعًا واتسعت رقعتها .

ولا ينبغي للمسلم أن يجهل مثل هذه الأمور.



❖ - كما أني أنبه على أمر مهم وهو أنه لا يُعتمد في معرفة أحوال هذه الدولة وأطوارها على المسلسلات التركية والأفلام التمثيلية والمسلسلات التلفزيونية فإنه دخل عليها كثير من التزوير للحقائق والتغيير للأحداث و قلب الحقائق فيها أكثر من الحقائق نفسها فهناك أيدي خبيثة تعمل على تشويه التاريخ الإسلامي بكل وسيلة سواء عن طريق الكتابة والتأليف أو عن طريق المسلسلات والتمثيلات .

لأجل هذا نؤكد بأن هذه الأمور تحتاج إلى علم وبصيرة ودراسة في كتب أهل العلم المعبرين وإلا سيقع الإنسان في مفاهيم خاطئة وفي أمور وتقارير ليست إلا من قبيل الكذب والدجل والتضليل الإعلامي فالمسلسلات التركية الآن المنتشرة باسم "**عثمان أرطغرل**" فيها كثير من الخبط والخلط وفيها من الكذب ^(١) وفيها كثير من التزوير وفيها غزو للعقول والأفكار فمن أراد أن يعرف أحوال هذه الدولة فليرجع إلى الكتب المعتبرة وإلى أقوال العلماء الثابتين الناصحين - علماء أهل السنة والجماعة - الذين يغربلون الأقوال وينظرونها بمنظار الشرع لا بمنظار العاطفة القاتل ، ولا بمنظار الحماسة الجائر ، ولا بمنظار التبعية المقيتة فعلماء أهل السنة والجماعة ليسوا كأولئك الذين حيثما كانت سيادة أو قيادة جماعتهم الفلانية كان التعظيم والتقديس

(١) الحقائق المذكورة فيها أقل من خمسة بالمائة ٥% وأكثر من خمسة وتسعين بالمائة كذب وافتراء واختلاق وخيالات.



لهذه الجهة بناءً على التقديس الحاصل لتلك الجماعة أو لقيادتها ! أما أهل السنة والجماعة فإنهم ينطلقون من منطق العلم والعدل والانصاف والتحري والدقة في النقل والنظر في الحقائق والحكم بميزان الشرع وليس بالموازن الأخرى المغلوطة التي أثرت على الناس تأثيراً سلبياً هذا فيما يتعلق بالكلام على مدينة القسطنطينية وعلى الدولة العثمانية التي كان من جملة سلاطينها السلطان محمد الثاني محمد الفاتح.

فمن هو محمد الفاتح ؟

هو السلطان محمد الثاني بن مُرَاد بن مُحَمَّد بن مراد بن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عُثْمَان، السُّلْطَان محي الدين ملك الرُّوم وصاحب القُسْطَنْطِينِيَّة وفاتها. ولد بعد الأَرْبَعِينَ وَثَمَانِيَّة. وولي السلطنة بعد موت أبيه سنة خمس وخمسين. ومات سنة سِتِّ وَثَمَانِينَ وَثَمَانِيَّة ^(١)....

ولد هَذَا السُّلْطَان فِي ٢٦ رَجَب سنة ٨٣٣ ٢٠ أبريل سنة ١٤٢٩ وَهُوَ سَابِع سلاطين هَذِهِ السَّلَالَةِ الملوكية وَلَمَّا تولى المُلْك بعد أبيه لم يكن بآسيا الصُّغْرَى خَارِجاً عَن سُلْطَانِهِ إِلَّا جُزْءٌ مِّن بِلَاد القَرْمَان ومدينة سينوب ومملكة طرابزون الرومية وَصَارَتْ مملكة الرُّوم الشرقية قَاصِرَةً عَلَى مَدِينَةِ القُسْطَنْطِينِيَّة وضواحيها وَكَانَ إقْلِيم موره مجزأً بَيْن البنادقة وعدة إمارات

(١) (نظم العقيان في أعيان الأعيان) (ص ١٧٣).



صَغِيرَة يحكمها بعض أعيان الرّوم أو الإفرنج الذين تخلّفوا عن إخوانهم بعد انْتِهَاء الحروب الصليبية وبلاد الأرنؤد وأبيروس في حمى إسكندر بك وبلاد البشناق البوسنة مُسْتَقَلَّة والصرب تَابِعَة للدولة العلية تابعة سيادته وَمَا بَقِيَ من مَحْيُثُ جَزِيرَةِ البلقان شبه جَزِيرَةِ البلقان دَاخِلًا تحت سلطة الدولة العلية وَبعد أن أمر بِنَقْل جثّة وَآلِدِهِ إِلَى مَدِينَةِ بورصة لدفنها بها أمر بِقَتْل أَخ لَهُ رَضِيع اسْمُهُ أَحْمَد ويارجاع الأميرة مارا الصربية إِلَى والدها ثُمَّ أَخَذَ يستعد لتتميم فتح مَا بَقِيَ من بِلَادِ البلقان ومدينة القُسْطَنْطِينِيَّة حَتَّى تَكُونَ جَمِيع أَمْلاكِهِ مُتَّصِلَةً لَا يَتَخَلَّلُهَا عَدُوٌّ مَهَاجِمٌ أَوْ صَدِيقٌ مُنَافِقٌ^(١).

❁ وقال صاحب كتاب (نيل الأمل في ذيل الدول) (٧ / ٢٨٨) عنه:

السلطان المعظم، والملك المفخّم، الكبير، الغازي، ملك الروم، وصاحب قسطنطينية العظمى، محمد بن مراد بن محمد بن عثمان، وكان ملكاً، جليلاً، ضخماً، معظّماً. ساد بني عثمان كلّهم، وزادت مدّته، وبعد صيته وذكره، وانتشر عدله في الآفاق، مع العقل والتدبّر والمعرفة والفضل الغزير والعلم والكرم، وسعة الملك، ووفور الجيوش، وإقامة الغزو والاستيلاء على الأقاليم الكفرية، وفتح الكثير من حصونها وقلاعها، وبناء الأبنية، والآثار الهائلة ، وكان ملك

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص ١٦١)، وإنما ذكرته هنا لأجل الأمانة العلمية وإلا فهو عندي غير معتمد ولا أنصح بالقراءة فيه فمؤلفه من أعداء الدعوة السلفية وقد حشاه بالطعن في أهل السنة واصفاً لهم بـ "الوهابية".



في حياة أبيه، ثم استقلّ بعد، ودام ملكه بعد استقلاله به مدّة تزيد على أحد وثلاثين سنة.

تربى محمد الفاتح ^(١) تربية دينية علمية على كتاب الله وسنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - على وقوع في بعض الأخطاء- وتربى على حب الجهاد في سبيل الله عز وجل تولى، السلطة بعد أبيه وذلك عام (٨٥٥) من الهجرة النبوية تربّع على كرسي السلطة الكبرى سلطة الدولة العظمى وكان في الثاني والعشرين من عمره يتربّع على كرسي أكبر دولة في العالم في تلك المدّة وما إن وصل إلى كرسي السلطة إلا وبدأ يفكر في تحقيق الحلم الذي كان يحلم به والأمر الذي كان يشغل باله منذ الصغر ألا وهو " فتح القسطنطينية " فجعل يفكر كيف يصل إلى هذا الأمر العظيم وبدأ يدرس خريطة البلاد وبدأ في إعداد الجيش فعدّ جيشاً عظيماً قوياً زاد في معنوياته وزاد في تربيته التربية الدينية وزاد في مرتبات الجيش وزاد في أعداده فوصل إلى (٢٥٠٠٠٠) وطور الأسطول البحري واعتنى به اعتناءً كبيراً وبالغ في الازدياد منه وفي تطويره وفي إعداد ما يحتاج إلى إعداد فيما يتعلق بالأسطول البحري وقرب منه العلماء والمشايخ وجعل

(١) انظر عن (محمد بن مراد) في: **وجيز الكلام (٣/ ٩٢٧ رقم ٢٠٩٤)**، والضوء اللامع (١٠/ ٤٧ رقم ١٦٣)، وبدائع الزهور (٣/ ١٨١)، ومفاهمة الخلان (١/ ٤٠)، وشذرات الذهب (٧/ ٣٤٤، ٣٤٥)، وتاريخ ابن سباط (٢/ ٩٠٣)، وتاريخ الأزمنة (٣٦١)، وتاريخ الخلفاء (٥١٦)، وأخبار الدول (٣٠٦ - ٣١١) (طبعة بيروت ٣/ ٣٦)، والتاريخ الغياثي (٣٦٦)، ونظم العقيان (١٧٣ رقم ١٨٨)، والإعلام بأعلام بيت الله الحرام للنهروالي، قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد (توفي ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م) طبعة غوتنغه (١٢٧٤ هـ) - (ص ٢٥٦ - ٢٥٨)، وتاريخ الأمير حيدر (٥٤٨).



يستشيرهم في كثير من الأمور وكان من جملة الإعداد لفتح القسطنطينية أنه رأى الموقع الحساس الذي على شاطئ البوسفور فعزم على إقامة قلعة حصينة في ذلك المكان الذي هو محاذي للقسطنطينية فبدأ ببناء القلعة الكبيرة وسماها قلعة " روم " أو " روملي حصار " ^(١) يعني قلعة الروم أو حصن الروم فكانت قلعة منيعة جدًا تطل على البحر وسيطر على المنافذ البحرية وكان لا يأذن لأي سفينة من السفن أن تمر من ذلك المكان إلا بعد أن تخضع للتفتيش الدقيق وأيضًا تدفع رسومًا إن أرادت العبور وهذا من أجل أن يؤمن الجيش إذا بدأ بالهجوم على القسطنطينية ويؤمن أمره من الناحية البحرية حتى لا تباغته بعض الحملات البحرية الصليبية فيحصل البلاء وتحصل الهزيمة فكانت هذه من جملة الإعدادات المهمة ، وكان من جملة الإعدادات أيضًا أنه اعتنى بسلح المدفعية وكان في زمنه قد بدأت الأمور تظهر بشكل كبير من حيث الأسلحة المتطورة وصناعة المدافع فاستدعى رجالاً مجري - من المجر - يُقال له " قربان " وكان ماهراً في صناعة الأسلحة وهياً له الظروف وأمدّه بالمال وجعله يقوم بتصنيع مدافع ضخمة ومنها المدفع السلطاني الكبير الذي أطلق عليه " مدفع الهون " وكان مدفعاً ضخماً جداً ^(٢) وبدأ بإعداد المدافع من أجل التحرك لفتح القسطنطينية.

(١) لمعرفة التفاصيل عن هذه القلعة انظر : موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (٤٧/١٦).

(٢) لمعرفة المزيد عن هذا المدفع انظر : الموسوعة التاريخية (٢١٨/٧).



كانت هذه الإعدادات الضخمة والكبيرة تدل دلالة واضحة على بعد نظر هذا القائد رغم صغر سنه و تدل على علو همته فبعد أن رأى أنّ الأمور قد تهيأت و الأسطول البحري على أتم الإستعداد والمنافذ البحرية تحت المراقبة و الجيش البري تم أيضًا إعداده وتهيئته وتجهيزه والمدافع صارت قابلة للاستخدام حينها أمر بالزحف نحو القسطنطينية وإعلان الحرب على القاعدة النصرانية الصليبية التي طالما هدّدت المسلمين وأقّصت مضاجعهم وآذت أهل الإسلام .

يأتي الحديث عن هذه الأحداث العظيمة وعن هذا الفتح الكبير المدوي في حلقتنا القادمة - إن شاء الله تعالى - وإنما كانت هذه مقدمة عن معركة " فتح القسطنطينية " أسأل الله العليّ القدير بمنه وكرمه أن يوفقنا وإياكم لكل خير وأن يلهم هذه الأمة أمر رشدها وأن يهيئ لها أسباب العز والتمكين وأن يقطع دابر أعدائها أجمعين إنه على كل شيء قدير وبارك الله في الجميع والحمد لله رب العالمين .



الحلقة الخامسة والعشرون



فتح القسطنطينية

(الجزء الثاني)

الحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

في هذا اليوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر رمضان لعام (١٤٤٤) للهجرة النبوية نواصل حديثنا عن فتح القسطنطينية وقد ذكرنا في الحلقة الماضية مقدمة عنها .

فقد كانت تعرف بـ " بيزنطة " وكانت عاصمة للدولة البيزنطية وبها كانت تسمى ثم أنشأ كثيرًا من أسوارها " قسطنطين الأول " وسميت باسمه ونسبت إليه فصارت تسمى "القسطنطينية " ولما افتتحها محمد الفاتح سماها " إسلام بول " أي - مدينة الإسلام - باللغة التركية وبقيت على هذا الاسم حتى جاء العلماني الملحد " مصطفى كمال أتاتورك " فحول اسمها من " إسلام بول " إلى " اسطنبول " أو " استانبول " . أي مدينة الملك .

إذن هذه المدينة مرت بمراحل وعرفت بأسماء : بيزنطة ، قسطنطينية ، إسلام بول ، اسطنبول وهذا الأخير هو الاسم المعروف إلى يومنا هذا وبقيت عاصمة لتركيا الحديثة مدة ثم تحولت عاصمة تركيا إلى " أنقرة " .



ذكرنا في الحلقة الماضية شيئاً من الاستعدادات التي قام بها محمد الفاتح حينما أراد فتح هذه المدينة أو القلعة الكبيرة التي تعتبر من أمنع وأحصن مدن العالم حتى قال بعض القادة وهو نابليون : " لو كان العالم كله دولة واحدة ما صلحت أن تكون عاصمته إلا القسطنطينية " لما تتمتع به من الموقع الفريد فهي في نقطة الالتقاء بين قارتي " آسيا و أوروبا " وتحوطها المياه من ثلاث جهات كما ذكرنا سابقاً .

لما علم ملكها بتحريك محمد الفاتح وعزمه على مهاجمتها وكان ملكها يقال له " **قسطنطين الحادي عشر** " وهو نصراي صليبي أرثوذكسي فهو من فرقة النصارى الأرثوذكسية وليس من الفرقة الكاثوليكية وبين الكنيستين الكاثوليكية الأرثوذكسية صراع شديد.

لما علم ملكها بأن الجيش الإسلامي بقيادة محمد الفاتح عازم على مهاجمة هذه المدينة أرسل إلى زعيم الكنيسة الكاثوليكية يستنجد به ويتملق له رغم الصراع الكبير بين الكنيستين ويطلب منه أن يقف إلى جانبه وأن القسطنطينية إذا سقطت فإن روما ستكون الهدف الثاني وأنه إذا وقف إلى جانبه سيعمل على توحيد الكنيستين .

كان هذا عرضاً قدمه قسطنطين فأرسلت الكنيسة الكاثوليكية وفدًا إلى القسطنطينية وأجرت خطابات في الكنيسة التاريخية " **أيا صوفيا** " التي حولت بعدها إلى مسجد شهير ومعروف بهذا الاسم إلى يومنا هذا .



ومن جملة التدييرات والترتيبات التي قام بها هذا النصراني ملك هذه المدينة أنه راسل بعض ملوك النصارى في تلك الجهات وطلب الوقوف إلى جانبه ومن جملة التدييرات العسكرية الحربية الغربية التي اتخذها قسطنطين الحادي عشر أنه جعل على مدخل نهر القرن الذهبي المتفرع من مضيق البوسفور جعل على هذا المدخل سلاسل حديدية ضخمة جداً بحيث إذا جاءت السفن الحربية العثمانية تصطدم بهذه السلاسل ولا تستطيع أن تتجاوزها وبدأ بشحذ الهمم والكل يستعد .

أمر محمد الفاتح بتحرك الجيش بعد أن رأى أنه قد تم إعداده وتجهيزه على الوجه المطلوب ^(١) وأمر بسحب المدافع الكبيرة ومنها المدفع السلطاني المعروف بـ " الهون " وكانت تسحب بالثيران ما كانت هناك معدات كهذه المعدات العصرية ولا محركات ولكن كانوا يجمعون مجموعة كبيرة من الثيران القوية ويربطون عليها الأثقال التي يريدون تحريكها سواء مدافع أو أي شيء غيرها فتسحبها هذه الثيران بعد أن تهيئ وتمهد لها الطرق .

تحرك الجيش وتحركت المدفعية وتحرك الأسطول البحري المكون من (٢٠٠) سفينة عثمانية تحرك الكل إلى مشارف القسطنطينية وبدأت السفن العثمانية تتحرك باتجاه مدخل نهر القرن الذهبي وأما الجيش فإن محمد الفاتح لما وصل إلى مشارف القسطنطينية قسمه إلى أربع فرق أو أربعة أقسام وكان عدد

(١) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (٢٧/٢).



الجيش كبير جداً فقد كان يتراوح ما بين مائة وخمسين ألف إلى مائتين ألف فقسم هذا الجيش إلى أربعة أقسام : ثلاثة أقسام كلّفها بأن تطبق الحصار على المدينة القسطنطينية من الناحية البرية وفرقة من الجيش وهو القسم الرابع جعله قوة احتياطية وأمر بالمدافع فنصبت في مواقع مهمة ومنها المدفع السلطاني ثم أمر بالبدء في الهجوم واشتغلت المدافع وبدأت تقصف أسوار المدينة قصفاً شديداً والنصارى يحاولون أن يجمعوا قواهم وأن يستعدوا وكثفوا الحراسة والتمركز في الأبراج .

بدأت المدافع تقصف الأسوار قصفاً شديداً فدب الخوف إلى قسطنطين الحادي عشر فأرسل رسالة إلى محمد الفاتح يطلب منه الصلح والرجوع بجيشه من حيث أتى وهو مستعد أن يدفع له مالا ضخماً سنوياً كجزية سنوية فرفض القائد محمد الفاتح هذا العرض وأبى إلا أن يفتح المدينة وأن تكون ضمن الدولة الإسلامية واستمرت المدافع تضرب يوماً بعد يوم وهي تحاول أن تحدث شرخاً أو فتحات في الأسوار الأمامية لمدينة القسطنطينية وبدأت السفن بالتحرك ولكنها تفاجأت بالسلاسل الحديدية الضخمة التي أعاققتها عن مواصلة السير فكاد أن يكون ذلك سبباً في فشل الأسطول البحري الحربي العثماني وبقيت السفن مرابطة في مكانها وكان وراء السلاسل الحديدية فرقة من الحراسة الخاصة النصرانية وكانت ترشق السفن العثمانية وإذا حاولت أن تقتحم فإنها تصطدم بهذه السلاسل الحديدية فتضطر أن ترجع إلى الوراء .



كانت هذه مشكلة من أهم المشكلات التي واجهت الجيش العثماني وشغلت بال القائد محمد الفاتح فجعل يفكر كيف يفعل؟ هل من المعقول أن تُشل حركة الأسطول البحري تمامًا وتبقى سفنه رابضة في البحر لا تُقدم أدنى مهمة عسكرية أو قتالية أو وقوف إلى جانب القوة البرية ماذا يفعل والسلاسل الحديدية الضخمة قد عاقت سير السفن ففكر كثيرًا وبدى له أمر لم يكن بحسبان الجميع لا بحسبان المسلمين ولا بحسبان النصارى ما هو هذا الأمر الذي فكر به ياترى؟

❖ **لقد ألهمه الله وأوصله تفكيره المتواصل إلى أمر وهو:** أن يسحب السفن من البحر ويخرجها إلى اليابس ثم يؤتى بآلاف الخشب ويُرص المكان البري مسافة كبيرة وهي المسافة التي كانت ستجتازها السفن في البحر لتجتازها في البر ولكنها مسافة ليست سهلة ولا صغيرة بل هي مسافة كبيرة جدا وهي وهاد ومرتفعات ومنخفضات وهذه السفن ما هي بالسفن الصغيرة حتى يسهل نقلها !! لا شك أنها أمور صعبة لكنه عزم على ذلك بكلهمة وجدية فأمر بإخراج السفن إلى البر فأخرجت السفن إلى البر ثم أمر بهد التباب والمرتفعات وتسويتها بالأرض واشتغل الجيش وكان العمل في الغالب ليلياً أي أنه كان في الغالب يقع في الليل ثم أمر بأعداد هائلة من الأخشاب فرُصت على شكل جسر في ذلك المكان البري ثم طُليت بالزيت والدهون ثم جيء بالسفن وجعلت على مقدمة الأخشاب - الجسر الخشبي - ثم رُبطت



بجبال وجعل فرقة من الجيش من جهة يمين السفن وفرقة من جهة اليسار وأمرهم أن يمسكوا الحبال وأن يوزنوا حركة السفن بحيث لا تنحرف عن مسارها فتتنقلب ثم أمر بإمرارها على ذلك الجسر الخشبي في البر فكانت هذه الحادثة من أعاجيب الدهر ومن أغرب الحوادث القتالية إذ جعل السفن تجري على البر!!

وفي ليلة من الليالي تم تمرير ٨٠ سفينة بهذه الطريقة حتى وصلت إلى الجانب الآمن من جهة القرن الذهبي ثم أمر بإنزالها إلى البحر وكان هذا في الليل فنزلت السفن وصعد عليها المقاتلون البحريون !!

أصبح النصارى في الصباح في مدينة القسطنطينية وإذا بهم يتفاجئون بأسطول بحري وراء السلاسل الحديدية !!

كيف وصل ؟ كيف حصل هذا ؟! أمعقول أنهم اقتحموا السلاسل أو عملوا على تحطيمها إن هذا الشيء عجاب وهو من الصعوبة بمكان .

فمن أين جاءت هذه السفن إذن ؟ !!

كانت هذه القضية محيرة جدًا ومذهلة للصغير والكبير ولا سيما بعد أن تاكدوا أن السلاسل الحديدية باقية كما هي فمن أين جاءت هذه السفن إذن ؟ أنزلت من السماء أم صعدت من تحت المياه ؟ كيف فعل القوم ؟ سبحان الله العظيم !!



وبدأ حصار القسطنطينية يشتد أكثر فأكثر وشعرت القوات النصرانية بهبوط كبير في معنوياتها إلا أنهم بينما هم يواجهون القوات الإسلامية إذا بمجموعة من السفن جاءت نجدة لهم من بعض الدول أو الإمارات النصرانية الأخرى فارتفعت المعنويات شيئاً ما وبينما السفن القادمة لنجدة النصارى في القسطنطينية تجري في البحر جاءت التوجيهات من السلطان محمد الفاتح لقائد الأسطول البحري أن يعمل على إيقاف السفن النصرانية أو يعمل على إحراقها أو إغراقها وأن لا يسمح لها بمواصلة السير حتى تصل إلى جهة النصارى فدخلت القوات البحرية التركية في مواجهات مع السفن الحربية النصرانية ولكن شاء الله عز وجل أن تتغلب السفن النصرانية فتجتاز إلى جهة النصارى وترتفع معنويات النصارى إلى حدٍ كبير فغضب السلطان محمد الفاتح واستدعى قائد القوات البحرية العثمانية ووبخه توبيخاً شديداً وعزله عن منصبه ثم ولى قائداً آخر وأعطى توجيهاته إلى المدفعية بتكثيف الضربات من عدة جهات وأن توجه بعض الضربات المدفعية إلى السفن النصرانية القابعة على مقربة من مدينة القسطنطينية فبدأت ضربات المدافع تشتد على هذه المدينة من عدة جهات وأيضاً واجه النصارى جبهة جديدة وهي جبهة الذين حاولوا اقتحام المدينة من القرن الذهبي عن طريق السفن البحرية التي اجتازت ذلك المكان واشتد الأمر ثم تفاجأ النصارى بوسيلة حربية جديدة ربما أنهم لم يعهدوها من قبل حيث بدأوا يسمعون أصواتاً من



تحتهم فيتعجبون ما هذه الأصوات ؟ ثم استدعوا القائد العسكري فذعروا حين عرفوا أن هناك مجموعات كبيرة من القوة الإسلامية تعمل على حفر أنفاق أو تعمل على حفر خنادق من تحت الأسوار حتى يتفاجئ النصارى بظهورها من داخل المدينة من خلف الأسوار حينئذ وجه القسطنطين الحادي عشر الأوامر إلى بعض أفراد جيشه بعملية حفر وقائي من وراء الاسوار وبالفعل قامت بعض الفرق بحفر خنادق وقائية من خلف الأسوار وإذا ببعض المسلمين الذين فتحوا فتحات وصلوا إلى بعض الخنادق فكانوا يظنونها ممرات سرية خاصة فكانوا يمشون فيها فرحين ولم يفجأهم إلا الهجوم المباغت من القوة الدفاعية النصراني وكانوا يطلقون عليهم بعض الكتل النفطية المشتعلة فيحرق أقوام ويرجع آخرون من حيث جاءوا .

كانت هذه من جملة الخطط العسكرية الهجومية وكان هذا البطل محمد الفاتح يعجبه دائماً ابتكار الخطط وإرهاب العدو وإثارة الحروب النفسية على العدو كان كلما فشلت خطة فاجأهم بخطة جديدة وكلما فعلوا شيئاً فاجأهم بنقيضها فما إن فشلت خطة الحفريات من تحت الأسوار إلا وفاجأهم بصناعة برج خشبي متحرك مكون من ثلاثة أدوار ضخمة وجعل في هذا البرج أو القلعة الخشبية الكبيرة التي وصل ارتفاعها إلى فوق أسوار القسطنطينية جعل هذا البرج المتحرك مملوء بالمقاتلين ولا سيما الدور الأعلى ملاء بالرجال الرماة ثم طلى الجهة الخارجية له بالماء والدروع بحيث لا يتم



إحراقه وتحركت الأبراج أو هذا البرج الخشبي ودُعر النصارى ذعرًا شديدًا وجعلوا يواجهون ويدافعون ويتصدون والبرج الخشبي يتقدم لكنهم استماتوا في الدفاع عن مدينتهم وجعلوا يطلقون الكتل النارية والكتل النفطية المشتعلة فتمكنوا أخيرًا من إحراق هذا البرج الخشبي المكون من ثلاثة طابق وتهدم البرج بمن فيه على أولئك النصارى الذين هم في القلاع والأبراج النصرانية القائمة بالخطوط الدفاعية عن المدينة فمات خلق كثير ممن كانوا في البرج الخشبي من المسلمين وهكذا ممن سقط عليهم هذا البرج الخشبي المتحرك من النصارى .

❁ **يقول المؤرخ التركي الشهيد أحمد رفيق في وصف هذا البرج الضخم:** إن السلطان قد أمر بإنشاء أبراج تسير بواسطة عجلات لتستخدم في خرق السور فصنعوا برجاً خشبياً سياراً يسمى ب (كشوركشا) أي (فاتح البلاد) وهو مغلف من الخارج ومبطن من الداخل بالجلود بالماء لدفع النار. وكان الجنود يتحصنون في داخله، وإذا ما أرادوا الخروج فتحت الأبواب الثلاثة باتجاه المدينة من القسم الأسفل منه فكانوا في ذلك في مأمن من مقذوفات العدو أثناء النزول والركوب. وقد جمعت فيه أكوام من الحطب والأخشاب لإملاء الخنادق وتسهيل الهجوم، هذا ويحمل البرج مائة جندي انكشاري (ينيجرى) مع كامل أسلحتهم ومعداتهم.



وفي ذات ليلة جاءوا بهذا البرج إلى الموضع الذي عينه السلطان للزحف إلى ميدان القتال. غير أن العدو تمكنوا من إحراقه بقذفهم النار اليونانية إياها طيلة الليل (١٨ نيسان ١٤٥٣ هـ) ^(١)

وقد عقد كوستاف شلومبرجيه فصلاً مفصلاً في كتابه (فتح القسطنطينية) باللغة الفرنسية - نقلاً عن بعض المؤرخين الذين حضروا المعركة أمثال باربارو وتالدي وفرانجس وبيه رس - وصف فيه الدبابة الضخمة التي استخدمها الجيش العثماني أثناء محاصرتهم للقسطنطينية وصفاً دقيقاً جاء فيه:

أنه في صباح ١٨ مايو دُعر المحصورون في المدينة وأخذهم فزع شديد إذا رأوا بغتة البرج الخشبي السيار كالجبل عالياً فوق السور، فملأ ذلك قلوبهم خوفاً ورعباً، وفقدوا صوابهم فتحيروا في أمرهم ولم يدروا ماذا يصنعون؟!.. . وقد حضر الإمبراطور قسطنطين - حين بلغه الخبر - مع أركان جيشه لمشاهدة هذا البرج العجيب المسمى بالقلعة الخشبية (أو الدبابة).

لقد قام المهندسون الأتراك بصنع هذه الآلة قرب السور أثناء الليل بصورة خفية وسريعة جداً لم تستغرق أربعة ساعات بدرجة ينبغي أن نقول بأن أهل القسطنطينية جمعاء لم يكونوا ليصنعوا مثل هذا البرج في شهر كامل وإن ساعد بعضهم بعضاً.

(١) تاريخ الانتصارات العثمانية، ص ٢٥٠، ٢٥١.



كانت هذه القلعة الخشبية مصنوعة من أخشاب قوية مربوطة بعضها ببعض ربطاً محكمًا وهي مغلفة من الجهة العليا بطبقتين من جلد الإبل. وقد غطيت من جميع أطرافها بالطين حفظاً من التأثيرات الخارجية: وكانت تسير على عجلات متحركة ومغلفة بجلود البقر والجاموس. وهناك يوجد في داخلها الدرج (السلم) للصعود إلى الطابق الفوقاني منها. وفيها أنواع العتاد والأسلحة، كما كان فيها أيضاً كثير من السلالم الخشبية بغية استعمالها في التسلق على الأسوار. كانت لها ثلاث نوافذ متجه نحو السور يرمون من خلالها العدو بالسهم تحركت هذه القلعة وبدأ الجنود يرمون التراب والأخشاب في الخنادق لتسهيل السير حتى بلغوا السور وتمكنوا من فتح ثغرة فيه وبدءوا يثبتون السلالم ويستعلون بها على السور، ولم يتأثروا كثيراً بالمقذوفات التي كانت تلقى عليهم حتى تمكن العدو من إحراق هذه القلعة باستعمال النار اليونانية، واستشهد بعض من فيها من جنود الإنكشارية^(١).

واستمرت الحملات والهجمات وأعطى القائد محمد الفاتح التوجيهات للمدفعية بتكثيف الضربات فكثفوا الضربات جداً حتى أصاب النصارى ذعراً شديداً حتى إنه من شدة الضرب الحاصل من قبل المدافع وقد كانت الصناعات صناعة بدائية انفجر المدفع السلطاني العملاق ارتفعت حرارته فانفجر وبمن حوله وممن قتل ذلك الرجل الذي جيء به من المجر لصناعة

(١) مجلة الرسالة (٣٤/ ٨٥٥) بترقيم الشاملة آليا .



وتطوير المدفعية مع من كان معه ممن هم حول المدفع وأعطى السلطان محمد الفاتح توجيهات بتبريد المدافع ورش الدهون عليها حتى تهدأ حرارتها ثم أعطى توجيهاته للجيش بالهجوم البري ومحاولة اقتحام الأسوار اقتحاماً مباشراً فاقتحم الجيش المسلم بعض الجهات في أسوار المدينة وجعلوا ينصبون السلاالم لكن واجههم النصارى مواجهة شديدة وتصدوا لهم تصدي عنيف وجعلوا يرشقونهم بالقوارير المملوءة بالزيت الحارق ويرمونهم بالسهم والنبال فحصلت مقتلة عظيمة راح فيها مجموعة كبيرة من المسلمين . نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمهم وأن يتقبلهم شهداء عنده .

أثناء تلك المواجهة تمكن بعض أفراد الجيش المسلم من الوصول إلى بعض الأبراج النصرانية وجرح قائد القوة الدفاعية الذي جاء ضمن السفن التي أغاثت النصارى في المدينة فجرح جرحاً عميقاً فانسحب .

وحصل أمر آخر وهو أن النصارى جعلوا صنماً لمريم البتول عليها السلام جعلوا هذا التمثال على هيئة مريم ويطوفون به في شوارع القسطنطينية يدعون هذا التمثال من دون الله ويتضرعون إليه ويدعون مريم العذراء ويطلبون منها النصر وشاء الله عز وجل أن يسقط التمثال فينكسر فكانت هذه من عوامل سقوط المعنويات عندهم والتشاؤم فتشاؤموا وقالوا هذا دليل على أن الأمر محسوم يعني من قبل الله سبحانه وتعالى أي حسماً إلهياً .



وجاءت أمطار في بعض أيام الحصار وأُصيبَت الكنيسة - كنيسة أيا صوفيا - بصعقة رعدية فتشَاءموا أكثر وجاء القسيس القائم على أمر الكنيسة والتقى بالقسطنطين الحادي عشر وقال له : (ما أرى إلا أن الله قد تخلى عنا وأن المدينة على وشك السقوط).

فلما سمع القسطنطين الحادي عشر ملك المدينة هذا الخبر سقط مغشياً عليه ثم استمرت المواجهات وجعلوا يحثون الناس على الإكثار من الدعاء والضراعة والرجوع إلى الكنائس وجعل الناس رجال ونساء وصبيان يتضرعون على الطريقة النصرانية يريدون نصرًا على الأمة الإسلامية .

وهكذا أيضًا وجّه السلطان محمد الفاتح جيشه بالرجوع إلى الله عز وجل والإكثار من الضراعة وبعض الروايات تقول إنه أمرهم بصوم اليوم الأول الذي سبق يوم الاقتحام وأنه أمرهم بطهارة النفس وتفقد النيات وحثهم على إصلاح ما بينهم وبين ربهم تبارك وتعالى ولما شعر محمد الفاتح أن المدينة على وشك السقوط أحب أن يفتح باب المفاوضة وإعطاء فرصة أخيرة للنصارى فأرسل رسالة إلى الملك قسطنطين الحادي عشر ملك القسطنطينية يعرض عليه تسليم المدينة وإن شاء أن يخرج منها فليخرج بأمان هو ومن شاء وإن شاء أن يبقى في المدينة بقي وله الأمان ولن يتعرض له أحد من الجيش الإسلامي ولا إلى أحد ممن معه من النصارى بسوء فأعطاهم الأمان وطلب منهم التسليم فعقد قسطنطين الحادي عشر جلسة تشاور مع كثير من



الأمراء العسكريين النصرانيين فمنهم من أشار عليه بالتسليم ومنهم من أشار عليه بالقتال حتى الموت فرجّح الرأي الثاني وهو القتال حتى الموت فأرسل رسالة إلى محمد الفاتح يقول له : الحمد لله أنك عرضت علينا صلحاً فإن كنت تريد أن ترجع ونرسل لك مالاً سنوياً فعلنا وأما أننا نسلم المدينة فإما أن نحمي عرشها أو ندفن تحت أرضها . فما كان من محمد الفاتح إلا أن قال : إني لأرجو أن يجعل الله لي فيها عرشاً أو قبراً وعزم على مواصلة الهجمات ومواصلة الحصار ومحاولة الاقتحام وفي الليلة التي كان صبيحتها الاقتحام أمر محمد الفاتح الجيش الإسلامي بإشعال النيران من جميع الجهات فاشتعلت شعل كبيرة من النيران وارتجت جنبات الأماكن بالتكبير والتهليل وألقى عليهم خطبة عظيمة ومؤثرة جداً حثهم فيها على المثابرة وذكرهم بفضل الجهاد وكان في الجيش مجموعة كبيرة من المشايخ والعلماء فكانوا يحثونهم على المثابرة والاستبسال وعلى استحضار النية وأن هذا جهاد عظيم في سبيل الله وفي نصر دين الله عز وجل فكان لذلك الأثر الكبير وهكذا أيضاً الطرف الثاني وهم النصارى فإن ملك القسطنطينية كان يُلهب مشاعر النصارى بالحماس الديني حتى ألقى خطبة عظيمة جداً أثرت في النصارى تأثيراً عظيماً ثم لبس لأمة حربه ودخل قصره وجعل يركع أمام تمثال أو صورة لمريم العذراء ثم طلب المسامحة من أهل القصر وودّع الناس ثم ركب جواده وانطلق مقاتلاً .



حكى بعض المؤرخين أن ذلك الموقف أثر تأثيراً كبيراً في النصارى حتى لو كان بعضهم يملك قلباً من خشب أو من حديد لما وسعه إلا أن يبكي وأن يتأثر من الموقف ثم أعلن أنه لا تسليم ولا مهادنة ولا صلح وأنه سيقاقل حتى يموت تحت أنقاض هذه المدينة واندفع معه حرسه الخاص والقوة الاحتياطية الخاصة فقاقل قتالاً شديداً .

وفي صبيحة الحادي والخمسين من أيام الحصار وهو يوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الأولى لعام (٨٥٧) من الهجرة النبوية الموافق (١٤٥٣)م كان الفتح ^(١) حيث جاءت التوجيهات من السلطان محمد الفاتح بالاقتحام المباشر لأسوار المدينة وأصدر أوامره للمدفعية بوقف إطلاق النار وتم التوجه من عدة جهات نحو الأسوار ونُصبت السلاالم رغم التضحيات الكبيرة الحاصلة من المسلمين والتضحيات الكبيرة الحاصلة من النصارى لكن بالعزيمة العظيمة والهمة العالية بعد الاستعانة بالله والتوكل عليه واحتساب الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى بسبب ذلك استطاع بعض أفراد الجيش الإسلامى أن يصل إلى أعلى بعض أسوار المدينة وشعر النصارى بالهزيمة واستمر قسطنطين الحادي عشر يقاتل حتى سقط قتيلاً وبدأت الجيوش الإسلامية تقتحم المدينة من عدة جهات وارتفعت التكبيرات وبعضهم أول ما صعد على بعض الأسوار رفع صوته بالأذان وآخرون ينزعون الأعلام النصرانية والأعلام الصليبية

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥١٦/٩).



وينصبون أعلام الدولة العثمانية ودخلوا المدينة وهم يكبرون ويهللون وتقدم السلطان محمد الفاتح فدخل المدينة وجعل يمشي في بعض طرقها وأمام هذا المنظر العظيم والمنظر الرهيب خر ساجداً لله تبارك وتعالى .

أما النصارى فإنهم اختفوا وهرب خلق كثير منهم إلى كنيسة آيا صوفيا مع القساوسة والرهبان ودخل الجيش الإسلامي أزقة المدينة وانتشر في طرقها وشوارعها دون أي مقاومة تذكر فقد أصيب النصارى بالرعب الشديد ولا سيما بعد مقتل قائدهم أصابهم الله بالذعر وقذف في قلوبهم الرعب فمنهم من اختبأ في بيته ومنهم من اتجه إلى هذه الكنيسة الضخمة الكبيرة التي امتلأت بالرجال والنساء والرهبان و كان هذا قبل الظهر بيسير حيث بدأ اقتحام المدينة في الساعة الواحدة عربي صباحاً أي الساعة على التوقيت الذي يمشي عليه كثير الناس في هذا الزمن من الساعة صباحاً إلى قبيل الظهر وتم الانتصار العظيم بعد هذه المواجهات التي استغرقت مدة طويلة تزيد على (٧٥) يوماً واتجه السلطان إلى الكنيسة فوجدها ممتلئة بالنصارى وقد رُعبوا رعباً شديداً وهم يظنون أن أهل الإسلام سيتعاملون معهم بوحشية مثلما يتعامل النصارى مع المسلمين إذا كانت الغلبة لهم أو مثل ما يتعامل نصارى الكاثوليك مع نصارى الأرثوذكس ففتحوا الباب للسلطان ووراء فرقة من الحرس الخاص والنصارى يرتعدون فأمّنهم وقال لهم من أراد أن يبقى فليبقى ومن شاء أن يرجع إلى داره فليرجع فرجع خلق كثير وأمنوا على



أنفسهم ثم دعا بعض رجاله فأمرهم بتجهيز الكنيسة من أجل أن تحول إلى مسجد فأزالوا عنها الصليبان المعلقة عليها والتماثيل وحان وقت صلاة الظهر فأذن المؤذن لصلاة الظهر وصلى السلطان الظهر هو والجيش الفاتح داخل هذه الكنيسة فصارت مسجدًا وعمت الفرحة في أنحاء الدنيا أما بابا الكنيسة لما وصله خبر سقوط القسطنطينية فإنه صُدم لهول الخبر ومات مهمومًا مغمومًا إلى جهنم وبئس المصير.

وطارت البشائر في الأقطار وحصل الفرح العظيم وأعدت الولائم لمدة ثلاثة أيام وأعطى محمد الفاتح الهبات والهدايا للمضحين وللمجاهدين .

عدد قتلى الفريقين :

قُتل خلق كثير من المسلمين ومن النصارى فقد كان عدد القتلى في نحو أربعة آلاف وأما الأسارى فيزيدون على (٥٠٠٠٠) هؤلاء من المقاتلين وإلا فإن السلطان أعطى توجيهاته إلى القيادات العسكرية بعدم التعرض لأحد من النصارى لم يرفع سيفه ولم يشهر سلاحًا في وجه المسلمين وأن لا يتعرضوا للقساوسة ولا للرهبان وأن لا يقتلوا طفلًا ولا امرأة وبهذا يتبين لكل ذي لب أن أهل الأسلام أهل رحمة وأهل إحسان و معاملة عظيمة يختلفون اختلافًا كبيرًا عن غيرهم من اليهود والنصارى فنحمد الله سبحانه وتعالى حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه .



بهذا نكون قد أتينا على أهم أحداث فتح القسطنطينية ^(١) نكتفي بهذا
القدر والحمد لله رب العالمين .



(١) لمعرفة المزيد مما يتعلق بهذا الحدث العظيم انظر :

❖ حوار الدهور (٤٥٣/٢).

❖ النجوم الزاهرة (١٦ / ٧٠ - ٧١).

❖ بدائع الزهور (٣١٦/٢).

❖ تاريخ الأزمنة (٣٥٢ - ٣٥٣).

❖ أخبار الدول (٣١٤).

الحلقة السادسة والعشرون



حملة الصليبي ماجلان على جزر الفلبين :

الحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فهذه هي الحلقة السادسة والعشرون من سلسلة " مقتطفات من الحروب الصليبية على الأمة الإسلامية " وسأتحدث في هذه الحلقة عن حملة صليبية يجهلها كثير من الناس ولا سيما حينما عمد أعداء الإسلام إلى تزوير الحقائق التاريخية فيما يتعلق بهذه الحملة وغيرها .

هذه الحملة الصليبية التي سأحدث عنها في هذا اليوم هي حملة الصليبي النصراني الخبيث ماجلان على مسلمي الفلبين كانت هذه الحملة عام (٩٢٧) من الهجرة النبوية أي في بداية القرن العاشر الهجري الموافق / ١٥٢١ للميلاد أي في بداية القرن السادس عشر الميلادي ^(١) فمن هو ماجلان ؟ وما قصة مسلمي الفلبين ؟

عمد بعض المستأجرين وبعض المؤرخين الصليبيين إلى تزوير الحقائق كعادتهم فقالوا بأن ماجلان رجل بحار وبطل استكشافي ^(٢) صاحب رحلات بحرية وأنه صاحب الرحلة الشهيرة التي ثبتت من خلالها كروية الأرض وأنه

(١) الموسوعة التاريخية (٣٩٨/٧).

(٢) انظر على سبيل المثال : المدخل إلى علم الجغرافيا ص ١١٠، تجد ثناءً من المؤلف على هذا المجرم وتبجيلاً له !! وفي ص ٨٠ تجد ترجمة لهذا المجرم كلها خداع وتضليل.



قُتل مظلومًا على يد بعض آكلي لحوم البشر في جزر الفلبين، وأنه قاهر البحار!!

للأسف الشديد هذه المغالطات انتشرت وامتلأت بها كتب المناهج الدراسية في كثير من الدول الإسلامية والعربية ، فهل فعلاً هذا الرجل هو رجل استكشاف بحري ورّحالة وأنه لا علاقة له بالحملة الصليبية ؟ وهل فعلاً أنه قُتل مظلوماً بطريقة وحشية من قِبَل آكلي لحوم البشر ؟ .

هذا ما سنتحدث عنه ونميط اللثام عن هذه الحقائق في هذا الحلقة إن شاء الله .

❁ أولاً : تعريف مختصر بجزر الفلبين :

الفلبين هي عبارة عن مجموعة جزر تصل إلى (٧١٠٠) جزيرة في جنوب شرق آسيا أول ما وصل إليها الإسلام في القرن الثامن الهجري ٨٠٠ هـ - ١٣٨٠ م عن طريق بعض التجار العرب المسلمين ثم تزايد أمر الإسلام فيها بشكل كبير لا سيما في القرن الخامس الهجري .

❁ ثانياً : تعريف مختصر بـ " ماجلان " :

ماجلان هو " فرديناندو ماجلان " قسيس صليبي برتغالي كان في بعض الكنائس البرتغالية وكان من أهل الجشع وكان لصاً محترفاً غلبت عليه طبيعته اللصوصية فجمع أموالاً طائلة باسم الكنيسة وحازها لنفسه فلما عُرف أمره



هرب من البرتغال وارتمى في أحضان الإسبان وكانت هناك بعض النزاعات في تلك المدة بين الدولة الإسبانية و الدولة البرتغالية فاستقبله ملك إسبانيا وجعله من أعوانه ومستشاريه وقد كان قبل يعمل جاسوسًا لصالح الإسبان على دولته التي فر منها .

شارك هذا الصليبي الحاقد على الإسلام والمسلمين في تعذيب المسلمين في المحاكم التي عرفت بمحاكم التفتيش التي تحدثنا عنها في حلقة ماضية ولم يكتف بمشاركته في محاكم التفتيش ضد المسلمين وما قام به من تعذيب للمسلمين هناك في إسبانيا بل لاحقهم إلى المغرب وأنزل بهم العذاب والنكال في المغرب .

لقد كان هذا الرجل يحمل حقًا عظيمًا على الإسلام والمسلمين فلما كان كذلك اعتمد عليه زعيم إسبانيا في تنفيذ بعض الحملات الصليبية ضد المسلمين في شرق المعمورة وعقد معه صفقة على أن يتحرك لنشر الديانة النصرانية الكاثوليكية في الشرق فتحرك عبر المحيط الأطلسي و المحيط الهادي وكان له خمس سفن .

انظروا إلى ما يسمى بالبحار الاستكشافي أو صاحب الاستطلاعات الاستكشافية .



هذا أسطول بحري قتالي وليس رجل في سفينة أو مجموعة من الرجال في سفينة أو كذا وإنما أسطول مكوّن من عدد كبير من المقاتلين وعندهم أسلحة حديثة في تلك المدة فوصلت سفنه إلى بعض جزر الفلبين وعلى وجه التحديد إلى جزيرة " سيبو " واتفق مع حاكمها وهو " هومابون " اتفق معه على أن يدخل في النصرانية الكاثوليكية وهو سيعمل على تملكه لجزر الفلبين كلها أي سيعمل على توطيد الحكم له وتسهيل الأمور وسيقف إلى جانبه وينصبه ملكًا عامًا لجزر الفلبين كان هذا الاتفاق بين الصليبي والنصراني الحقود " فرديناندو ماجلان " وبين " هومابون " زعيم أو ملك جزيرة " سيبو " وبعدها تحرك هذا المجرم الأثيم إلى جزيرة " ما كنتان " هذه الجزيرة كان يحكمها رجل مسلم اسمه " لابولابو " وأهل الإسلام فيها كثير فلما وصل هذا المجرم برجاله وجنوده إلى اطراف الجزيرة وعلم أن حاكم الجزيرة مسلم اشتد البغض واشتدت الكراهية في نفسه فأراد الانتقام السريع من الحاكم المسلم ومن رعيته في الجزيرة فانطلق جنوده يغتصبون النساء ويقتلون ويأخذون الأطعمة على الناس حتى هرب كثير من سكان هذه الجزيرة إلى الأكواخ فأشعلوا عليهم النيران في أكواخهم وأرادوا أن يهلكوهم حرقًا واختناقًا بالدخان واستمر الأمر ، ثم إنه أرسل رسالة إلى الحاكم المسلم " لابولابو " هذا نصها : (باسم المسيح ، أما بعد : فأني أطلب منك تسليم هذه البلاد لأننا العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى بحكم هذه البلاد منكم - انظر إلى هذا الأسلوب الغطريسي



الهمجي من هذا النصراني الحاقد الذي تضخمه المناهج الدراسية ويُعَظَّم أمره عند كثير من الدارسين - يقول بهذا اللفظ : (باسم المسيح أما بعد : فإني أطلب منك تسليم هذه البلاد لأننا العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى بحكم هذه البلاد منكم) .

فكتب إليه القائد المسلم " لآبو لآبو " : (إن الدين لله وإن الآله الذي أعبدته إله الخلق أجمعين) (١) .

ثم عزم هذا القائد المسلم مستعيناً بالله على مواجهة هذا العدو الغاشم الصليبي الخبيث فتجمعت حول هذا القائد المسلم بعض الجموع اليسيرة من المسلمين وما يمتلكون من الأسلحة البدائية ولم يكن لديهم استعداد تام .

ثم إن هذا المتغطرس الصليبي أراد أن يبطش بالمسلمين بطشة شديدة تكون درساً لغيرهم في الجزر الأخرى وبدأ يستعرض قوته وجيشه وأسلحته الحديثة التي نزل بها إلى تلك الجزر والأمر لله عز وجل القائل سبحانه :

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)﴾ [آل عمران: ١٢٦]

اصطف الجيشان ونشبت الحرب بين فئتين فئة تؤمن بالله عز وجل معتدى عليها مبغي عليها وفئة ظالمة كافرة نصرانية .

(١) انظر : كتاب (المسلمون في الفلبين ودولة مورو) للمؤرخ السوري محمود شاكر، فقد ذكر هذه القصة بكثير من التفاصيل الحية التي لم تذكرها مصادر أخرى.



بدأت الحرب وإذا بهذا القائد المسلم البطل العملاق العظيم ينظر إلى الموقع الذي يوجد فيه القائد الصليبي " ماجلان " ثم انطلق نحوه كالأسد مع مجموعة من حرسه الخاص الذين معه فلم يفجأ ماجلان إلا وصول هذا القائد البطل المسلم إليه فابتدره بضربة بالسيف فقتله.

قُتل هذا المجرم الأثيم - لعنه الله - قتله الله على يد هذا البطل المسلم العظيم الذي يجهل كثير من المسلمين تاريخه وقصته ولا يدرون عنه شيئاً وإنما يعرفون ويضخمون ماجلان وهذا للأسف بسبب مكر أعداء الإسلام بالمسلمين والسعي في تجهيلهم بتاريخهم وتزوير الحقائق عليهم .

بعد أن قُتل هذا القائد الصليبي تشرذمت جماعته وجعلوا لا يلوون على شيء وفرّ بعضهم وقُتل أكثرهم في تلك الجزيرة والذين نجوا إنما كانوا عدداً قليلاً وهم نائب ماجلان ومعه ثمانية عشر رجلاً إسبانياً وجعلوا يتفاوضون مع القائد المسلم على تسليم الجثة - جثة ماجلات - فرفض هذا القائد المسلم ذلك الطلب ودفن ذلك اللعين في تلك البلاد ولا يزال قبره يُعرف إلى يومنا هذا .

رجعت سفينة واحدة من سفن ماجلان الخمس إلى إسبانيا رجعت تجر وراءها الهزيمة والعار وتنوح على قائد الحملة الذي قطع الله دابره وكسر شوكته على يد ذلك البطل المسلم فما كان من قائد إسبانيا - لعنه الله - إلا أن جهز أربع حملات صليبية على المسلمين في جزر الفلبين وشاء الله سبحانه وتعالى أن ينتصر المسلمون على تلك الحملات الصليبية الأربع فقصوا عليها وانتهت المواجهات معها بانتصار عظيم للإسلام والمسلمين إلا أن الحقد



الصليبي الإسباني تزايد وتضخم وتعاضم أصحابه أن يُصبح للمسلمين قوة في تلك الجهات فجهزوا حملات كبيرة وجيوش جرارة اكتسحت الجزر الفلبينية وراح ضحية تلك الحملات المسعورة الملايين من المسلمين ^(١) وصارت الصليبية ترفرف رايتها على الجزر الفلبينية ^(٢) وبعد أن كانت عاصمة المسلمين هناك تسمى " أمان الله " تحولت إلى " مانिला " وأصبحت هذه العاصمة التي يقال لها " مانिला " أصبحت أعظم مدينة في العالم في الدعارة والخلاعة وصارت جزر الفلبين أول بلدان آسيا يحل فيها الكفر الصليبي الكاثوليكي ولا تزال المؤامرة على مسلمي الفلبين يومًا بعد يوم ودهرًا بعد دهر إلى عصرنا هذا وهم في ضعف واستذلال والأمر هناك بيد النصاري ينزلون بالمسلمين أبشع صور التعذيب والذبح والقتل حتى صارت حال أهل الإسلام في تلك البلدان يرثى لها ولا يجدون من يلتفت إليهم من إخوانهم المسلمين في الشرق أو في الغرب . فإننا لله وإنا إليه راجعون ^(٣) .

ولاشك أن الله سبحانه وتعالى ولي عباده المؤمنين وناصر عباده الصالحين وإنما المسألة مسألة تمحيص وابتلاء وامتحان لمن شاء الله سبحانه وتعالى من العباد .

نسأل الله سبحانه وتعالى لنا ولكم السلامة والعافية.

أكتفي بهذا القدر بارك الله فيكم والحمد لله .

(١) الموسوعة التاريخية (٤٠١/٧).

(٢) ومن حينها أسموا تلك الجزر (الفلبين) نسبة إلى ملك إسبانيا فيليب الثاني عام (١٥٦٦) م.

(٣) من مصادر هذه الحلقة:

❖ تاريخ الفلبين - المؤلف - الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

❖ المسلمون في الفلبين ودولة مورو للمؤرخ السوري محمود شاكر.

❖ الموسوعة التاريخية ج ٧.

الحلقة السابعة والعشرون



ماذا نستفيد من هذه الحلقات؟

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد:

فهذه هي الحلقة السابعة والعشرون من سلسلة " تحفة الأخيار بذكر أهم معارك المسلمين مع عباد الصليب الأشرار " في هذا اليوم التاسع والعشرين من رمضان لعام (١٤٤٤) للهجرة النبوية وبما أن هذا اليوم ربما يكون آخر يوم من رمضان وهو احتمال كبير والناس في انتظار ما تقرره هيئات ولاية الأمر في الدول الإسلامية فيما يتعلق برؤية الهلال وعدمه لكن بما أن هذا هو الاحتمال فهذه هي الحلقة الأخيرة من هذه السلسلة وإني أحمد الله عز وجل الذي وفق وأعان ويسر لنا سبل العلم النافع . ونسأله سبحانه وتعالى المزيد من فضله لنا ولكم ولجميع المسلمين كما نشكركم على حرصكم ومتابعتكم المستمرة لهذه الحلقات و لغيرها من الدروس وقد كنا نلاحظ اندفاعًا وحبًا وحرصًا وتفاعلاً مع أحداث الدرس فنشكر الجميع سواء الذين حضروا حضوراً مباشراً في هذا المسجد المبارك - مسجد أبي بكر الصديق - في مدينة جعار محافظة أبين وفق الله أهلها لكل خير أو الذين تابعوا الحلقات بطريقة غير مباشرة عن طريق مجموعات الواتساب وبقية وسائل التواصل الاجتماعي كما أشكر الذين حرصوا على نقل هذه الحلقات ونشرها سواء عبر



مجموعات الرجال أو مجموعات بعض النساء حيث قامت بعض النساء بنشرها عبر مجموعات نسوية في الواتساب فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك في الجميع كما أشكر الذين نبهوني على بعض الأمور ذلك أن الإنسان قد تحصل منه غلطة غير مقصودة أثناء التعبير من سبق لسان ونحوه مما قد لا يسلم منه إنسان علمًا أن مادة الموضوع كانت لا تطرح إلا بعد التأكد من جميع فقراته والرجوع إلى المصادر المعتبرة بحمد الله عز وجل لكن مع هذا قد يحصل سبق لسان أو كلام بطريق الوهم وهذا قليل ونادر جدًا فنبهني بعض الأخوة جزاهم الله خيرًا .

وفي هذا دلالة على تنبه الجميع وحرصهم على الاستفادة والمتابعة بدقة لهذه المواضيع نسأل الله التوفيق والسداد وكلمة أخيرة وهي لماذا هذا السرد سواء السرد التاريخي المتعلق بسلسلة " غزوات ومعارك رمضان " التي تم القائها في رمضان ^(١) الماضي أو هذا السرد التاريخي المختصر للحملات أو للحروب الصليبية على الأمة الإسلامية؟

هل كان هذا السرد لمجرد التسلية أو لمجرد قضاء بعض الوقت أم أنه للاستفادة ولأخذ الدروس والعبر؟

لا شك أنه إنما تلقى هذه الحلقات لأخذ الدروس والعظات والعبر والدروس المستفادة من هذه الحلقات أو من هذا الطرح كثيرة جدًا منها:

(١) وتم طبعها بحمد الله تحت عنوان " تحفة الإخوان بذكر غزوات ومعارك رمضان ".



١ - أن الذي يتتبع هذه الدروس يتبين له بوضوح شدة عداوة الكافرين من يهود ونصارى للإسلام والمسلمين وهذا أمر معلوم في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويوضحه التاريخ بشكل كبير سواء التاريخ القديم أو التاريخ الحديث فربنا سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : **﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾ [البقرة: ١٢٠-١٢١] .**

فهذه الآية فيها دلالة واضحة وصريحة على شدة عداوة اليهود والنصارى لأهل الإسلام للنبي - صلى الله عليه وسلم - ومن معه وأنهم لا يمكن أن يرضوا عن أحد حتى يكون تابعاً لهم .

و أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يحكمون على محمد - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - وعلى أمته بالضلال وأنه لا يمكن أن تحصل الهداية للنبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ولأئمة في ظن اليهود وزعمهم إلا بمتابعتهم قال الله تعالى : **﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)﴾ .** [البقرة: ١٣٥-١٣٦].

والمعنى إذا لم تكونوا يهوداً ولا نصارى فأنتم على ضلال .



ولهذا فقد حكموا على على نبينا محمد - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - وعلى أمته بأنهم من أهل النار يجزمون بذلك قال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)﴾ . [البقرة: ١١١-١١٢] .

فلأجل هذه العداوة الشديدة التي هي حاصلة من قِبَل اليهود والنصارى يحرصون على صرفنا عن هذا الدين بكل وسيلة كما قال سبحانه : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾ . [البقرة: ١٠٩] .

ود كثير من أهل الكتاب وليس مجموعة قليلة وإنما كثير من أهل الكتاب ودوا لو يردون المؤمنين من بعد إيمانهم كفاراً .

والسبب الحسد قال تعالى : ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)﴾ . [البقرة: ٢١٧] .

ورغم هذا البيان الإلهي إلا أنك تجد بعض الناس يُخدع بالكذب فيترك الصدق ويغفل عنه ينخدع بتلك الأكاذيب كـ " دعوة السلام العالمي " و " الإخوة الإنسانية " و " المبادئ العالمية " و " الوحدة الوطنية " وغيرها من الشعارات البراقة التي انخدع بها كثير الناس وغفلوا عن هذه النصوص العظيمة فحينما يسمع بعض فصول التاريخ المليئة بمثل هذه الأحداث الجسيمة ينتفع بذلك بإذن الله سبحانه وتعالى وبعض الناس ربما يفهم بعض الآيات فهماً خاطئاً فيسمع قول الله عز وجل : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) ﴾ . [المائدة: ٨٢] .

ربما ظن أن الأعداء هم اليهود أما النصارى ففيهم رفق وفيهم قرب من أهل الإسلام ويستدل بهذه الآية ولا يدري هذا المسكين أنه أخذ جزءاً من النص وترك الجزء الآخر ترك التكملة المهمة لهذه الآية وهي الآيات الكريمات التي بعدها من سورة المائدة قال الله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) ﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ



يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) ❀ . [الائدة: ٨٢ - ٨٥] .

إذن الآيات السابقة الذكر لا تتحدث عن جميع النصارى إنما تتحدث عن صنف من النصارى وهم الذين وفقهم الله للإسلام وقبلوا الإيمان هؤلاء هم الذين إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول وهو القرآن ترى أعينهم تفيض من الدمع كالنجاشي ومن شابهه ❀ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ❀ .

أما هؤلاء المجرمون النصارى الصليبيون فهم لا يتأثرون عند سماع القرآن ولا يعتقدون أنه حق من عند الله ولا يعتقدون صدق النبي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بل يزعمون أن نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - كاذب وأنه وجميع من ءامن به كفار فالكل في نظر هؤلاء الصليبيين أنجاس والكل في نظرهم يجب التخلص منهم ويجب القضاء عليهم بأي وسيلة من وسائل القضاء .

❀ هذه عقيدة يجب أن ينتبه لها المسلمون ويعرفونها جيداً .

٢- ومما نستفيدة من هذه الحلقات عظمة هذا الدين وقوته وصلابته فرغم هذا المكر الهائل والحروب الكبيرة والحملات الصليبية الضخمة والتحالف العالمي من أجل القضاء عليه رغم ذلك كله فهو لا يزداد إلا قوةً وانتشاراً



وظهوراً فأعجز قوى الغرب والشرق والدول الكافرة الكبيرة والصغيرة وأعجز المتآمرين الماكرين الأولين والآخرين الذين أرادوا أن يطفئوا هذا النور فعجزوا كلهم لأنه نور الله عز وجل القائل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣] .

والقائل سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)﴾ . [الصف: ٨-١٠] .

هل قدرُوا أن يقضوا على هذا الدين ؟ هل وصلوا إلى نتيجة ؟ .

الجواب : لا لم يصلوا إلى شيء مما أرادوا بل كلما اشتدت هجماتهم على هذا الدين كلما اشتد ظهوره وكثر أهله وازدادوا ثباتاً ووقوفاً في وجه أعدائهم .

ولا أدل على ذلك من تلكم المحاكم التي تكلمنا عنها وهي محاكم التفتيش في الأندلس التي استمرت أربعة قرون وأهل الإسلام هناك مضطهدون يكتمون إيمانهم ويظهرون في الظاهر أنهم نصارى ويدخلون الكنائس وعندهم أسماء في الظاهر نصرانية وعندهم فيما بينهم أسماء عربية إسلامية وتخطب البنت ويعقد عليها في الكنيسة وتلبس اللباس النصراني ثم



يرجعون إلى بيوتهم وبطريقة خفية تُزال عنها تلك الألبسة ويُعاد العقد على الطريقة الإسلامية ويقع الزواج بطريقة شرعية على كتاب الله وعلى سنة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - ولمدة أربعة قرون وهم على هذا الأمر يتوارثونه جيلاً بعد جيل لقد عجزت المحاكم القذرة النجسة الطاغوتية أن تفت في عضد المسلمين وإن كانت حققت أهدافاً كبيرة لكن القضاء على الإسلام غير ممكن ، القضاء على الإسلام أمر مستحيل بعد ذلك كله اضطرت الكنيسة وبعد أربعة قرون أن تلغي محاكم التفتيش وتعطل عملها وسيبقى الإسلام وسيستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٣- ومما نستفيدة من هذه الحلقات فائدة عظيمة وهي تقوية الأمل بالله سبحانه وتعالى بأنه ناصر دينه وعباده وأوليائه مهما مكر الماكرون وكاد الكافرون ونزداد إعترافاً بهذا الدين وثباتاً عليه ، حينما ننظر كيف ثبت أولئك على دين الله عز وجل رغم المؤذاة والتعذيب ورغم المجازر الرهيبة لم يهتزوا ولا تزلزلوا ولا تضعضعوا عن دين الله عز وجل ونحن في أيامنا هذه فسدت عقائد كثير من المسلمين وإذا ببعضهم ربما طأطأ رأسه وربما مدح اليهود والنصارى وقال بأنهم أهل رحمة وأهل إحسان وأهل شفقة وأنهم ، وأنهم ، ولا يدري أن اليهود والنصارى يشنون على الأمة الإسلامية أشد أنواع الحروب الصليبية لا يدري كثير من المسلمين - للأسف - أن الأمة الإسلامية



تواجه في هذه الأزمنة أشد أنواع الحملات الصليبية التي صارت مكونة من شقين اثنين :

﴿ الشق الأول العسكري ﴾ : فالحرب العسكرية أوالهجوم العسكري حاصل ويستخدمونه بين فينة وأخرى ؛ استخدموه في الحبشة و في السودان و في الجزائر و في تونس و في مصر و في فلسطين ولا زال إلى يومنا هذا بل هو في يومنا هذا أشد مايكون حيث تتعرض غزة لإبادات جماعية وحشية رهيبة (١) و في سوريا و في البوسنة والهرسك و في بورما و في الهند و في العراق يستخدمونه في أماكن كثيرة و في كثير من البلدان يستخدمون ما يسمى بالخيار العسكري على مرأى ومسمع من العالم دون أي نكير بل رفعوا شعار (من ليس معنا فهو ضدنا) .

وأعلنها بوش الابن حرباً صليبية بعد أحداث إحدى عشر سبتمبر- كما ذكرنا في بداية هذه الحلقات - . فمتى أرادوا أشعلوها حرباً لاتبقي ولا تذر ومتى تحققت لهم أهدافهم أوقفوا الحرب ورفعوا يافطة السلام العالمي والتعايش السلمي وغير ذلك من الشعارات الزائفة قاتلهم الله أنى يؤفكون .

﴿ الشق الثاني ﴾ : وهو أخطر من الحرب العسكرية المباشرة ألا وهو الحرب الفكري أو مايسمى بـ " الغزو الفكري " وقد تحدثت عن هذا

(١) وها هو القرد الأمريكي - ترامب - يقرر في هذه الأيام وجوب تهجير أهل غزة من أرضهم ويفرض على مصر والأردن قبولهم بكل وقاحة وعنجهية.



الجانب الخطير في كتاب مستقل سميته : " إبراز الحقائق في التحذير من الغزو الفكري وما اشتمل عليه من البوائق " وهو مطبوع بحمد الله تعالى فليراجعه من شاء وسيجد فيه العجب العُجاب من مكر الكفار وكيدهم بالإسلام والمسلمين ومما ذكرته هناك أن رئيس فرنسا " لويس التاسع " حينما تم أسره في قلعة المنصورة بمصر في الحملة الصليبية السابعة التي مر ذكرها كان من جملة التوصيات التي وصى بها هذا المجرم الفرنسي أنه لا بد من مواجهة المسلمين عقلياً ولا بد من محاربة المسلمين فكرياً وأن السلاح المباشر لا يكفي بمفرده للقضاء على الإسلام وأنهم إذا استخدموا وسائل خطيرة من أموراً فكرية ومبادئ عصرية فإنهم سيحققون ما لم تحققه الجيوش القتالية النظامية الكبرى ولا تلك الحملات الهائلة وهذا والله هو المشاهد وهذا هو الحاصل الآن .

فحينما تسلط النصارى على المسلمين في الأندلس منعوا اللسان العربي وأي واحد يتكلم عربي يتم تحويله إلى المحرقة وأي واحد يلبس لباس عربي يتم الزج به إلى المحرقة فيُقتل أو يعذب أشد التعذيب و نحن صرنا نتكلم بلسانهم ونفتخر بذلك وصرنا نلبس ألبستهم ونحس بالإعتزاز والفخر حينما نتشبه بهم .

هذه من نتائج الحملات الفكرية المسعورة والتي هي أحد شقي الحرب الضروس التي يشنها أعداء الإسلام على المسلمين والعياذ بالله .



٤- ومما نستفيده من هذه الحلقات أهمية الجهاد في سبيل الله ووالله لن يعيش أهل الإسلام في عز وفي منعة وفي تمكين وفي حياة سعيدة إلا إذا أقاموا هذه الشعيرة العظيمة وهي شعيرة الجهاد في سبيل الله تعالى .

ألم يقل النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : « بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » . ؟ ^(١) .

ألم يقل النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » . ^(٢) المسلمون الآن تركوا الجهاد في سبيل الله ماذا يريدون ؟ يريدون السلامة يريدون اطمئناناً يريدون أن ينسوا شيئاً اسمه " حرب أو حروب " فكانت النتيجة أن وقع الذل ووقع استعباد و تسلط و وقعت هيمنة من قِبَل الكافرين على المسلمين .

والذي ينبغي أن يعلمه القاصي والداني أننا ولو تركنا الجهاد في سبيل الله بحثاً عن السلامة والله لن يتركنا أعداؤنا هذه هي الحقيقة ومهما طلبنا المصالحة مع أعداء الإسلام ليرضوا عنا ويتركوا لنا حالنا وشأننا ويتركوا لنا مساجدنا وقرآننا ويتركوا لنا ديننا فوالله لن يتركوا لنا شيئاً من ذلك أبداً .

(١) صحيح : رواه أحمد (٥١١٤) . وصححه الشيخان الألباني والوادي - رحمه الله تعالى عليهما .

(٢) صحيح : رواه أبوداود (٣٤٦٢) . وصححه الشيخان الألباني والوادي - رحمه الله تعالى عليهما .



القران ينطق بذلك والسنة تشهد بذلك والتاريخ يؤكد ذلك عبر العصور
فلا نغالط أنفسنا .

٥- و مما نستفيدة من هذه الحلقات أنها تُسقط أقنعه الكذب والدجل
والتزوير هذا الدجل الذي يتظاهر به أعداء الإسلام بأنهم أصحاب رحمة
وشفقة وأنهم دعاة سلام وضد الحروب وأننا لا بد أن ننسى الماضي بجميع ما فيه
وأنا لا بد أن نحارب كل دعوة تثير الشحنة والبغضاء وأن ... كل هذا
دجل وتظليل وهي عبارة عن وسائل تخدير وقد أشرت إلى كثير منها في كتابي
" إبراز الحقائق في التحذير من الغزو الفكري وما اشتمل عليه من البوائق "
وقد يسر الله سبحانه وتعالى إتمامه وطبعه فله سبحانه الحمد والمنة .

ونحن نذكر في كثير من دروسنا ومحاضراتنا أنه يجب على أهل الإسلام ألا
يركضوا إلى الكفار وألا يصدقهم وألا يتبعوهم فيما يقولونه ويدعون إليه
ويجب على أهل الإسلام أن يتذكروا تاريخهم المجيد المشرق كيف كان يعيش
آباؤهم وأجدادهم ؟ كيف كان يكتب القادة من أهل الاسلام بعز إلى أمة
الكفر ؟ وكيف كان الكفار يدفعون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون كما أمر
الله . وكيف تحولت الأمور إلى هذا الذل والهوان الذي تعيشه أمة الإسلام
اليوم ؟ ولا شك أن الأطماع الدنيوية والتقاتل على المناصب والفرقة
والتناحر التي حصلت بين المسلمين والابتعاد عن دين الله وترك الجهاد في
سبيل الله أن هذا كله سبب الضعف الشديد والهزيمة الكبرى .



والحل في الرجوع الصادق إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم علماً وعملاً .

أسأل الله العلي القدير بمنه وكرمه وجوده وإحسانه وتوفيقه وامتنانه أن يوفقنا وجميع المسلمين إلى كل خير وأن يدفع عنا وعنكم كل سوء وضير إنه جواد كريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كان الفراغ من مراجعته الأحد ٢٥ شعبان ١٤٤٦ هـ الموافق ٢٣/٢/٢٠٢٥ م.

كتبه الفقير إلى عفوره

أبو العباس منصور بن عبده بن أحمد المجيدي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين آمين

اليمن - أبين - جعار - مسجد أبي بكر الصديق





الفهرس

٢	المقدمة
٧	الحلقة الأولى
٩	أهمية معرفة الحروب الصليبية ⁰
٢١	الحلقة الثانية
٢١	اختراق اليهود للنصارى
٣٣	قسطنطين ودوره في انحراف النصرانية :
٤٠	مارتن لوتر ودوره في انحراف النصرانية
٤٣	ودعاة السلام في عصرنا يعلنونها حربا صليبية على أمة الإسلام!!
٥٣	الحلقة الثالثة :معركة " ملازكرد " ⁰
٥٥	مقدمة
٥٧	تفاصيل المعركة :
٦٣	الحلقة الرابعة:
٦٣	الأندلس وسبب معركة " الزلاقة "
٨٣	الحلقة الخامسة معركة الزلاقة ⁰
١٠٩	الحلقة السادسة
١٠٩	مقدمة مهمة عن الحملة الصليبية الأولى :
١١٥	بداية الحملة الصليبية الأولى :
١٢٣	الحلقة السابعة
١٢٣	تفاصيل الحملة الصليبية الأولى
١٣٥	الحلقة الثامنة



أهم أحداث الحملة الصليبية الأولى :	١٣٧
الحلقة التاسعة	١٤٧
الحملة الصليبية الثانية و آل زنكي:	١٤٧
موقعة حارم	١٦١
الحلقة العاشرة :	١٦٩
صلاح الدين الأيوبي ⁰ ومقدمة معركة حطين	١٦٩
الحلقة الحادية عشرة	١٨٠
(معركة حطين ⁰)	١٨١
تفاصيل معركة حطين	١٨٧
الحلقة الثانية عشرة	١٩٧
تحرير المسجد الأقصى	١٩٧
دخول صلاح الدين والمسلمين بيت المقدس	٢٠٥
الحلقة الثالثة عشرة	٢١٥
الحملة الصليبية الثالثة وسقوط عكا ⁰	٢١٥
صلاح الدين يرسل الأمراء والحكام ويطلب منهم المدد	٢٢٣
حصار عكا وتجمع جيوش الصليبيين وجيوش المسلمين حولها	٢٢٤
وصول الأسطول المصري	٢٢٥
قصة الأبراج	٢٢٩
النصارى يصنعون آلة كالكبش والمسلمون يقضون عليها	٢٣١
سقوط عكا	٢٣٣
الحلقة الرابعة عشرة :	٢٣٧
موت صلاح الدين وذكر الحملة الصليبية الرابعة و الخامسة :	٢٣٧
الحملة الصليبية الرابعة	٢٤٤

٢٤٦.....	الحملة الصليبية الخامسة
٢٤٨.....	سقوط دمياط
٢٥١.....	الحلقة الخامسة عشرة :
٢٥١.....	الحملة الصليبية السادسة
٢٦٠.....	معركة حطين الثانية
٢٦٥.....	الحلقة السادسة عشرة:
٢٦٧.....	الحملة الصليبية السابعة
٢٧٥.....	سقوط دمياط
٢٧٨.....	الحلقة السابعة عشرة
٢٧٩.....	تابع الحملة الصليبية السابعة
٢٨٣.....	وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب
٢٨٦.....	دور شجر الدر العظيم
٢٩١.....	معركة المنصورة
٢٩٥.....	معركة فارسكور الفاصلة ⁰
٣٠٥.....	الحلقة الثامنة عشرة
٣٠٥.....	معركة اقليش ⁰
٣١٧.....	الحلقة التاسعة عشرة
٣١٧.....	معركة الأرك ⁰
٣٣١.....	الحلقة العشرون
٣٣٢.....	معركة العقاب ⁰ (٦٠٩هـ / ١٢١٢م) :
٣٤٣.....	الحلقة الحادية والعشرون
٣٤٣.....	معركة طريف ⁰
٣٥٣.....	الحلقة الثانية والعشرون



٣٥٣	سقوط الاندلس
٣٦٩	الحلقة الثالثة والعشرون
٣٦٩	محاكم التفتيش
٣٨٥	بعض صور التعذيب
٣٨٥	محاكمة الأموات
٣٩٧	الحلقة الرابعة والعشرون
٣٩٧	فتح القسطنطينية
٣٩٩	(الجزء الأول)
٤١٧	الحلقة الخامسة والعشرون
٤١٧	فتح القسطنطينية
٤١٩	(الجزء الثاني)
٤٣٧	الحلقة السادسة والعشرون
٤٣٧	حملة الصليبي ماجلان على جزر الفلبين :
٤٤٧	الحلقة السابعة والعشرون
٤٤٧	ماذا نستفيد من هذه الحلقات؟
٤٦٣	الفهرس